

العدد ٣٣٤ السّنة التاسعة والعشرون سبتمبر ١٩٨٦

مجلة ثقافيّة مصوّرة
تصدر شهريّاً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue No. 334 Sep 1986 P. O. Box 748

Postal Code No. 13008

Kuwait A Cultural Monthly-Arabic
Magazine in Colour Published by
Ministry Of Information State Of
Kuwait.

٧٠٨ اصدار

مراجعة 13008 الى الكويت

٤٤٢٧٦٤١ ٤٤٦٨٢٤٢ ٤٤٣٩٧٢٨

رقيا العربي الكويت تلکس MITR 44041KT

٤٤٢٤٣٧٥ نسفون فكسيملى

المرسلات باسم رئيس التحرير

يسمى عليها مع الإدارة - سنة الاعلانات

بموجب الطلب الى قسم الاشتراكات المكتب الصحفي
وزارة الاعلام ص ١٩٣ الكويت
على طائيل الاشتراك بمجمل القسمة بموجت حواله مصرفية
أوشياك بالديسار الحكومي باسم وزارة الاعلام طلبة الماسلى
الوطن العربي ٤ - ل باقي دول العالم ٦ د ك

الكويت ٢٥٠ فلسا	لونس ٤ ملجم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلسا	الحراير ٤ دسبر	المغرب ٣ دراهم
الأردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ رنالات	للسا ٣٥٠ درهما
التحريير ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ رنالا	سلطنة عمان ربع رنالا
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلسا	قطر ٥ رنالات	اوروادلاران اوحيه استرلبي
مصب ٢٥٠ ملجما	للسا ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشا	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

الجزيرة

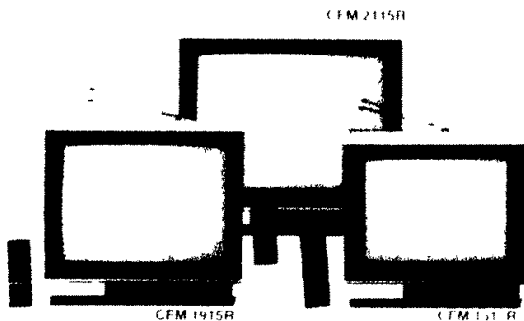
سرواك
الانطلاق
من عمق
العجهول

جرائم
115 عري

البحث العلمي
من أجل غدا أفضل



مع فيشر جميع المقاعد محجوزة.



فيشر
FISHER

بدون تردد الحصول على أفضل صورة وصوت موفدين، صبح تمتك في لسركه الي فتدتم بنظام الهياق فاي للعالم لن ترزعج من التشويه أو عدم الوضوح عند زوايا الشاشة مع تلمزيون فيسردو الشاشة المستطحة المربعة لماذا؟ لأن الشاشة مستطحة ومربعة متعا بعض جميع المشاهدين صورة أفضل وليس فقط مشاهدي المقاعد الأمامية

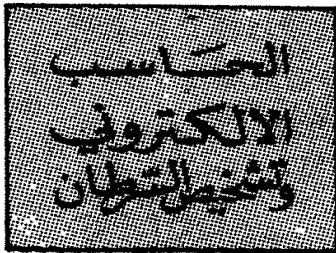
أصبحت إلى ذلك صوت استيريو، جهاز عملي لاجلهم عن بعد، قدره ١٦ نظاما إلى صورة ممتازة وبذلك يأخذ الاستمتاع السمع المرفق بعدد جديدة بالإضافة إلى موديل CFM 2110SR، شافان فيشر تقدم لك أيضا ثلاثة تلمزيونات جرى ذات الشاشة مستطحة المرتفعة ١٦ نظاما حقا، فيشر يقدم لك دائما حديثا مذهنا

اقتراء
في العدد
القادم من
العربي

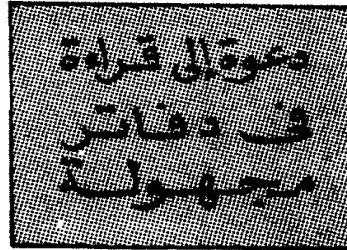
الهند

تجني شمار بحثها العلمي

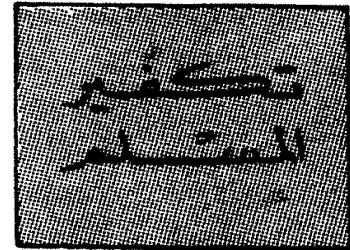
استطلاع : منير نصيف



سمير صالح الدين شعبان



د. ا. المبارك



د. محمد عمارة

- ألد علاج لمرض الاكتئاب
- الميكروبات كمصادر لغذاء الإنسان
- باخ .. من النسيان إلى التكرير
- مرض الثعلبية .. يصيب الظفر والعين
- التعريب في الجزائر .. مع مولود قاسم / أبو العاطي أبو النجا
- إنهم يزرعون الصحراء بالمياه المعالجة / استطلاع صادق ياجي
- وجهاً لوجه .. مع د. عبد القادر القط وعلى شلش
- أحمد أمين امتداد لمحمد عبده / حافظ أحمد أمين
- جبرين .. تحفة العمارة العمانية / يوسف الساردني
- كتاب الشهر : اليمن الديمقراطي / جمال وردة

عزيزي القارئ

في هذا العدد تصحبك مجلة العربي في رحلتها الشهرية الى باقة من الموضوعات التي تحاور قضايا الساعة ، دون أن تغفل القضايا الأساسية التي تسعى العربي دائما الى أن تلقى عليها أضواء جديدة ، وتعيد النظر اليها من زوايا مختلفة ، وتتابع ما يحدث فيها من جديد على مستوى الوطن العربي أو العالم .

عن أهم قضايا الساعة يكتب لك الدكتور عدنان شهاب الدين مقالا عن « تشرنوبل : الحقائق والتوقعات » . . ليضع النقط على الحروف في قضية أثارت قلق الناس في كل العالم ، بين أملهم في توفير مصدر جديد لا ينضب للطاقة ، وبين خوفهم من مخاطر هذا المصدر ! ولعله من أهم قضايا الساعة قضية نفاذ الموارد الطبيعية ، الأمر الذي جعل خطط التنمية في العالم المتقدم تتجه بالدرجة الأولى الى تنمية الانسان . . تنمية ذكائه ومعلوماته وشتى قدراته باعتباره موردا متجددا ، لا حدود لامكانات تطوره . . حول هذا الموضوع يكتب لك الدكتور عادل عبدالكريم عن « أول وزير للذكاء في العالم » . . ففي أي البلاد عين هذا الوزير ، وما هي مهام وزارته ؟ وكيف تمارس هذه المهام ؟

من أحدث العلوم الانسانية . . « السيميائية » فهل نجح هذا العلم الجديد في أن يحدد أهدافه ومناهجه ؟ الدكتور كمال أبو ديب يسعى الى تعريف قارئ العربي بهذا العلم الجديد بلغة تجمع بين الدقة والوضوح ، وحتى لا يبقى هذا العلم وقفا على المختصين ، إنه يخوض هذه المغامرة ونحن معه ، فهل ننجح جميعا ؟ هذا ما تقررره أنت عزيزي القارئ ونرحب مسبقا بحكمك .

الله . . والانسان . . والحرية . . قضايا قديمة وجديدة . . وحين يتناول الدكتور حسان حتحات هذه القضايا فانتا نتوقع دائما أن نقرأ الجديد والمفيد معا !

وحين يكتب لنا المفكر العربي محمد عابد الجابري عن تأثير الفيلسوف العربي ابن رشد في الفكر العربي وفي الفكر الغربي ، فإننا نكون أمام وجبة فكرية ثرية وممتعة في وقت معا ، في موضوع قديم ، ولكنه بنفاذ الكاتب يصبح جديدا للمختص وللقارئ العادي !

في باب وجهها لوجه يجري حوار مع الروائي الكبير فتحي غانم يكشف فيه عن جوانب من أسرار إبداعه ، ويتيح للقارئ أن يضع يده على العديد من مفاتيح كنوز هذا الكاتب . ونحرص العربي على أن تواصل مسيرتها في متابعة مجالات البحث العلمي من أجل غد أفضل ، فتقدم لك في هذا العدد استطلاعاً من معهد الكويت للابحاث العلمية ، وفي الاعداد القادمة سوف تقدم لك استطلاعاً في الاتجاه ذاته عن مسيرة البحث العلمي في الهند .

هذه بعض معالم الرحلة التي تصحبك فيها العربي هذا الشهر في دنيا الفكر والثقافة والفن . . . أما بقية المعالم فانت تعرف طريقك إليها مع الشعر والقصة وبقية الأبواب الثرية والغنية بالمعرفة والمتعة .

المحرر

محتويات العدد



ماذا تعرف عن سرواك . . . حيث ديكورات
الجماجم . . . وموروثات الأجداد . . . والطفرة
الصناعية التنموية بعد انطلاقها من عمق
المجهول ؟ ص ١٣٦

- كي تتخلص من نظارتك .
- د . سري فايز سبع العيش . . . ١١٨
- أطفال جياح . . ذكاء محدود .
- د . محمد نيهان سويلم . . . ١٢٩
- العهد (قصيدة) .
- عبدالله السيد شرف . . . ١٨١

استطلاعات ومقالات

- البحث العلمي من أجل غد أفضل .
- منير نصيف . . . ٦٨
- وجهها لوجه : فتحي غانم .
- أبو المعاطي أبو النجا . . . ٩٧
- « سرواك » الانطلاق من عمق المجهول .
- سليمان مظهر . . . ١٣٦

بواب العنبر

- عزيزي القارئ . . . ٥

- حديث الشهر : أسئلة واجابات . .
- في المسألة التربوية .

- د . محمد الريمحي . . . ٨
- تشنوبيل : الخلفية والحقائق والتوقعات .
- د . عدنان شهاب الدين . . . ١٦
- رشدية . . عربية أم لاتينية ؟
- د . محمد عابد الجابري . . . ٢٥
- الله . . والانسان . . والحرية .
- د . حسان تحتوت . . . ٣٠
- ولقاءنا كان الأخير (قصيدة) .
- د . عاتكة الخزرجي . . . ٣٤
- الطيران في نهاية القرن العشرين .
- ريا عارف الرفاعي . . . ٣٦
- شارع النخيل الافرنجي (قصة) .
- اسماعيل العادلي . . . ٤٠
- بطاقة تعريف للشعر الحر .
- د . حياة جاسم محمد . . . ٤٤
- أول وزير للذكاء في العالم .
- د . عادل عبدالكريم ياسين . . . ٤٨
- خالد العدساني والعمامة والكتاب غير
المنشور .
- عبدالله زكريا الانصاري . . . ٥٢
- السيمائية أحدث العلوم الانسانية .
- د . كمال أبو ديب . . . ٥٨
- عظامنا وسنوات العمر .
- د . فاطمة الغرباوي . . . ٨٨
- الكمبيوتر والزخرفة العربية .
- د . نبيل علي . . . ٩٣
- الموسيقى العربية والهارمونيا .
- د . سليم سحاب . . . ١٠٤
- دلالات الرمز في رواية الأرض المحتلة .
- وليد أبوبكر . . . ١٠٩
- المرأة والقناع (قصة مترجمة) .
- محمود شقير . . . ١١٤

الرسالة التي تحملها ريش العنبر
والسيف الذي يمسك به سيف
في ساحة حيفا العتيقة والى زواجر
مستوية على بساتينها من الزمان



البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع

- الحب مخاطره وثقه ومشاركه
- ١٦٢ - راحي عنایت
- وقفه علميه مع أول صرحه للطفل
- ١٦٦ - د صياء الدين الحماس
- مساحه ود اساء هذا الرمان
- ١٧١ - محمود عبدالوهاب
- ١٧٢ ■ هو هي
- من الحياه
- ١٧٤ عندما تحف ايام العمر
- ١٧٨ ■ طيب الأسرة

- أرقام أصحاب القود
- ٥٦ - محمود المراسي
- منتدى العربي
- قضية مفاهيم تربويه حاطئة
- ٦٣ - يوسف ميخائيل أسعد
- تعقيبات حول مشروع المعجم العربي
- العصري
- ٦٥ - د علي حليمة الكواري
- حول الأيام الأخيرة للسultan عبد الحميد
- ٦٧ - ابراهيم كسبو
- قاموس العربي صرية
- ١٢٢ ■ الحديد في الطب والعلم
- ١٢٤ ■ مكتشفون ومخترعون الفرد نوبل مخترع
- الدساميب
- ١٢٦ ■ سلامة السرية في سلامه البيئه
- ١٢٨ ■ حصارات سادت ثم بادت حصاره
- اساح
- ١٥٦ - اعداد يوسف الرعلاوي
- حال العربيه
- صفحه لعة لام القويه
- ١٨٢ - محمد حليمة التونسي
- صفحه شعر هكدا على الاناء
- ١٨٤ لقاء دئ بين المرردق والمحتري
-
- مكتبة العربي
- كتاب الشهر في أسفل السلم
- ١٨٦ - محمد حسان عبدالكريم
- من المكتبة العربيه الرهيبة بين الأسر
- والحرية
- ١٩٢ - د أمين العيوطي
- مكتبة العربي مختارات
- ١٩٦ ■ مسابقة العربي الثقافية
- ١٩٨ ■ حل مسابقة العدد (٣٣١)
- ٢٠٠ ■ معركة نلا سلاح (الشطرنج)
- ٢٠٢ ■ حوار القراء
- ٢٠٤

حديث الشتهر

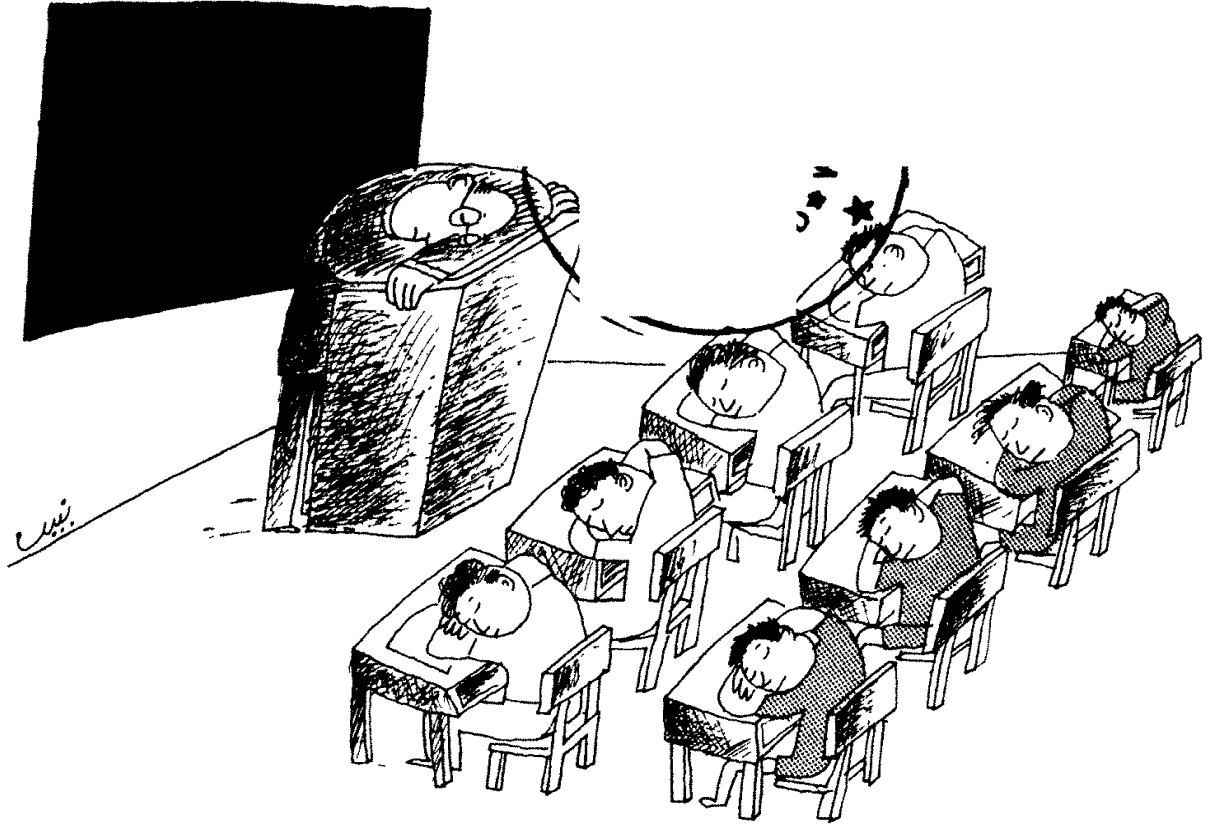
بمعلم الدكتور
محمد الرمحي

أسئلة وإجابات .. في المسألة التربوية

- نزع سلاح التعليم أخطر من نزع السلاح الثقليدي !
- مدارسنا مسؤولة عن صيانة الماضي وتأهيل الناشئة للحاضر والمستقبل.
- اقصرار التعليم في الماضي على القلة سهل اندثاره.
- التربية .. صناعة ثقيلة تحتاج إلى كل جهود الصناعات الثقيلة.

في شهر أغسطس ١٩٨١ شكل وزير التربية والتعليم في الولايات المتحدة لجنة من ثمانية عشر عضوا لدراسة نظم التعليم في الولايات المتحدة وتقديم مقترحات لاصلاحه ، وخرجت اللجنة بعد حين بتقرير يعرفه معظم المشتغلين بالتربية والتعليم في العالم اليوم ، وكان عنوان التقرير « أمة في خطر » ، ولقد لفتت نظري اللهجة المتشائمة في ذلك التقرير ، بل الادانة الكاملة لنظم التعليم السائدة في الولايات المتحدة ، حتى ان احدى فقرات التقرير تقول : (انه لو قامت أمة معادية بفرض أداء تعليمي قليل الجودة على الشعب الأمريكي - كما هو الحال في النظام التعليمي السائد - لاعتبرنا ذلك مدعاة للحرب ! ولكن كل ذلك يحدث الان ومن خلالنا وقد سمعنا به !)

وفي ابريل سنة ١٩٨٤ أصدرت قيادة الحزب والدولة السوفييتية قرارا موجهة للتنفيذ باقامة كليات تقنية وعملية موحدة ، وزيادة سنوات الدراسة العامة من عشر سنوات الى



احدى عشرة سنة ، وتمديد سنوات التعليم المهني ، على ان يدخل جميع الطلاب سنة تدريبية عملية قبل تخرجهم .

وقد سبق هذا القرار نقاشات وحوارات نشر كثير منها في الصحافة السوفيتية ، والهدف هو « اللحاق بالثورة العلمية والتقنية التي يشهدها العالم » .

ذكرنا هذين المثليين اللذين وقعا في السنوات الأخيرة في أكبر دولتين معاصرتين لنا ، هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي على ما بينها من اختلاف في أمور شتى ، ولكنها اتفقتا - كما هو الحال مع كثير من الدول - على النظر الى نظام التعليم والتدريب في مجتمعاتها نظرة جدية ، فالعلم والمعرفة سلاح يمكن استخدامه بشكل ايجابي ، كما يمكن أيضا نزع هذا السلاح بطريقة جديدة ، أي ليس بالحرمان منه ولكن بتفريغه من داخله ، والابقاء على الشكل واخلخله المضمون الى درجة أن يرتد الى رقاب منشئيه ويفتك بهم .

ولسنا في الوطن العربي اليوم ممن تنقصهم التقارير الموضوعة في التعليم والتربية العربية - فهي كثيرة والحمد لله - ولسنا ممن ينقصهم الرجال والنساء لبيان أهمية التعليم على المستوى الدولي والوطني والعربي والانساني ، ولا ممن ينقصهم قبول حقيقة أن التعليم هو سلاحنا للنهضة ، فكل ذلك معروف . . ولكن ما ينقصنا في الحقيقة هو ان نعترف بأن سلاح التعليم العربي متزوع ، فهناك مؤسسات نسميها مدارس وجامعات يذهب إليها أبناؤنا وبناتنا كل صباح ويعودون منها كل مساء ، وهناك كتب توزع وتقرأ وقد تحفظ أيضا ولكنها لا تفي بالغرض المطلوب ، لأن التعليم في تصوري أصبح في وطننا العربي - في الأعم الأشمل - قضية شكل أكثر منه قضية جوهر ، وقضية مؤسسات أكثر منها قضية محتوى وأهداف واضحة المعالم .

العقل الابتكاري والعقل المسالم:

فنحن* حق الإكـن - اعتمدنا على النقل في الشؤون التربوية والتعليمية دون إعمال العقل بصورة ابتكارية .

□ وأريد أن أفرق بين مفهومين « لاعمال العقل » أحدهما اعمال العقل ابتكاريا من أجل التغيير والتطوير ، والثاني استعمال « العقل المسالم » الذي يفكر في إطار من المألوف بين الناس ، بحيث لا يصدم عرفا وان كان خاطئا ، ولا يتعارض مع رأي ذاع ، بالغاما بلغ من الفساد .

يحدثنا أحد مفكري العرب* في هذا الاطار عن جامعاتنا بأنها « تذكرنا بالجامعات الأوروبية في العصور الوسطى ، من حيث أنها كانت تتوخى ما سموه بالتعليم السلمي ، وهو الذي كان دائما يتمشى مع اتجاهات الكنيسة ، أي أنها تقاد ولا تقود ، تساس ولا تسوس » وهنا ربما تكمن إحدى أهم معضلات التعليم في بلادنا . فهو بجانب قصوره من حيث الكم - وذاك موضوع سنعرض له لاحقا - الا أنه يصدم كثيرا منا من حيث الكيف والمستوى والاعداد ، صحيح أن كل ذلك ليس سببه نظام التعليم وحده بل تتداخل معه أسباب أخرى ، الا أنه صحيح أيضا أن نظام التعليم يتحمل الكثير من هذا القصور .

ونعرض هنا لبعض مظاهر القصور

من أبرز هذه المظاهر مستوى تحصيل الطلاب في المستويات التعليمية المختلفة ، وها هو الخريج الجامعي الذي - في أي تخصص كان - يجد صعوبة في الامام بالقضايا العامة ، ويسهل كثيرا إقناعه دون نقاش طويل بأن هذا المنطلق أو ذاك هو الصحيح في الحياة ، فيتعصب له دون نقاش ويتبعه دون تساؤل ، ضيق الأفق في الشؤون العامة، يرى الأمور سوداء أو بيضاء قليا أو طائفيا أو قطريا في أحسن الأحوال ، أما مستوى المعارف وقدرات الأداء والمهارات التي كان من الواجب عليه أن يمتلكها فهي في حدودها الدنيا ، سواء كانت مهارات عقلية أو مهارات يدوية .

مستوى التحصيل ، هذا الذي نشكو منه ، هو نتيجة وليس سببا ، نتيجة لاعتمادنا على النقل والاهتمام بالشكل . فنحن نحصر على ما يتم تعلمه - وذاك خطأ - انما يجب أن نحصر على ما يقود الى « التعليم المستمر » . يجب أن نتقل من التركيز على السرد والتلقين الى الفهم والتحليل وحل المشكلات والتوصل الى استنتاجات فالمعلومات مهما كانت قيمتها الحالية هي معلومات متغيرة متطورة ، وحفظها وكأنها مقدسة خطأ عظيم ، الخيار الأساسي لذلك هو وضع الأسس لتعليم مستمر ، لخلق مجتمع دائم التعليم ، وأن يستمر أبناؤنا في الابحار في رحلة حياتهم مزودين بما تعلموه في بدايتها من أساسيات ، وليس الاكتفاء بنيل الشهادة ، وكأنها تعنى الاكتفاء من التعليم .

من الأخطاء السائدة بين المتخصصين في التعليم عندنا ، النقاش العقيم بين التخصصات العلمية والأدبية ، وما اصطلح عليه في هذا الاتجاه ، وذلك في رأيي إحدى القضايا العالقة بسبب النقل دون تمحيص العقل . فالتعليم شيء متكامل « وأساسي لخلق مواطن يتعايش مع العصر . . والتخصص أمر لاحق للتعليم وليس سابقا له . »

مَوْت المَدْرَسَةِ:

● أسئلة واجابات . . في المسألة التربوية

□ عندما نتحدث عن التعليم المستمر ، والتعليم من أجل الحياة ، وعن شعارات من هذا القبيل ، فاننا غالبا ما نذكر ما كنا فيه - كعرب ومسلمين في صدر الاسلام - من حث على التعليم والتعلم ، ذاك هو تراثنا الثقافي العظيم القريب الى قلوبنا ، ولكن الحديث في العموميات مضر أيا ضرر . في ذاك التراث العلمي - وفي القرون الأولى من النهضة - تكمن كل القيم الايجابية ، ففي القرون الأربعة الأولى من الاسلام تطور التعليم العربي الاسلامي ، ولم يقتصر أمره على العقيدة واللغة ، بل تطور الى ميادين أخرى في الفلك والرياضيات والطبيعة والكيمياء والطب والهندسة والفلسفة ، وترجمت الكتب الاغريقية والفارسية والهندية الى العربية ، كما ترجمت الكتب العربية الى اللغات الأخرى ، وكانت مصدرا من مصادر التعلم ، ولكن في السنوات اللاحقة للقرن الرابع الهجري بدأ الانحدار ، وتضاءلت المدرسة العربية الاسلامية حتى أوشكت على الزوال بتقاليدها العظيمة . . ، فما هو السبب ؟

تختلف في ذلك الاجتهادات ، ولكن النتيجة واحدة وهي أن الركود الاقتصادي والعلمي والثقافي سحب نفسه على الوطن الاسلامي من بعد تفرق السبل ، ويعرف الاستاذ المرحوم عبدالعزيز القوصي فترات الانحطاط بأنها في العد الهجري ، أربعة قرون من التقدم والرقى ، وأربعة أخرى من الخلافات والمنازعات ، وأربعة تالية طويلة وعملة من الركود والتخلف ، وغطيت الثقافة العربية والتعليم والحياة الأدبية العربية فيها بغطاء كثيف من التعصب والخزعبلات ، وفي الوقت الذي كان هناك طلب وحث على البحث العلمي في القرن الثالث والرابع الهجري ، وأصبح متساعحا معه في القرون القليلة التالية ، تحول في عصور الركود والتخلف الى شيء من السحر والهرطقة ، وأصبح محاربا برجاله ونتائجه على حد سواء ، ونما شيء جديد في العقل العربي الاسلامي ، هو وضع العلم كشيء مضاد للعقيدة ، الى درجة أن شخصية مثل الرازي - نعتز بها ونفخر اليوم - اتهم بالهرطقة والكفر ! !

في هذه العصور المظلمة ، والتي تخلفنا فيها سياسيا واجتماعيا وثقافيا وعلميا ، تكمن جملة المشكلات التي نواجهها في اطار التعليم والتطور اليوم . فما وصل اليها من بصيص معرفي ومنطلقات علمية من المتقدمين ، ثم نما وتطور في القرن الأخير ، وصل اليها في حقيقة الأمر نتيجة الدفع الذاتي لما عرفه السابقون في العصور الاسلامية الأولى ، وعندما نتغنى اليوم بانجازنا الحضاري ، فانما نتغنى في حقيقة الأمر بتلك العصور الذهبية الأولى ، واذا كان الأمر الايجابي له قوة ذاتية تبسطه على الزمن ، فان الأمر السلبي كذلك أيضا ، ومن هنا فان معوقاتنا اليوم في التعليم العربي ، جذورها ضاربة في عصر التخلف ، وما زالت تطل علينا برأسها في شكل دعاوى ايديولوجية تكمن حيناً لتظهر من جديد في أشكال أخرى ، وهي من العقل نافرة ، والى المنطق فقيرة ، والى الوراثة ناظرة . لقد ماتت المدرسة العربية الاسلامية وماتت تقاليدها ، وعندما جاء الخيار لمحمد علي في مصر في مطلع القرن الماضي لانشاء مدارس على النمط الحديث ، كان أمامه خياران : أحدهما أن يطور ما هو موجود من تعليم تقليدي ، وثانيها أن يتركه على حاله ويبدأ بالمدارس الحديثة على النمط الغربي كما كان معروفا وقتها ، ولقد اختار محمد علي - حقا أو باطلا - أن يترك القديم على قدمه وأن يعتنى بالحديث كما ورد ، وهناك بُذرت بذرة التعددية في التعليم العربي الحديث الذي أكده - دانلوب - مهندس التعليم الحديث في



مصر بعد الاحتلال البريطاني ، وأخذ الوطن العربي كما هو تقريبا . . تعليم ثنائي غير مختزج ، وتعليم مفرغ من محتواه يصلح لتخريج الكتبة .
نعم حدثت بعد ذلك محاولات جليلة وعميقة للإصلاح في أقطار عديدة من الوطن العربي ، ولكن انطبق عليها ما ينطبق على شيء يراد إصلاحه ، وهو تعديل لشيء قائم يحتفظ في الغالب بخصوصية المنشأ .

فما زالت الأسئلة التي طرحها التربويون العرب منذ أكثر من نصف قرن قائمة :
ماذا نعلم ومن نعلم ؟ هل نعلم من أجل الحفاظ على الوضع القائم . . أم نعلم من أجل مجتمع جديد ؟ هل نريد ان يكون متعلمونا طبعين تابعين ، أم مشاركين متعاونين ، أم عاصين خارجين ؟ ما هي لغة التعليم في العلوم والرياضيات ؟ هل نعلم في المدينة ونهمل الريف والبادية . . أم نهتم بالجميع ؟ هل نعلم المرأة ؟ وماذا عن المعوقين جسديا أو عقليا ؟ وماذا عن المتفوقين ؟ أنعلم للأكثرية العادية أم للفئات الخاصة ؟ أنهمت بتعليم الصغار فقط ؟ وماذا عن الكبار ؟ .

كلها أسئلة تكاد تكون مطروحة تقريبا في كل مطبوعة يدور محتواها حول التعليم العربي . . قطريا كان أم قويا .

ولعل الاضافة على تلك الأسئلة التقليدية تبرز في أسئلة جديدة نابعة من واقع التشردم العربي الذي نراه بعيوننا اليوم ، فلكي يستطيع الوطن العربي أن يقوم بوظائفه القومية المرتجاة ، لا بد أن يصل أبنائه - مهما اختلفت أقطارهم - الى قدر من التفاهم المشترك في التوافق والتفاهم بين أبناء القطر الواحد أو بين العرب في أقطارهم المختلفة .
واقع الأمر أن التربية العربية - مما هو ظاهر أمامنا - قد فشلت جزئيا في تكوين هذا القدر من التفاهم المشترك ، بل انها قد تخلفت عن مفاهيم تربوية عربية كانت سائدة قبل أكثر من ثلاثين سنة ، عندما كان الطالب في فاس ، والطالب في بغداد ، والطالب في الكويت ، يغني كل صباح :
« بلاد العرب أوطاني » !!

□ في عام ١٩٦٦ ، وفي مؤتمر تربوي عربي عقد في طرابلس الغرب ، أوصى المؤتمر بأن يعمم التعليم الابتدائي للطلاب العرب قبل حلول عام ١٩٨٠ ، ويأتي ذلك العام وما بعده من سنوات وحتى اليوم ، فاذ هناك ملايين من الفتيان والفتيات العرب في سن التعليم الابتدائي ولكنهم لا يجدونه ، واذ بالأمية الأبجدية ما تزال مرتفعة في المتوسط بين المواطنين العرب ، وهي في المتوسط أكثر من الثلث ، وترتفع الى حوالى النصف بين الاناث ، صحيح ان بعض الأقطار العربية قد استطاعت ان تحقق شيئا من النجاح في موضوع ادخال أكبر نسبة من مواطنيها الصغار في المدارس الابتدائية على الأقل وفي تخفيف حدة الأمية ، لكن الصورة العامة العربية لا تبشر بخير ، اذا أردنا أن نقول أننا أمة تريد أن تأخذ مكانها في عالم شديد التنافس ، وبدون صياغة لمواردها البشرية وتحديد نوعها ومستواها لن تجد هذه الأمة لها مكانا بين أمم العصر الحديثة ، وبدون التربية لن نحصل على صياغة جديدة لأهم مورد على الإطلاق . . وهو البشر .

فقد أصبحت المعرفة والتعليم والذكاء الذي أحسن تدريبيه هي الخامة الحقيقية للتنمية ، وهنا تبدأ العقبة الكبيرة أمام كل ذلك .

التربية من أجل التنمية:



فأولاً : ليس هناك تمويل مالى متاح لجميع الأقطار العربية كي تقوم بهذه الخطوة .
وثانياً : فإن من توفر لهم التمويل المالى نسبياً لم يستطيعوا حتى الآن تحقيق الصياغة المتبغاة لأسباب ذاتية لها علاقة بالكفاءة الداخلية لأنظمة التعليم العربية ، أو لأسباب موضوعية لها علاقة بالكفاءة الخارجية لأنظمة التعليم (العوامل الاجتماعية) .
ولنفصل هذا الإيجاز . . فنقول مبتدئين بما سميناه العوامل الخارجية (الاجتماعية)
التي تعطل كفاءة التعليم ، منها على سبيل المثال لا الحصر « الموقف الاجتماعي » من تعليم المرأة ومن ثم عملها ، فما زال بين ظهرانينا من يعتقد بأن المرأة مكانها البيت مصحوبة بالجله ، وإذا وافق على مضض على تعليمها فانما على أساس أن تبقى في المنزل دون مشاركة في الحياة العامة ، وهناك أيضاً الموقف الاجتماعي من مهنة التدريس ذاتها . .
فما زالت هذه المهنة تبدو للكثيرين في ثقافتنا العربية وكأنها امتداد « لمعلم الصبيان » المسكين الذي أمطرته الثقافة العربية سخرية واستهزاء ، ولم ننصفه - في معظم أقطارنا - حتى اليوم .

المعلم والمدرس ، والعامل بالتعليم من ذكر وانثى ، ما زال غير منصف لا ماديا ولا معنويا ، بين وقت وآخر نتحدث عن « دوره الحضاري الكبير » ولكن لا أكثر ولا أقل .
المعلم في وطننا العربي على امتداده أقل الفئات العاملة انصافا . . لذلك فانه ليس من المستغرب أن يغادر المدرسون الأكفاء أعمالهم زرافات بعد زرافات الى أعمال أخرى ويدخل بدلا منهم آخرون تنقصهم الكفاءة والخبرة ، ويؤثر ذلك على كفاءة التعليم في النهاية . فطريقة العرض والتدريس وحب المعلم لها وتفانيه فيها هو المدخل الحقيقي لتعليم أفضل .

تلك بعض العوامل الخارجية ، أما العوامل المعطلة للكفاءة الداخلية لأنظمتنا التعليمية فهي كثيرة أيضا ، منها على سبيل المثال لا الحصر صياغة برامج (مناهج) لها علاقة مباشرة بالتنمية العربية ، والنظر الى المدرسة كإحدى المؤسسات الأساسية للتطوير .

معظم شكوانا من المناهج الحالية أنها تدور في حلقة مفرغة ، فيها من الثوابت أكثر من المتغيرات . . . والحياة بطبيعتها متغيرة .
محرك التعليم في بلادنا يجب أن يكون الانتهاء الى العصر عن طريق الاشباع الذاتي للحاجات الأساسية ، التي أصبحت سمة عصر الجمهور الكبير الانساني الذي تختفى فيه الجماعات الصغيرة ، وتحترم فيه التعددية ، ولكن ضمن المجموع الحضاري المنسجم .
الحاجات الأساسية في اطارنا العربي تكاد تكون معروفة ، فهي من شقين : مادية ومعنوية .

أما المادية فهي الغذاء والسكن والصحة والعمل . .
وأما المعنوية فهي تحقيق الذات والمشاركة ، وحرية التعبير ، والشعور بالكرامة والاعتزاز بروح المواطنة .

تلك الحاجات الأساسية حلقات متداخلة ، تحتاج الى جهد انساني صبور وطويل ، وهي متكاملة لا يغنى بعضها عن البعض الآخر ، ولن تتحقق كلها أو جلها في أمتنا العربية الا باعداد مواردها البشرية خير اعداد .
كل هذه الحاجات الأساسية تنقصنا بشكل أو بآخر اليوم في الوطن العربي .
دعنا نتحدث عن بعضها .

في الاطار المادي فمن اول هذه الحاجات هو الغذاء ، ففي وطننا العربي الذي يتضاعف عدد سكانه كل ربع قرن تقريبا تتناقص قدرته على الوفاء باحتياجاته الغذائية سنة بعد سنة ، ويقول لنا الخبراء في الموضوع انه دون احداث ثورة حقيقية في برامج الزراعة العربية سوف نظل جميعا عالة على من يزرعون ، ومدخل احداث تلك الثورة الزراعية المبتغاة هو انسان مدرب متعلم ، وفي الاطار المالي نفسه عندما نتحدث عن الصناعة بأشكالها المختلفة ، نجد ان من اهم معوقات التقدم الصناعي العربي ارتفاع مستوى الامية ، والنقص في توفر الكوادر المدربة . . . انه الانسان المتعلم من جديد .
اما اذا تحولنا الى الحاجات المعنوية . . فاننا نجد ان قيمة الانسان المتعلم تأتي في الصدارة من أجل تحقيقها ، فلا حوار ديمقراطياً في مجتمع جاهل ، عندها يختلط ذلك الحوار لينقلب الى فوضى . . ولا تحقيق ذات في مجتمع متعصب ، ولا شعور بالكرامة في مجتمع يحقر العمل اليدوي مثلاً ، ان مدخل التنمية العربية اذن هو انسان متعلم يعرف اولويات العصر . . واداتها هي التعليم والتربية .

□ انكبنا على الحديث عن التعليم - فيما سبق - يعني في معظمه التعليم العام والتقني ، وحديث الجامعات العربية حديث آخر ذو شجون ، فاذا كانت مناهج التعليم العام قد اصابها التطور بعد فترات لاحقة لنشوتها ، فان مناهج الجامعات العربية اعتمدت - في معظمها على الأقل - على انواع المناهج الاكاديمية المطبقة في الجامعات الغربية ، وعلى الرغم من ان عدد الجامعات العربية اليوم يقدر بأكثر من سبعين جامعة تضم عشرات الآلاف من أعضاء هيئة التدريس ومئات الآلاف من الطلبة ، لكن جهداً حقيقياً لم يبذل لتطوير مناهج التعليم الجامعي ، فهناك على سبيل المثال ثنائية في تركيب المناهج الجامعية منقسمة الى أقلية تعتمد نظام (المقررات) واخرى تعتمد نظام السنوات ، وفي كلا النظامين سلبيات

**التعليم
الجامعي**

● أسئلة واجابات . . في المسألة التربوية

وايجابيات كان من الممكن تطويعها كي تناسب حاجتنا ، ولكننا مازلنا في هذا الاطار ناقلين ، وعندما نأتي الى البرامج الاكاديمية فمازالت معظمها في طور الترجمة والنقل وقليل منها في طور الابداع والابتكار ، حتى في العلوم القريبة الى ثقافتنا العربية ، فالمنهج المتبع في الاغلب غربي الجذور .



ولقد قدر لي ان أتولى التدريس في جامعة عربية اختلطت فيها الخبرات العربية ، فعرفت كيف يدفع الثمن باهظاً في اللعبة السياسية الداخلية للجامعة ، وهي لعبة ليست مقصورة علينا ، فكل الجامعات - وربما كل المؤسسات - لها تلك السلبية ان شئت القول . . ولكنها معطلة للجهود بشكل اكبر في جامعاتنا ، وربما تنطلق أساساً من عدم تحديد العلاقة بين الجامعة كمؤسسة مستقلة وبين الدولة والتطورات العاصفة في منطقتنا ، وربما ايضا لقرب منشأ الجامعات الحديثة في بلادنا وعدم رسوخ تقاليد جامعية .

بيت القصيد في التعليم الجامعي انه عينه في التعليم العام : المنهج والمدرس ، فالمناهج الجامعية لدى كثير منا امتداد لأسلوب عقيم في التعليم العام . لقد استشرفنا آمالا كبيرة في التعليم الجامعي لذلك فان الفشل في تحقيق غاياته ولو جزئيا يصيبنا باحباط عظيم .

جمهور الاساتذة الجامعيين منقسمون على أنفسهم ، تشدهم بجانب كل سلبيات مجتمعتنا المعروفة مدارس في التفكير نشأوا عليها في الغرب والشرق وتستعبد كثيرا منهم فكرة ان الاجادة هي نقل ما قاله الغربيون في هذا الموضوع أو ذاك دون ابتكار وازافة خلاقة ، يفتقد بعضهم الى أهم جسر بين الطالب وأستاذه وهو قدرة التواصل والتوصيل ، وتهتم جامعاتنا بالمشكلات العلمية سواء كانت تقنية او اجتماعية ذات منشأ غربي وتضرب صفحا عن مشكلات بيئية قريبة الا فيما ندر ، تلك كلها ظواهر لقضية التبعية العلمية ، فقد دربنا معظم أساتذتنا الجامعيين في جامعات خارجية دون تأهيل كاف - قبل ذلك أو بعده - لفهم البيئة العربية والتفاعل معها . لذلك فان المنهج والمدرس الجامعي سوف يقصران الى أجل عن أداء مهماتهما ، وتتسع الفجوة بين الطموح المنبثق من الحاجات الحقيقية والواقع . قياسنا للمعلم الجامعي - كما هو قياسنا للمعلم بشكل عام - درجته العلمية وسنوات دراسته . . وكلاهما ليسا ضمانا لكل الأفراد ، بل لمعظمهم كي يعرفوا ماذا يعلمون وكيف يعلمون .

وبعد

هموم التعليم والمدارس في الوطن العربي كثيرة ومتعددة نطرحها هنا للقارئ العربي ، لشعورنا العميق بأنها من أولوياتنا الملحة ، فقد أصبح العلم - كمنهج وكنشاط اجتماعي - بمثابة المحرك الذي لا بد منه لعملية النمو الاقتصادي ، ولم تنجح أمة من الأمم الحديثة في التقدم الا بتطوير وسائل انتاجها . . ولم يتحقق لها ذلك الا من خلال قوة بشرية ، أتاح لها التعليم المنظم الحديث استغلال طاقة أفرادها عن طريق المبادرة والتفكير المستقل واعطاء العقل دوره في الحياة .

محمد الرميحي

الخلفية والحقائق والتوقعات

تشرنوبل

بقلم : الدكتور عدنان شهاب الدين*

لكل علم وجهه السليبي ، تماما مثلما له وجهه الايجابي ، أو على الأصح وجوهه الايجابية أيضا .
وحريق المفاعل النووي في محطة تشرنوبيل السوفياتية هو أحد الوجوه السلبية في هذا المجال .
فما هي حكاية المفاعلات النووية وكيف قامت ؟ وما هي الحقائق والتوقعات المتعلقة بها ؟ حول هذه القضايا يتحدث هذا المقال . . .

البدايات

من نافلة القول هنا التذكير بأن استغلال الطاقة النووية بدأ أول ما بدأ في مجال صنع الأسلحة المدمرة في سباق بين الطرفين المتحاربين في الحرب العالمية الثانية ، حين كتب أينشتين في مطلعها خطابه الشهير الى الرئيس الأمريكي روزفلت ، لافتنا نظره الى اكتشاف العالم الألماني أوتوهان معادلات تتعلق بالانشطار النووي ، وما ينطوي عليه من إمكانيات صنع سلاح رهيب يفوق كل ما عرفه البشر حتى الآن في قدرته التدميرية ، وكان أن تعاون الحليفان ، البريطاني والأمريكي ، في إحراز قصب السبق ، وإنتاج هذا السلاح قبل الألمان ، واستخدامه عام ١٩٤٥ في هيروشيميا وناجازاكي ، وكان أول مفاعل نووي بدأ العمل في العالم هو ذلك الذي أشرف على بنائه العالم الأمريكي ، الايطالي الأصل ، إنريكو فيرمي ، الذي بدأ تشغيله عام ١٩٤٢ لانتاج البلوتونيوم الذي تصنع منه الأسلحة النووية .
وما أن وضعت الحرب أوزارها ، حتى انصرفت الدول الصناعية إلى تطوير تقنيات استغلال الطاقة

كان حادث انفجار مفاعل في محطة الطاقة النووية ببلدة تشرنوبيل بجمهورية أوكرانيا بالاتحاد السوفيتي أسوأ حادث نووي منذ أن أقام السوفييت أنفسهم ، عام ١٩٥٤ أول محطة لتوليد الطاقة الكهربائية في العالم ، باستخدام الانشطار النووي ، قدرتها ٥,٠٠٠ كيلووات ، فقد فاق هذا الحادث في نتائجه المباشرة والمتوقعة بكثير عواقب حادث آخر مشهور وقع في محطة نووية في « ثرى مايل أيلند » بالولايات المتحدة الأمريكية في مارس عام ١٩٧٩ ، ولقد أثار الحادث اهتمام الرأي العام العالمي ، وامتلات وسائل الاعلام بالأخبار الصحيحة وغير الصحيحة عن آثار الحادث ، وعما يحمل في طياته من مخاطر حقيقية أو متوهمة ، الأمر الذي يقتضي توضيح الكثير من القضايا والحقائق حول الوضع العالمي في شأن استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية ، والأخطار التي قد يأتي بها ، ووسائل درء هذه الأخطار ، والتغلب على آثارها ، وهو ما نحاوله هنا في تبسيط يهدف الى أكبر قدر من الوضوح ، ويتحاشى التجني على الحقائق العلمية أو القفز فوق المهم منها .

* مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية .



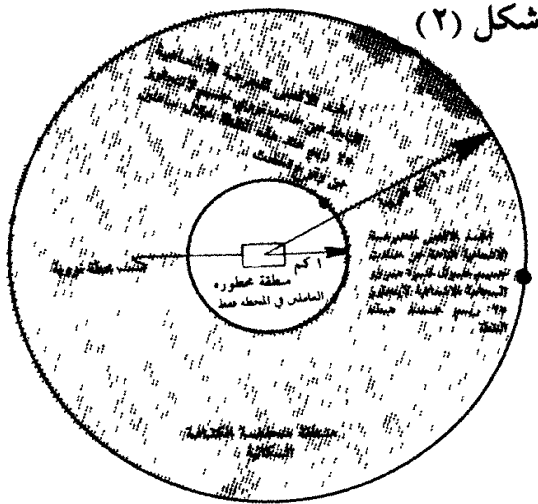
وباحاراكى على الكائنات الحد كميته بان يوكد ما كان معروفا لدى المشتغلين في هذا المجال عن مخاطر الانتعاعات النووية ، وبأهميه اتحاد إحصاءات وقائية عبر مألوفة في صرامتها وتنوعها وتطبيقاتها ، للحماية من هذه الانتعاعات عند تصميم وتشغيل محطات الطاقة النووية ، واطوى تصميم هذه المحطات مد البداية على مفاهيم جديدة في نظم موازنة الأعطال والطوارئ الباحة عنها ، واتخذت هذه الإحصاءات أشكالا عدة من أهمها توفير بدائل للأجهزة التي تؤثر الأعطال فيها على سلامة المحطة ، وإدماج العديد من وسائل الاسدار المكر ، بأية تغييرات في ظروف التشغيل ، قد تؤدي الى أخطار غير محمودة ، وإقامة سلسلة من وسائل الحماية المتعاقبة ، واحدة تلو الأخرى، لمنع تسرب المواد المشعة من أحرار المحطة المختلفة ، وصمان التوقف التلقائي لسلسلة التفاعل النووي عند حدوث عطل طارئ

ومن المفيد هنا أن نتعرف بصورة مسطرة على المكونات الرئيسية لمحطة طاقة نووية من نوع مفاعل تشريوبيل ، وهو ما يوضحه شكل (١) بطريقة تخطيطية والاختلاف الرئيسي عن محطة تقليدية تستخدم وقودا أحمروريا لتوليد الحار الذي يحرك التوربينات التي تدير المولد الكهربائي ، في استخدام

النووية للاعراض السلميه ، وعلى راسها استخداما في محطات توليد الطاقة الكهربائية ، باعتبارها بديلا واعدا يكاد أن يكون عبر ناصب للوقود الأحمروري - فحما كان أو مغطا أو عارا - الذي استخدم في هذه المحطات ومارال يستخدم في الكثير منها حتى الآن ، ومد أن أقام الاتحاد السوفييتي المحطة الأولى في العالم عام ١٩٥٤ وحتى اليوم ، انتشر استخدام الطاقة النووية في محطات توليد الكهرباء ، وإن تباطأت معدلاته ، بل ربما توقفت لبعض الوقت ها أو هناك وقد لا يعلم الكثيرون ما أن فرسا مثلا تعتمد على الطاقة النووية في انتاج رهاء ثلثي الطاقة الكهربائية فيها ، أو أن هذه السسة هي ٦٠ / في بلجيكا ، و ٥٠ / في السويد ، و ٤٠ / في سويسرا ، و ٣٨ / في فلندا ، و ٣٢ / في بلغاريا إلا أنها لم تتجاوز ١٧ / في الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن وحدت ها حاليا ١٠١ محطة عاملة و ٢٩ محطة تحت الانشاء ، أو ١١ / في الاتحاد السوفييتي حيث تعمل الآن ٥١ محطة ، من بينها محطة تشريوبيل ، بينما يجري العمل في إنشاء ٣٤ محطة أخرى

احتياطات ووسائل حماية

ولقد كانت الآثار السسة لقسلتي هيروشيما



اشتراطات السلامة الدولية بالنسبة للمناطق المحيطة
عنشاطات الطاقة النووية

السكان في هذه المنطقة لخطر يذكر من تسرب أية
اشعاعات تتيح لهذا الطارئ

حقيقة ما حدث

ولم يتمكن العلماء ، سواء في الاتحاد السوفيتي أو
خارجه بعد ، من تحديد تسلسل الأحداث الذي أدى
الى كارثة تشيرنوبيل ، وتعاون الان مجموعات منهم في
الاتحاد السوفيتي وألمانيا الاتحادية وغيرها من الدول
الغربية في جهود مكثفة للتعرف على حقيقة ما
حدث ، وعلى تداعي الأحداث ، وربما كان القول
أن السوفييت قد تكتفوا على حقيقة ما حدث يعتبر
صربا من المبالغة الاعلامية ، بينما واقع الحال أن الأمر
مازال حتى الان محوطا بالغموض ، فقد كان الرأي
السائد حتى وقوع الحادث أنه يكاد يكون صربا من
المستحيلات في أن يحدث ما حدث ، وعلى صوء ما
توفر حتى الآن من معلومات ، فانه يبدو ان حلا ما
وقع في أحد الأنظمة الرئيسية بالمفاعل (نظام التبريد
الرئيسي ، قصص الوقود أو قنواته ... الخ) تبعته
سلسلة من الأعطال أو العطب في أنظمة السلامة ،
وأن تقدير القائمين على المحطة لحقيقة الموقف لم يكن
سليما ، الأمر الذي أدى الى تفاقم المشكلة ، وانفجار
قلب المفاعل ، وتسرب كميات كبيرة من المواد المشعة
فيه الى الخارج ، وبغض النظر عن ماهية الخلل أو
العطب ، فالأمر الأكثر احتمالا هو أن إحدى

مفاعل نووي لتوليد البخار بدلا من المراحل المألوفة في
المحطات التقليدية ، وقلب المفاعل يتكون من
مجموعات من الأنابيب تحتوي على الوقود النووي
(اليورانيوم) الذي يولد انشطار النوى فيه حرارة
شديدة ، ويمر حول هذه الأنابيب تيار من الماء على
صفت مرتفع ، تنتقل إليه حرارة الانشطار ، فيتحول
إلى بخار يخرج من قمة المفاعل الى التوربينات ،
ليكمل الدورة المألوفة في محطات الطاقة التقليدية ،
وتحاط كل مجموعة من أنابيب الوقود بغلاف أسطواني
من معدن الزركونيوم ، تحيط به سدوره كتلة من
الجرافيت ، تقوم بإبطاء النيوترونات المنبعثة عن
انشطار ذرات الوقود ، لتعود فتشطر عددا أكثر من
نوى ذرات الوقود ، لتوليد المزيد من الحرارة ومن
النيوترونات ، وتحقق السيطرة في معدلات الانشطار
داخل المفاعل عن طريق قضبان تحكم ، تصنع عادة
من مادة تمتص النيوترونات مثل معدن الكاديوم ،
فتبطىء التفاعل أو توقفه حسب العمق الذي تولج به
في قلب المفاعل ، وتتكون شحنة المفاعل من : الوقود
النووي من حوالي عشرة ملايين من حبات أكسيد
اليورانيوم ، تزن الواحدة منها أقل من حرام واحد ،
مكدسة داخل أنابيب الوقود ، وقد يصل وزن
الشحنة الى حوالي مئة طن ، يجري تبديل ثلثها تقريبا
كل عام ، ويحيط بقلب المفاعل درع سميكة من
الفولاذ عالي المقاومة ، يصل سمك جداره الى حوالي
١٥ سنتيمترا ، هو وعاء الضغط الذي يتولد فيه
البخار ، وهذا الوعاء مغلف بدوره تغليفا كاملا بوعاء
احتواء آخر للوقاية ، اذا ما تصدع حدار وعاء
الضغط ، والمحطات النووية الحالية مصممة في
البلدان الغربية ، بحيث يتحمل وعاء الاحتواء
الخارجي ارتطام طائرة من طراز بوينج - ٧٠٧ بها
وتحطمها فوقها ، دون انهار هذه التحصينات ، ومن
ثم تسرب الاشعاع ، وتحيط بالمحطات النووية عادة
منطقتا أمان ، تعرف أولاهما بمنطقة الاستبعاد ، وهي
عبارة عن دائرة قطرها حوالي كيلومتر لا يسمح فيها
بوجود أحد سوى العاملين بالمحطة ، والثانية منطقة
منخفضة الكثافة السكانية تتمثل في دائرة أخرى محيطة
بالأولى قطرها ١٠ كيلومترات تقريبا ، يمكن إخلاؤها
تماما في غضون ساعتين من وقوع أي طارئ في
المحطة ينذر بالخطر (شكل ٢) ، وبهذا لا يتعرض

● تشريعات الخلفية والحقائق والتوقعات

كهربية ، ومصادر الاشعاع كثيرة جدا ، منها الطبيعي الذي يأتي من الفضاء الكوني ويتساقط على سطح الأرض باستمرار ، بل إن منها ما يكون في جسم الانسان نفسه ، وإنما يعيبا منها في إطار حادث مثل حادث تشريويل ما يصدر عن المواد المشعة ، وقدرة هذه المواد على بث الاشعاع تناقص مع الزمن ، وبمعدلات تختلف اختلافاً كبيراً من مادة إلى أخرى ، وتقاس هذه الخاصية بما يسمى اصطلاحاً « نصف عمر » المادة المشعة ، أي الزمن الذي يقضي قبل أن ينخفض الاشعاع الصادر عن المادة إلى نصف قيمته الأصلية (شكل ٤) . ويتزايد خطر المادة المشعة كلما ازداد نصف العمر لها ، إذ أنها تظل مصدراً للاشعاع الخطر لفترات زمنية أطول ، وتفاوت المواد تفاوتات هائلة في هذه الخاصية ، إذ تتراوح ما بين ثوان معدودات وسنوات طوال ، ومن الطريف أن تذكر هنا أن المواد المشعة تختلف في هذا اختلافاً جذرياً عن المواد السامة ، فبينما تفقد الأولى خطورتها مع مرور الزمن ، بطل أو قصر ، فإن الثانية تبقى إلى الأبد

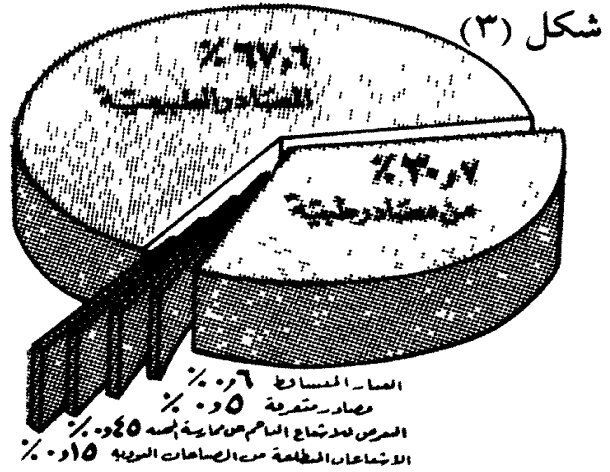
وبعيداً عن تسرب المواد المشعة من مفاعلات أو تفجيرات نووية ، فإننا نتعرض باستمرار لكميات من الاشعاع من مصادر طبيعية وصناعية ، وعلى رأسها الاشعاع من مصادر طبيعية يصل في المتوسط إلى ثلثي إجمالي ما نتعرض له ، ومن وسائل التشخيص والعلاجات الطبية (وعلى رأسها أجهزة الأشعة) ما يقل قليلاً عن الثلث الباقي (شكل ٣) ، ويرداد الاشعاع من مصادر طبيعية زيادة كبيرة في المناطق الحلية ، أو تلك التي تكثر فيها الرمال السوداء ، ونحن نتعرض أيضاً لجرعات إشعاعية إضافية عندما نجلس أمام شاشة التلفزيون ، أو عندما نسافر في طائرة أو بالاسان من أكثر الكائنات الحية ، سائراً أو حيواناً ، تأثراً بالاشعاع ، وآثار الاشعاع لا تتوقف بدهاءة على مقداره فقط ، ولكن أيضاً على مقدار الكتلة الحية التي تتعرض له ، وهكذا فإن وحدة قياس جرعة الاشعاع ، المسماة « ريم » تساوي مقدارا من الطاقة قيمته ١٠ - ١٠ من الجول (وحدة الطاقة) لكل جرام من المادة ، والواحدة الأكثر استخداماً هي « الميلي ريم » الذي يساوي جزءاً من الألف جزء من « الريم » . وآثار الاشعاع على الانسان إما أن تكون

الأنابيب التي تحتوي على وقود اليورانيوم والماء المعلي تحت ضغط مرتفع قد انهارت ، وبتح عن التفاعل الكيماوي بين معدن الراديوم والحرافيت تولد غازي الهيدروجين ، وأول أكسيد الكربون القابلين للاشتعال ، ومع احتلاطهما بالهواء وقع الانفجار الذي دمر وعاء الاحتواء الضعيف نسبياً في المفاعلات من هذا الطراز ، وانهار سقف مبنى المفاعل نتيجة للانفجار ، وانطلقت الحسيمات المشعة في الهواء ، ويبدو أن الانفجار قد أعطى أيضاً كل أجهزة توليد الطاقة الاحيائية ، وأصبح من المستحيل على المسئولين عن تشغيل المحطات تبريد المفاعل ، وتوالى هذا انهيار أنابيب الوقود ، الواحدة تلو الأخرى ، واستمرار توليد كميات أكبر من الهيدروجين الذي أتحح التيار المشتعلة ، وأطلق المزيد من المواد المشعة من قلب المفاعل

وهناك تصورات أخرى لمجريات الأحداث ، يقوم الخبراء السوفييت بدراساتها متعاونين مع آخرين في منظمات دولية ودول أخرى

ماهية الاشعاع وأخطاره

وبحتاح هنا إلى استطراد للتعرف بوصوح أكثر على ماهية الاشعاع ومصادره وأخطاره ، والاشعاع في جوهره طاقة ، وهو إما أن يكون على هيئة موجات كهرومغناطيسية مثل موجات الضوء أو الاتصالات اللاسلكية ، التي لا تختلف فيما بينها إلا في طول الموجة ، أو أن يكون حسيمات دقيقة تحمل شحنات



رسم تخطيطي لتوزيع متوسط الجرعة الإشعاعية التي يتعرض لها الانسان وفقاً لمصادرها

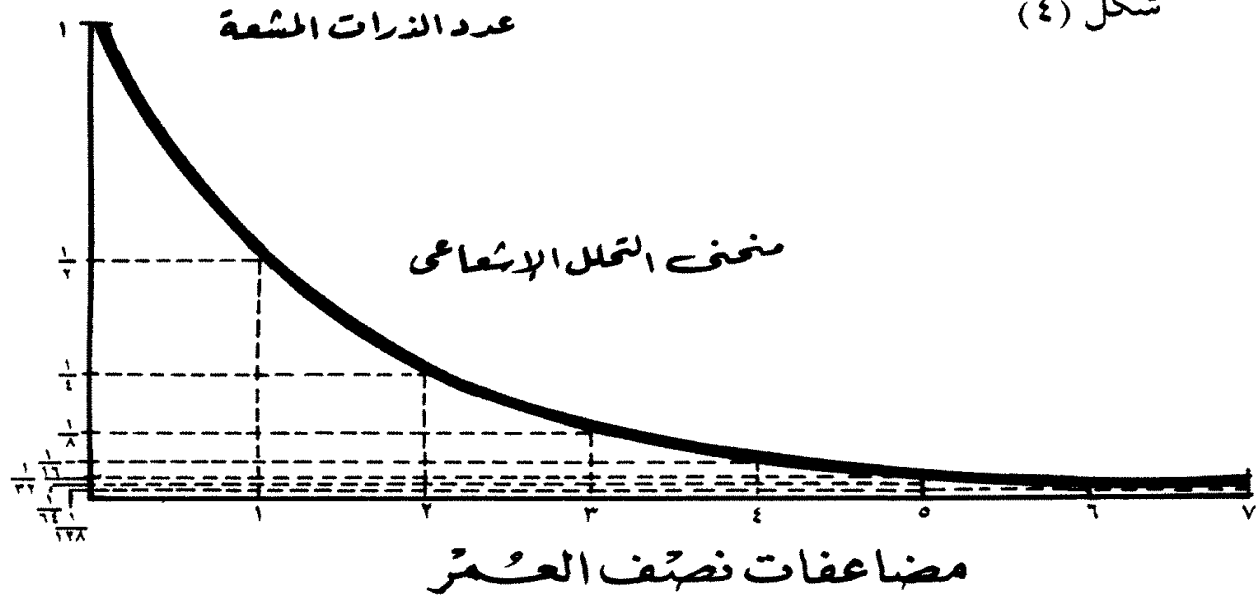
حدوث « طفرات » في جينات الوراثة في المصاب ، والحقيقة الواقعة هي أن آثار الإشعاع ربما كانت مدروسة ومفهومة فهما مفصلا يفوق ما نعرفه عن بعض الأخطار الأخرى التي يتعرض لها الإنسان ، وإن كان هذا لا يعني بالضرورة أن علاج هذه الآثار قد حقق تقدما حاسما في جميع الحالات ، والأمر الذي يعيننا هنا هو أن الموضوع الذي مازال يحيط به قدر كبير من الجدل هو الآثار بعيدة المدى للتعرض للإشعاع بجرعات منخفضة جدا لفترات طويلة ، ولا يملك العلماء إلا القياس على ما يعرفونه عن آثار الإشعاع بجرعات كبيرة ، ودون أن تتوفر لهم شواهد مؤكدة من نتائج التجارب الفعلية لوجود آثار سلبية للجرعات الإشعاعية الضعيفة على البشر ، وبورد في الجدول التالي فكرة عامة عن آثار التعرض للإشعاع بناء على أفضل ما يتوفر حاليا من المعلومات وأكثرها تحفظا .

مباشرة كما في حالة التعرض لجرعات كبيرة جدا من الإشعاع ، كما قد يحدث لأشخاص قريين جدا من مصدر إشعاع قوي ، مثل انفجار نووي أو تسرب كميات كبيرة من مواد مشعة من مفاعل نووي ، وهذه آثار واضحة وملموسة ، ولا تختلف في هذا عن آثار الحروق البليغة ، أو التعرض لتهتك في الجسم بسبب حادث مروري ، أو أثناء الحرب ، إلا أنها قد تكون أيضا بعيدة المدى بطيئة الفعل ، لا تظهر إلا بعد فترات زمنية طويلة ، وربما كان هذا هو سبب الذعر الذي يسيطر على الناس عند الحديث عن الإشعاع وأخطاره ، وهذه الآثار البطيئة تنقسم بدورها إلى نوعين : أحدهما مرضي والثاني وراثي ، والأول ينطوي على زيادة استهداف الشخص الذي يتعرض للإشعاع مرتفع ، وإن قل عن حد التلف العضوي المباشر ، للإصابة بالسرطان وللنقص في متوسط العمر ، والثاني يتعلق بآثار تنتقل إلى دريته عن طريق

مستويات الأخطار

مستوى الجرعة التي يتعرض لها الإنسان دفعة واحدة	
(مللي ريم)	الآثار البيولوجية
أقل من ١٠٠٠	لا توجد معلومات مؤكدة والنتائج تحسب استطرادا من المتوفر من معلومات عن الجرعات الأعلى ، وبصرف النظر عن معدلات التعرض للجرعة ، أي زمن التعرض للجرعة الاجمالية
١٠٠٠	١٠٠ حالة لوكيميا (سرطان الدم) لكل مليون ممن يتعرضون لهذه الجرعة ، على المدى الزمني البعيد .
أقل من ٢٥٠,٠٠٠	لا توجد آثار اكلينيكية ظاهرة لجرعات أقل من ٥٠,٠٠٠ مللي ريم ، ولا يمكن الكشف عن الآثار إلا بوسائل مخبرية .
أقل من ١٠٠,٠٠٠	لا تأثير يذكر على توقعات العمر .
أقل من ٢٥٠,٠٠٠	حالات وفاة لا تكاد تذكر ، مع نقص واضح في توقعات العمر ، وظهور حالات القيء والاسهال ، وتساقط الشعر والغثيان والتزيف والحمى وفقدان الشهية والهبوط ، والشفاء خلال ثلاثة أشهر .
٤٥٠,٠٠٠	الأعراض السابقة مع وفاة ٥٠٪ من المصابين في ظرف ثلاثين يوما ، واصابة الباقين على قيد الحياة بعجز دائم .
١,٠٠٠,٠٠٠	الأعراض السابقة والوفاة في فترة تقل عن ثلاثين يوما .

شكل (٤)



رسم تحطيطي بين الرمز الذي يقص فل ان يحفص الاشعاع الصادر من المادة الى نصف قيمه الاصلية

تساؤلات مشروعة

تبقى بعد هذا عدة تساؤلات مشروعة ، أولها عن الجرعة السوية التي تتعرض لها من مصادر طبيعية ، وهي في المتوسط حوالي ١٢٥ ملي ريم ، ولكنها ترتفع إلى ٥٠٠ ميلي ريم مثلا لمن يسكنون في مناطق حلية مرتفعة ، أو إلى ٢٠٠٠ ميلي ريم بالقرب من مصادر طبيعية للاشعاع موحودة في التربة ، وهي ترداد كلما تعرضا للكشف أو العلاج بالأشعة (الذي يطوي أحيانا على حرعات مرتفعة جدا في تركيز على موقع معين في الجسم بعرض قتل الخلايا ككوع من العلاج ١) أو كلما سافروا بالطائرة ، أو جلسا أمام

شاشة التلفزيون أو حاسب آلي ، ويعني هذا أسا تتعرض في متوسط عدد سنوات عمر الانسان الى حوالي ١٠٠,٠٠٠ ميلي ريم من المصادر الطبيعية ، وأن هذا قد يرداد عدة أصعاف من مكان إلى مكان أو بسبب التاريخ العلاجي أو المرضي أو حتى تعال لطبيعة المهمة

والسؤال الثاني المشروع هو ما هي توقعات الوفيات بالسرطان نتيجة التعرض لمصادر الاشعاع المختلفة ؟ وهناك تقديرات لهذه التوقعات بالنسبة للولايات المتحدة ، نوحها فيما يلي

الأسباب	بمصادر الإشعاع الطبيعية	بمصادر الطبية	بالطائرات	بالتلوث	بالتلوث	بالتلوث
متوسط هذه التوقعات بالسراة في العام	٢,٧٠٠	٢,٢٠٠	٢,٢٠٠	٢,٢٠٠	٢,٢٠٠	٢,٢٠٠

تقرير راسموسين

وكان من الطبيعي ، على ضوء هذه المعلومات أن يكون موضوع سلامة المفاعلات النووية ، وتقدير الآثار المحتملة لوقوع حوادث فيها ، محل اهتمام كبير ، ومن ثم ، كلف فريق من العلماء برئاسة أستاذ في معهد ماساشوستس للتقنية في الولايات المتحدة ، عام ١٩٧٢ ، بدراسة سلامة المفاعلات ، وتقييم مخاطر وقوع حوادث فيها ، وصدر في عام ١٩٧٥ تقرير مشهور يعرف باسم تقرير راسموسين ، على اسم ذلك الأستاذ ، وقد طور هذا التقرير مفهوم «المخاطرة» تطورا مهما يسمح بتقييمها عدديا بدقة أكبر ، وخلص التقرير إلى أن محطات الطاقة النووية قد حققت مستويات منخفضة من المخاطرة مقارنة بالكثير من الأنشطة الأخرى السائدة في المجتمع ، وقد تعرض التقرير للنقد من الكثيرين بعد صدوره ، كان من بينهم علماء وتقنيون من معضدي التوسع في استخدام الطاقة النووية ، إلا أنه عندما وقعت حادثة مفاعل « ثري مايل أيلند » لوحظ أن تسرب المواد المشعة كان أقل بكثير من المتوقع طبقا لتقرير راسموسين في حادث من هذا الحجم ، ودعا هذا الجمعية الأمريكية للفيزياء إلى تشكيل فريق علمي برئاسة الأستاذ ريتشارد ويلسون ، من جامعة هارفارد ، لاجراء دراسة أحدث لتسرب المواد المشعة بسبب حوادث جسيمة في محطات الطاقة النووية ، وتوفرت لهذا الفريق منهجيات علمية وامكانيات للنمذجة باستخدام الحاسب الآلي ، تفوق ما كان متاحا لفريق راسموسين ، وخلصت اللجنة إلى أن العواقب الوخيمة لتسرب مواد مشعة إثر حادث جسيم لا تحدث إلا اذا انهار العديد من الحواجز القائمة بين النشاط الاشعاعي والبيئة المحيطة بالمحطة (وهو ما يبدو أنه حدث في تشرنوبيل ولم يحدث في ثري مايل أيلند) ، وخلصت حسابات الفريق إلى أن تقديرات راسموسين للتسرب الاشعاعي مبالغ فيها في بعض

الحالات ، أو أنها لا تتغير كثيرا في حالات أخرى ، كما أن تقديره لاحتمال انهيار الوعاء الحاوي للمفاعل يكاد أن يكون ، طبقا لحساباتهم ، غير وارد في التصميمات الحديثة ، ولكنهم أشاروا إلى احتمالات أخرى ليس هذا مجال الخوض فيها ، وأوضحوا أنها ليست مفهومة فهما كاملا حتى الآن ، وان كانت البحوث تجري في أماكن عديدة لاستجلاء المسائل التي مازالت غامضة .

ومن المفيد أن نحاول شرح مفهوم المخاطرة في هذا السياق ، وهي تعرف بعدد حالات حدوث أمر غير مرغوب فيه (مثل الوفاة) ، ويمكن حسابها عدديا بمعرفة حجم الحسائر (عدد حالات حدوث الأمر غير المرغوب فيه) ومعدلات وقوع حدث يؤدي إلى هذه الحالات على النحو التالي :

المخاطرة (الحسائر في العام) = معدلات الحدوث (عدد المرات في العام) × حجم الحسائر (في كل مرة) .

فلو أن عدد حوادث القطار كان مثلا ١٠ حوادث في العام ، وكان متوسط الوفيات في الحادث الواحد حالتين ، فإن المخاطرة تكون ٢٠ في العام ، وتقدير مخاطرة وقوع حادث يعتمد على احتمالات وقوع الأنواع المختلفة من الحوادث وعلى نتائجها ، واحتمال حدوث سلسلة متعاقبة من الأحداث غير المرغوب فيها ، مثل تلك التي يبدو أنها وقعت في حادثة تشرنوبيل ، يساوي حاصل ضرب احتمالات حدوث كل واحد منها ، أي أنه سيكون أقل بكثير جدا من احتمالات حدوث أي منها منفردا ، ودون الدخول في التفاصيل الفنية الدقيقة . فإن هذا هو جوهر الطريقة التي اتبعت في تقرير راسموسين ، وكان تقديره لاحتمالات انصهار قلب مفاعل هو توقع حدوث مثل هذا الانصهار مرة كل أربعين عاما ، وهو التوقع الذي لا يختلف كثيرا عما حدث لو أخذنا في الاعتبار أن عمر محطات الطاقة النووية في الاتحاد السوفيتي قد تجاوز الثلاثين عاما^(٢) . ومن الضروري

(٢) لابد من التأكيد هنا أن انصهار قلب المفاعل لا يؤدي بالضرورة إلى تسرب المواد المشعة ، إذ أن هذا مرتين بالتحصينات المحيطة به وقدرتها على تحمل الاجهادات الناجمة عن الانصهار دون أن تتداعى وتسمح بانطلاق قدر كبير من هذه المواد . والتقدير السائد حاليا هو أن احتمالات انصهار قلب المفاعل ثم انهيار سلسلة التحصينات المحيطة بالمفاعلات الحديثة المزودة بأوعية احتواء شديدة المقاومة للانفجارات ، واحدة تلو الأخرى ، تكاد أن تصل إلى واحد في البليون !!

التي تعرض لها المواطنون لأهم مادتين مشعيتين جرى رصدهما ، فقد قَدَّر تأثير كميات مادة السيزيوم - ١٣٧ وهي مادة ذات نصف عمر طويل يصل إلى ٣٠ عاما ، بتأثير الجلوس أمام التلفزيون لمدة ساعة إضافية ، وذلك بافتراض بقاء تأثيرها عند المستوى الأقصى الذي سجل يوم ٨/٥/١٩٨٦ ، ومع أنه انخفض بعد ذلك بحدّة كما سبق أن ذكرنا ، أما تأثير مادة اليود - ١٣١ ، ونصف عمرها ثمانية أيام فقط ، وبافتراض بقائها عند مستوى الذروة الذي سجل في ذلك اليوم والتغاضي عن الانخفاض الكبير الذي سجل بعد هذا التاريخ ، وعن قصر نصف عمرها الذي يعني أنها ستختفي تماما من الجو بعد بضعة أشهر ، فهو أقل من تأثير سفرة بالطائرة من الكويت إلى لندن ذهابا وإيابا ! ويؤكد هذا أنه ليست للحادث أية آثار على جو الكويت تمثل خطورة حقيقية على المواطنين في الكويت ، لا في المدى القصير ولا على المدى البعيد .

آخر البيانات المتاحة

وطبقا لآخر البيانات المتاحة عند الكتابة ، فقد توفي ستة وعشرون شخصا ، بينما أصيب ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ شخص إصابات استدعت بقاءهم في المستشفيات حتى الآن ، بينما أجلى حوالي ١٠٠,٠٠٠ من السكان من المناطق المحيطة بالمفاعل ، ومن المتوقع بالنسبة هؤلاء أن يكونوا أكثر استهدافا للإصابة بالسرطان في السنوات المقبلة ، ومن ثم ، فإنهم سيخضعون لمتابعة صحية مستمرة بقية حياتهم ، وقد يظهر ما بين عشر حالات ومائة حالة إضافية - وربما أكثر من هذا قليلا - للإصابة بالسرطان بينهم ، وفقا للجرعات الإشعاعية التي تعرضوا لها ، وتؤكد جميع القياسات ونتائج الرصد إلى أن تأثير الحادث سواء على الجو أو المياه يكاد لا يذكر خارج المنطقة المحيطة مباشرة بالمفاعل .

ولقد ألغت معظم الدول الأوروبية المجاورة الإجراءات الاحترازية للوقاية من الإشعاع التي كانت قد اتخذتها في أعقاب الحادث ، في شأن غسل المواد الغذائية الطازجة ، أو منع تناول الحليب ، أو إبقاء الأطفال داخل المنازل ، أو فرض قيود على السفر ،

أن نؤكد قبل الانتقال إلى موضوع آخر أن هذه معالجة مبسّرة جدا لموضوع حساب الاحتمالات والمخاطرة .

شعاع غير محسوس

أن مثل هذه الحسابات العقلانية للاحتمالات ليست ذات أثر كبير في الرأي العام ، فلا يغني مثلا أن نذكر الناس بأن احتمالات وقوع حوادث سيارات تسبب الوفاة أكبر جدا من احتمالات وقوع حادث لطائرة ، وأن حجم الخسائر في النوع الأول لا يتجاوز عددا محدودا جدا من الأفراد ، بينما قد يصل إلى العشرات في النوع الثاني ، ومن ثم ، فإن المخاطر الناجمة عن حوادث السيارات ، والتي تساوي معدلات حدوثها مضروبة في الخسائر ، أعلى بكثير من مخاطر السفر بالطائرات ، ولا يغني بنفس القدر القول بأن المخاطر الناجمة عن حوادث المحطات النووية دون مخاطر النوعين السابقين من الحوادث كثيرا . ولننصف إلى هذا أن الإشعاع أمر يثير الرهبة في النفوس لأنه شيء غير محسوس ، من ناحية ، ولأن آثاره على المدى الزمني البعيد مبعث خوف مفهوم في الإنسان ، من ناحية ثانية ، لأنه يتجاوز في الانتشار الجغرافي لآثاره أيا من هذين النوعين .

ولننظر الآن في أبعاد الأضرار التي نجمت عن الحادث الذي وقع في تشرنوبيل ، والذي كان مصدر الخطر الذي امتد ، بدرجات متفاوتة ، شمالا إلى اسكندنافيا ، وغربا إلى أواسط أوروبا ، وجنوبا إلى الشرق الأوسط ، وشرقا داخل الاتحاد السوفيتي نفسه . ولقد جاء الخطر من المواد المشعة التي تطايرت في الجو وحملتها التقلبات الجوية إلى هذه المناطق ، وواضح ، كما سبق أن أوضحنا ، أن الإشعاع الناجم عنها يتوقف على كمية المادة المشعة التي حملتها الرياح إلى أي مكان ، ونصف عمر كل واحدة منها ، والفترة التي انقضت منذ انطلاقتها من حطام المفاعل حتى وصولها إلى هذا المكان ، وعلى سبيل المثال ، فإن آثار الحادث الذي وقع بين يومي ٢٥ و ٢٧ إبريل لم تظهر في الكويت إلا يوم ٣ مايو ، حين قفز الإشعاع المقيس في الجو بحدّة حتى يوم ٧ - ٨ مايو ، ليعود بعد ذلك إلى الانخفاض ، وبحساب الجرعة السنوية الإضافية

ومن المتوقع أيضا أن تبذل جهود علمية وتقنية مركزة في اتجاهين مترادين ، أولهما تطوير محطات أكثر سلامة مما هو متعارف عليه حاليا ، وتسير هذه الجهود في اتجاهين واعددين بتحقيق قفزة نوعية في السلامة ، إما عن طريق استخدام موائع تشغيل (سوائل أو غازات) غير تلك التي استخدمت حتى الآن ، مثل الصوديوم السائل أو غاز الهيليوم ، وإما بتصميم المنشآت النووية بحيث يؤدي الخلل فيها إلى توقفها تلقائيا عن التفاعل النووي ، مثل استخدام شكل من أشكال الوقود يؤدي ارتفاع درجة حرارته أكثر مما هو مسموح به إلى توقف عملية الانشطار النووي فيه ، والاتجاه المرادف هو عودة الاهتمام بدرجات أكبر لتطوير مصادر الطاقة المتجددة التي تباطأ السعي في تطويرها بعد انخفاض أسعار النفط ، ولا شك أن الطاقة الشمسية معين غزير بالطاقة غير الناضبة ما بقيت هناك حياة على سطح الأرض ، إلا أنه لم تظهر بعد على الأفق بشائر طفرة علمية - تقنية توفر طريقة مجدية للاستغلال الاقتصادي للطاقة الشمسية على نطاق كبير ، يقترب من أحجام الطاقة المتولدة في محطات الطاقة الكبرى المنتشرة اليوم في العالم ، ومن السابق لأوانه الجزم بأن الطاقة النووية في طريقها إلى الانحسار الدائم أو الاختفاء ، فالتعامل معها ، كما قال واحد من كبار العلماء الأمريكيين ، يمثل نوعا من الصفة التي عقدها فاوست مع الشيطان في رواية جوتة الشهيرة ، وهو لا يختلف كثيرا عن تعامل الإنسان مع النار أو الكيماويات البالغة السمية . ويبقى بعد هذا وذاك ، أمل كبير يسعى العلماء في كل مكان منذ سنوات عديدة لتحقيقه ، ألا وهو توليد الطاقة عن طريق الانصهار النووي ، وليس الانشطار ، وعندما يتحقق هذا بأسلوب عملي سيتوفر للبشرية مصدر للطاقة لا ينضب ، ولا تنتج عنه إشعاعات خطيرة ، ولا مخلفات ذات آثار بيئية مدمرة ، لسنوات طوال ، بل طالما بقي الإنسان . □

ومن المتوقع أن تلغى بقية الدول كل ما اتخذ من إجراءات احترازية خلال فترة قصيرة ، مع استمرارها في عمليات الرصد ودراسة البيانات وتحليلها ، إذ أن ذلك يوفر حصيلة وثروة علمية بالغة الأهمية بالنسبة للمستقبل تساهم في حسم الكثير من القضايا المتعلقة في شأن آثار الجرعات الإشعاعية .

خطط واحتمالات مستقبلية

ويبقى أخيرا النظر فيما يمكن أن تكون عليه عواقب هذا الحادث الذي شد انتباه العالم مرة أخرى إلى الأخطار التي تحيط بالطاقة النووية ، وواضح أن ضغط الرأي العام الشعبي سيؤدي إلى توقف ، أو على الأقل تباطؤ العديد من مشروعات إنشاء محطات طاقة نووية جديدة ، وأن هذا سيساعد ، من بين ما سينجم عنه ، إلى عودة أسعار النفط إلى الارتفاع ، ولا شك أيضا أنه سيحفز العلماء والمهندسين إلى بذل جهود مضاعفة لمزيد من الدراسة المتعمقة لاستجلاء ما بقي من غموض حول الاحتمالات المترتبة على حادث نووي ، من ناحية ، ولاهتمام مركز زيادة سلامة محطات الطاقة النووية القائمة ، من حيث إجراءات تشغيلها ، ونظم ضبط الجودة فيما يستخدم فيها من المواد والمعدات ، وطرق اختبارها دوريا بأكبر قدر من الدقة والاعتمادية ، وبالذات في تحسين إجراءات مواجهة الطوارئ والتدريب المتواصل والفعال لكل الأفراد والهيئات المسئولة عن هذا الأمر ، لضمان عدم تكرار الارتباك والتصرفات غير المناسبة والبطيئة الذي يبدو أنها قد سادت في الساعات الأولى من كارثة تشيرنوبيل ، والأهم من هذا كله هو التأكيد على ضرورة التعاون الدولي بآليات سياسية أو تنظيمية في تبادل المعلومات والمساعدة في احتواء الأضرار ، وهو ما يبدو أنه قد بدأ بالفعل ، وأنه سيؤدي إلى أنماط جديدة لمثل هذا التعاون .

■ ليست العظيمة في ألا تسقط أبدا ، بل في أن تسقط ثم تنهض من جديد .

(كونفوشيوس)

رشدية.. عربية أم لاتينية ؟

بقلم : الدكتور محمد عابد الجابري*

هل لابن رشد أتباع في الفكر الفلسفي العربي ؟ وهل هناك رشدية عربية بالمعنى

الاصطلاحي ؟ وماذا عن التيار الذي عرف في الغرب « بالرشدية اللاتينية » ؟

عن هذه التساؤلات وعن غيرها من فلسفة ابن رشد يجيب هذا المقال .

الراوي العارض ، بل المقصود من « الرشدية » ، في اصطلاحنا هنا ، هو النظام الفكري العام الذي تندرج تحته جميع القضايا والمسائل التي بحثها ابن رشد ، وأدلى فيها برأي ، وأيضا جميع القضايا والمسائل التي تقبل الاندراج تحت نفس النظام الفكري ، حتى لو لم يبحثها صاحبه أو يدل فيها برأي صريح .

تحديد عام

والرشدية في هذا مثلها مثل المذاهب الفلسفية التي من هذا النوع كالسينوية ، نسبة الى ابن سينا ، أو

« الرشدية » نسبة الى ابن رشد الفيلسوف « المعروف » - ونضع كلمة «معروف» بين مزدوجتين تحفظا ، لأننا لا نعتقد أن ابن رشد معروف فعلا بالقدر الكافي ، القدر الذي نعرف به ابن سينا أو الغرالي مثلا ، أو الذي يعرف به الاوروبيون ديكارت أو سبينوزا أو لوك أو روسو . الخ - والمقصود بـ « الرشدية » : مضمون فكر ابن رشد ، مضمونه النسقي العام . وبعبارة أخرى أن المقصود ليس أقوال ابن رشد وآراءه في هذه المسألة الجزئية أو تلك ، في هذا المجال أو ذاك ، ولا حتى مجموع هذه الآراء معروضة عرضا يسوده السرد والانتقال ، من موضوع الى موضوع انتقالا يخضع للاتفاق والمصادفة أو لرغبة

* أستاذ الفلسفة بجامعة محمد الخامس بالرباط ، باحث ومفكر ، وله عدد من المؤلفات في الفكر والفلسفة .



ابن رشد

في تفكيره عن جملة من المبادئ والأصول ، يلتزم بها التزاماً ، فيفهم على ضوءها ما يعترضه أو يعرض عليه من المسائل ، ويقرر بالاستناد عليها وعلى مقتضياتها ما يصدره من أحكام ، ويصل اليه من نتائج ، مما يجعل الحديث عن الرشدية بالمعنى الذي حددناه قبل هذه الصيغة ومثيلاتها ، حديثاً مشروعاً تماماً .

الرشدية اللاتينية

ان ما يسمى بـ « الرشدية اللاتينية » - ويجب أن نضيف أيضاً « الرشدية العبرية » كما سنبين فيما بعد - هي قراءة خاصة لبعض جوانب فكر ابن رشد ، وليس لفكره ككل ، وبما أن هذه القراءة قد تمت عبر الترجمة من العربية الى اللاتينية ، أو من العربية الى العبرية ، ومن هذه الى اللاتينية ، من جهة ، وبما أن هذه القراءة قد تمت ، من جهة أخرى ، داخل ثقافة تختلف بمرجعيتها وبمشاكلها وأشكالياتها عن الثقافة التي فكر داخلها ابن رشد وبوحي من قضاياها

الديكارتيّة نسبة الى ديكارت ، أو الهيكلية نسبة الى هيكل ، بل مثلها مثل المذاهب الفكرية والدينية التي تنطلق من منطلقات معينة ، لتنتهي الى نتائج معينة ، تحدها حدود معينة ، مثل المذهب المعتزلي والمذهب الأشعري . . الخ ، أقول ان الرشدية مثلها مثل هذه المذاهب جميعاً ، لا تتحدد بما تقرره أو تصرّح به أو تصدره من فتاوى وحسب ، سواء كان ذلك مما يدخل في حيز الفعل ، فعل التقرير والتصرّيح والافتاء ، أو مما يدخل في حيز الامكان ، بل انها تتحدد كذلك بما تسكت عنه لكونه يقع خارج مجال رؤيتها وبعيدا عن مركز اهتمامها .

قد يتفق معنا القارئ حول هذا التحديد العام - أعني الاجمالي الذي يحتاج الى مزيد دقة - لمعنى النظام الفكري الذي نسميه الرشدية أو السينوية أو الديكارتيّة . . الخ ، ولكنه قد يعترض ، ومن حقه أن يفعل ، على العبارة التي وضعناها عنواناً لهذه المقالة « العجالة » : عبارة « الرشدية العربية » . ذلك أن من المعروف تاريخياً أن فلسفة ابن رشد لم يكن لها ما بعدها في الثقافة العربية ، وان أي أحد من المفكرين داخل هذه الثقافة لم يستأنف التفكير فيها ، لا اتباعاً وتقليداً ولا اعتراضاً وتفنيداً ، وانما المعروف تاريخياً هو أن فلسفة ابن رشد قد انتقلت بعد وفاته مباشرة الى أوروبا ، حيث كان لها هناك أتباع وشأن لدى أربعة قرون على الأقل ، من القرن الثالث عشر الى القرن السادس عشر ، وقد عرف أتباعها في تاريخ الفكر الأوروبي في العصور الوسطى باسم « الرشدين اللاتينيين » ، وعرف التيار الفكري الذي أوجدوه بـ « الرشدية اللاتينية » .

واذن ، هناك رشدية لاتينية معترف بها تاريخياً ، ومعروفة تفصيلها لدى المختصين في الفلسفة الأوروبية ، فلسفة العصور الوسطى منها خاصة ، وبالمقابل هناك « غياب » لأثار فكر ابن رشد في الثقافة العربية الاسلامية ، فكيف يمكن الحديث اذن عن « رشدية عربية » ؟

اعتراض مشروع . . ولكن الجواب عنه غير ممتنع ، وفيما يلي بعض المعطيات التي تجعل الحديث عن « الرشدية العربية » ممكناً بل مبرراً .

ان فكر ابن رشد فكر منظومي ، بمعنى أنه يصدر

ابن رشد هم ابن تيمية والشاطبي وابن خلدون ، واذن فد « الرشدية العربية » هي النظام الفكري الذي صدر عنه ، بهذه الدرجة أو تلك ، مفكرون مسلمون يحتل ابن رشد واسطة عقدهم ، ليس هذا وحسب بل انها أيضا ما يمكن أن يبعث اليوم من فكر ابن رشد ، أعني ما يشكل استئناف النظر فيه أحد عناصر الأصالة التي ننشدها لفكرنا العربي المعاصر . الحديث عن « الرشدية العربية » ، اذن ، ليس ممكنا وحسب ، بل هو مطلوب أيضا في زمننا العربي الراهن ، الزمن الذي يحتاج الى روح ابن رشد ، روحه النقدية العقلانية .

شخصية ابن رشد

يقول ارنيست رينان المفكر والباحث الفرنسي المعروف في كتابه « ابن رشد والرشدية » (ظهر هذا الكتاب أول مرة عام ١٨٥٢ ، ونقله عادل زعير الى العربية عام ١٩٥٧ ، أي بعد أكثر من قرن من تأليفه ، وما زال هذا الكتاب أهم مرجع حول « الرشدية اللاتينية » ، يقول : ان شخصية ابن رشد في الفلسفة السكلائية ، وهي بصورة عامة الفلسفة الاوروبية في القرون الوسطى ، « شخصية مضاعفة » : فمن جهة كان ينظر الى ابن رشد على أنه « الشارح الأكبر » لمؤلفات أرسطو ، الشارح الذي كان يحظى بالتقدير والاحترام ، حتى من أولئك الذين كانوا يناهضونه ويردون عليه من رجال اللاهوت المسيحي في القرون الوسطى ، ومن جهة أخرى كان ينظر اليه من طرف هؤلاء أنفسهم على أنه « عدو الأديان وأبو الزنادقة والمبشر بالدجال » .

وهذه « الشخصية المضاعفة » ، أو على الأصح هاتان النظرتان المتناقضتان اللتان تقاسمتا رأي رجال الفلسفة واللاهوت في أوروبا القرون الوسطى حول ابن رشد ، نجد ما يشبهها لدى « رجال الفكر » في الثقافة العربية ، سواء أثناء حياة ابن رشد أو بعد مماته .

فابن الأبار يترجم له في كتابه « التكملة لكتاب الصلة » عبارات كلها اجلال وتقدير ، يقول فيها : « محمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد من أهل قرطبة وقاضي الجماعة بها ، يكنى أبا

الخاصة ، فانه من المنتظر ، وهذا ما حصل فعلا ، أن تتلون الرشدية اللاتينية بأطياف غير غربية وغير اسلامية ، أو على الأقل لم تكن مطروحة في الساحة الثقافية العربية بنفس الصورة التي طرحت بها في الثقافة اللاتينية المسيحية ، والنتيجة هي أن الرشدية اللاتينية هذه لا تعبر عن فكر ابن رشد ، كما يمكن أن يقرأ ويفهم في الثقافة العربية الاسلامية ، وما دام الامر كذلك ، فماذا سنسمي الرشدية المقروءة والمفهومة داخل الثقافة العربية ، وعلى ضوء معطياتها الخاصة ، اذا لم نسمها : « الرشدية العربية » .

سيقال ان « الرشدية العربية » بهذا المعنى ، هي ما كان سيكون لو أن فلسفة ابن رشد كان لها ما بعدها في الثقافة العربية ، لو أن ابن رشد كان له أتباع وأنصار ، ولو أن الأطروحات التي قال بها قد أعيد فيها التفكير واستؤنف فيها النظر من بعده . أما وأن هذا لم يحدث ، فان « الرشدية العربية » لا تعدو أن تكون مشروعا فكريا بقي في حيز الامكان ، ولم يخرج الى حيز الوجود .

والجواب أن هذا الاعتراض انما يستند الى فهم ضيق لمعنى « الرشدية » ، المعنى المستوحى من مضمون الرشدية اللاتينية ، ذلك أن ما غاب من الرشدية عن الثقافة العربية ، بعد ابن رشد ، هو الجانب الارسطوطاليسي منها : أعني تأويل ابن رشد للمسائل التي تركها أرسطو معلقة ، وبكيفية عامة فهم ابن رشد لأرسطو ككل ، ولكن الرشدية ليست مجرد « شروح ابن رشد على أرسطو » بل هي أيضا ردوده على الغزالي وابن سينا ونقده لمذهب الأشاعرة ، وتحليله لـ « مناهج الأدلة في عقائد الملة » وتقديره لنوع « الاتصال » القائم بين الشريعة والحكمة ، ليس هذا وحسب ، بل ان الرشدية هي أيضا - وهذا أهم من وجهة نظرنا - منهج ومفاهيم ورؤية ، أعني أنها نظام معرفي أطلق عليه ابن رشد اسم « البرهان » ، وهذا النظام المعرفي البرهاني الذي يؤسس الرشدية ، والذي بلغ أوج نضجه في الثقافة العربية الاسلامية من خلالها ، يرجع تاريخ تبلوره في هذه الثقافة الى ما قبل ابن رشد ، وبالتحديد الى ابن حزم وابن باجة ، كما أن « توجيهاته » بقيت حاضرة في هذه الثقافة نفسها الى ما بعد ابن رشد ، اذ نجد بصماتها واضحة في فكر ثلاثة من أكبر مفكري الاسلام بعد

المعرفة بالطب والفلسفة وعلومها ، فيذكر قائمة بأسماء كتبه في هذه العلوم ، بالإضافة الى مؤلفاته في علوم الدين واللغة ، واصفا اياه بأنه : « مشهور بالفضل ، معتن بتحصيل العلوم ، أوحده في علم الفقه والخلاف » (= بين المذاهب الفقهية) وانه « كان أيضا متميزا في علم الطب . . جيد التصنيف حسن المعاني » كما كان « حسن الرأي ذكيا ، رث البزة ، قوي النفس . . . » .

ابن رشد والمحنة

والى جانب هذه الصورة الموضوعية التي يقدمها لنا عن ابن رشد مؤرخو الفكر ورجاله في الثقافة العربية الاسلامية ، هناك صورة أخرى ينقلها هؤلاء أنفسهم ، كما ينقلها غيرهم ، عن خصوم ابن رشد في حياته والشامتين فيه أثناء محنته ، وتتركز خطوط هذه الصورة ، صورة ابن رشد في نظر خصومه ، حول الأسباب التي جعلت الخليفة الموحيدي يعقوب المنصور يغضب عليه ويهينه وينفيه الى قرية اليسانة خارج قرطبة ، والتهمة الرسمية التي وجهت الى ابن رشد ، والتي بها حوكم ونفي ، هي اشتغاله بعلوم الأوائل وشرح كتبهم .

ينقل الأنصاري أن ابن رشد « كان من أهل العلم والتفنن ، وأخذ الناس منه واعتمدوه ، الى أن شاع عنه ما كان الغالب عليه في علومه من اختيار العلوم القديمة والركون اليها وصوب عنايته جملة نحوها ، حتى لخص كتب أرسطو الفلسفية والمنطقية واعتمد مذهبه فيها يذكر عنه ويوجد في كتبه ، وأخذ ينحي على من خالفه ، ورام الجمع بين الشريعة والفلسفة ، وحاد عما عليه أهل السنة ، فترك الناس الرواية عنه . . وتكلموا فيه بما هو ظاهر من كتبه » .

ولا يذكر الذين رووا أخبار محنته مسألة معينة خالف فيها الدين ، واستوجبت محاكته وابعاده ، سوى قوله ناقلا عن اليونانيين ان « الزهرة أحد الآلهة » ، يذكر الذهبي « ان قوما ممن يناوئه بقرطبة ويدعي معه الكفاءة في البيت والحشمة ، سعوا به عند أبي يوسف (يعقوب المنصور الموحيدي) بأن أخذوا بعض تلك التلاخيص ، فوجدوا فيه بخطه حاكيا عن بعض الفلاسفة : قد ظهر أن الزهرة أحد الآلهة ،

الوليد ، روى عن أبيه أبي القاسم ، استظهر عليه الموطأ حفظا ، وأخذ يسيرا عن أبي القاسم بن بشكوال ، وأبي مروان بن مسرة ، وأبي بكر بن سمحون ، وأبي جعفر بن عبدالعزيز ، وأجاز له هو وأبو عبدالله المازري ، وأخذ علم الطب عن أبي مروان بن حربول البلسي ، وكان الدرزية أغلب عليه من الرواية ، درس الفقه والأصول وعلم الكلام وغير ذلك ، ولم ينشأ بالاندلس مثله كمالا وعلميا وفضلا ، وكان على شرفه أشد الناس تواضعا وأخفضهم جناحا ، عُني بالعلم من صغره الى كبره ، حتى حكى عنه أنه لم يذع النظر ولا القراءة منذ عقل الا ليلة وفاة أبيه وليلة بنائه على أهله ، وأنه سود فيما صنف وقيد وألف وهذب واختصر نحو من عشرة آلاف ورقة ، ومال الى علوم الأوائل ، فكانت له فيها الامامة دون أهل عصره ، وكان يفزع الى فتواه في الطب كما يفزع الى فتواه في الفقه ، مع الحظ الوافر من الاعراب والآداب ، حكى عنه أبو القاسم بن الطليسان ، انه كان يحفظ شعري حبيب (أبي تمام) والمنتبي ، ويكثر التمثل بهما في مجلسه ، ويورد ذلك أحسن ايراد ، وله تصانيف جليلة الفائدة ، منها : كتاب « بداية المجتهد ونهاية المقتصد » في الفقه أعطى فيها أسباب الخلاف ، وعلل فوجّه ، فأفاد وأمتع به ، ولا يعلم في فنه أنفع منه ولا أحسن مساقا ، وكتاب « الكليات » في الطب و« مختصر المستصفى » في الأصول وكتابه بالعربية الذي وسمه بـ « الضروري » (= في النحو) وغير ذلك ، وولي قضاء قرطبة بعد أبي محمد بن مغيث ، فحمدت سيرته وتأملت له عند الملوك وجاهة عظيمة ، لم يصرفها في ترفيع حال ولا جمع مال ، انما قصرها على مصالح أهل بلده خاصة ، ومنافع أهل الاندلس عامة . . وامتنحن بأخرة من عمره فاعتقله السلطان وأهانته ، ثم عاد فيه الى أجل راية ، واستدعاه السلطان الى حضرة مراکش ، فتوفي بها يوم الخميس التاسع من صفر سنة خمس وتسعين وخمسائة . . ومولده سنة عشرين وخمسائة . . واذا كان ابن الأبار يبرز في ثقافة ابن رشد الجانب « البياني » منها ، أعني تضلعه في العلوم العربية الاسلامية ، فان ابن أبي أصيبعة ، الذي استعاد الجوانب الأساسية من ترجمة ابن الأبار ، يبرز بصورة خاصة الجانب الآخر من ثقافة صاحبنا ، جانب

● رشدية عربية . . أم رشدية لاتينية ؟

« جماعة آخر من الفضلاء الأعيان ، وكان من بينهم فقهاء وقضاة لم يكونوا من الفلاسفة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى يجمع المؤرخون على أن المنصور عفا فيما بعد عن هؤلاء جميعا ، وأعاد اليهم اعتبارهم ، وردهم الى مكانتهم ، وفي مقدمتهم ابن رشد نفسه الذي استدعاه المنصور الى بلاطه بمراكش فـ « عاد الى أجل راية » كما يقول ابن الأبار ، ليس هذا وحسب ، بل ان المنصور نفسه « لما رجع الى مراكش نزع عن ذلك كله (أي عن غضبه على الفلسفة والفلاسفة) وجنح الى تعلم الفلسفة ، واستدعى ابن رشد للاحسان اليه فحضر » .

لنصف أخيرا أن ابن رشد تعرض لهذه المحنة في أواخر عمره ، قبل وفاته ببضع سنين فقط ، أي أن قضى أكثر من أربعين عاما في الاشتغال ، وعلومها ، وبعد أن انصرف الى شرح كتب بأمر من الخليفة الموحد أبي يعقوب والد المنصور . . كل ذلك لا يدع مجالا للشك في أن السبب فيما تعرض له ابن رشد و « جماعة الفضلاء الأعيان » من نفي وابعاد ، كان سببا سياسيا ، وانه عندما زال هذا السبب رفعت المحنة عن الضحايا المبعدين ، وأعيدوا الى سابق شأنهم ومكانتهم . وبعد ، فإن المرء لا يملك الا أن يشك شكاً لا حدود له في صحة ما ينسب الى ابن رشد من تهم في عقيدته ودينه ، وهي بعد تهم غير محددة ، وانما هي مجرد تأويل عليه من طرف المنافسين له والحاquدين ، هذا عن ابن رشد العربي ، ابن رشد الحقيقي ، أما عن « ابن رشد » الآخر ، إمام « الرشديين اللاتين » فقد اتهمه رجال الدين المسيحي بالالحاد ، ليس فقط لأنه كان يقرر آراء « الوثنيين » بل أيضا لأنه كان عربيا مسلما من أتباع محمد (صلى الله عليه وسلم) . □

فاوقفوا أبا يوسف على هذا ، فاستدعاه بحضور من الكبار بقرطبة ، فقال له : أخطك هذا ؟ فأنكر ، فقال : لعن الله كاتبه ، وأمر الحاضرين بلعنه ، ثم أمر باخراجه مهانا وابعاده ، وابعاد من تكلم في شيء من هذه العلوم وبالوعيد الشديد ، وكتب الى البلاد بالتقدم الى الناس في تركها ، وباحراق كتب الفلسفة ، سوى الطب والحساب والمواقيت .

ملك البربر . . أم البرين

ويذكر المؤرخون ، بالاضافة الى ما تقدم ، أن المنصور الموحدى حقد على ابن رشد لكونه قال في شرح كتاب الحيوان لأرسطو ، عند ذكره الزرافة : « رأيتها عند ملك البربر » ، يعني المنصور . « فلما بلغ ذلك المنصور صعب عليه ، وكان أحد الأسباب الموجبة في أنه نقم على ابن رشد وأبعده ، ويقال أن مما اعتذر به ابن رشد أنه قال : انما قلت : ملك البرين (بر الأندلس وبر المغرب) وانما تُصَحِّفُ على القارئ فقال ملك البربر » . كما يذكرون من أسباب نقمة المنصور عليه أنه كان بينه وبين يحيى أخي المنصور ، ووالي قرطبة ، علاقات صداقة خاصة ، وكان بين المنصور وأخيه يحيى هذا ، حين ذاك ، نفور وجفوة ، كما يذكر المؤرخون من أسباب حقد المنصور على ابن رشد أن هذا الأخير لم يكن يراعي مقام المنصور كخليفة عند الكلام معه في مجالسه ، اذ كان يخاطبه بقوله : « تَسْمَعُ يا أخي » .

والذي يظهر مما يذكره المؤرخون عن أسباب محنة ابن رشد هو أن السبب الحقيقي كان سببا سياسيا ، ذلك أن المحنة التي تعرض لها ابن رشد شملت أيضا

- هذه السيدة التي هي أومى من خيوط العنكبوت كانت لي حصنا (فريد الدين العطار عن أمه وهو وزير) .
- العقاب قد يمنع الاندفاع الى الشر ، ولكنه لا يدفع أبدا الى الخير (هوراس مان) .

الله والإنسان والحرية

بقلم : الدكتور حسان حتوت

لن يكون للإنسان شأن إلا بالحرية ، ولن ينهض من كبوته إلا بالحرية ، ولن ينعم

بانسانيته إلا بالحرية ، فالحرية هي الحياة ، وهي سر الإنسانية .

ولأكدت أن هذا البناء وراءه مهندس حتى ولو لم تشاهد هذا المهندس . . . ذلك بأن الصنعة دليل على وجود الصانع ، ويجول خاطرك العلمي في محتويات هذا الكون من الذرة الى المجموعة الشمسية ، ومن كرة الدم الحمراء الى الكبد الذي يعتبر أضخم معمل كيميائي معروف ، الى قوانين الطبيعة والكيمياء والحياة ، فترى في كل منها ما هو أكثر صنعة واحكاما من قاموس مرتب أو قصر مشيد . . . فالخلق دليل على وجود الخالق ، والله اذن حق .

بين الخير والشر :

وخلق الله الخلق . . . أصغر ما فيه الذرة ، وهذه تحكمها قوانين علم الطبيعة . وتلتحم الذرات لتكون جزيئات ، تلتحم فيما بينها كذلك في نطاق قوانين الكيمياء . . . وتتعدد الجزيئات حتى تصل الى جزيء حمض النوويك ، ذلك الذي يقدر أن ينشطر الى

اما ان الله موجود فنعم . . الله موجود وغالبية الناس الآن في عالمنا هذا تنكره أو تعرفه ، ولكن تجهل حقه .

فالله موجود تراه البصيرة ، فان عميت البصيرة دل عليه العقل ، فانك ان تصفحت القاموس فرأيت فيه الكلمات مرتبة حسب ترتيبها الأبجدي في نظام لا يختل ، ثم أخبرك صاحب ان هذا نتج عن انفجار قنبلة في مطبعة ، تطايرت به الحروف الى السماء فلما وقعت على الأرض وجدت - هكذا - مرتبة بترتيب القاموس ، لما قبل عقلك العلمي هذا التفسير ، ولما قبلته فطرتك السليمة . . . ولو حدثك محدث عن الصحراء وما فيها من صخر ورمل وعيون ماء وواحات ذات أشجار وجبال مختلف ألوانها مما بها من معادن ، ثم سرت في الصحراء فوجدت هذه المكونات ذاتها ، ولكن على هيئة قصر فاخر منمق ومرتب ، لاستحال لديك أن يكون القصر قد تكون عشوائيا أو طبعيا مادامت مكوناته موجودة ،

الداخلي الذي يقرر ما يختاراً إلا تصارع الاغراء مع الواجب ، والحق مع الباطل والحلال مع الحرام . . ومادام الانسان هو الذي يختار ، فهو اذن مسئول عن اختياره ومحاسب عليه .

الحرية والأمانة :

الانسان وحده هو الذي يعيش حياة مستمرة من التحليل واصدار القرار ثم تحمل مسؤولية قراره ، ولعل هذا هو معنى الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان . . . ولعل الله من أجل ذلك أمر الملائكة أن تسجد له رغم علمها أنه يصيب ويخطئ ، ويفسد ويصلح ، ويتبع الحق أو يسفك الدماء ، وتنمو الانسانية وتتعدد الحياة ، فيرسل الله بالرسول والشرائع تبين مواطن الشر ، وتدل الى مواطن الخير ، وتذكر الانسان بمسئولية القرار وعاقبة الاختيار عندما يحين وقت الحساب .

ويقضي العقل والمنطق وعدالة الله انه لا مسئولية على فاقد الاختيار ، ولما كان الله قد أكد للانسان أنه مسئول ، فمعنى ذلك أن الله وهب للانسان الحرية ، بل ان هذه الحرية هي روح انسانية الانسان التي هو بها انسان . . . فإن ضاعت الحرية ضاعت الانسانية . . الفكرة الكامنة وراء خلق الله للجنس البشري هي مشيئته تعالى ان يخلق جنسا يتفرد على غيره من الأجناس بأنه الجنس ذو الحرية . . واذن فهو الجنس ذو المسئولية .

وعندما أنزل الله تعالى دينه الخاتم جعل الدخول فيه عن حرية . . فقال « لا إكراه في الدين » وأمر نبيه عليه السلام أن يدعو الى الحق « فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » وحدد له مهمته فقال « إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » ، وبين له اداة الدعوة فجعلها « بالحكمة والموعظة الحسنة » ، وحذره من أن يستبد به الحزن ان لم يستجب الناس لدعوته « ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ، أفأنت تكفر الناس حتى يكونوا مؤمنين ؟ » هذه وأمثالها وصايا تحرص كل الحرص على حرية الانسان فيما يختار ، ففي أصل قضاء الله أن الناس أحرار .

نصفين يستطيع كل منهما ان يكمل نفسه الى جزئي كامل جديد ، أي أن له خاصية النماء . . فهي اذن الحياة في أول أدوارها . ثم تتعدد صور الحياة وتتشعب ، ولكن وحدتها دائماً جزئيء حمض النووي ، وترتقي الحياة في تراكبها من المكروب الى الحشرات الى الطير والحيوان الى الانسان . . كل أطوارها تدور حول حامض النووي ، وكل تركيبها من مادة الأرض وما يصنعها من ذرات ومن جزيئات ، وننظر الى الانسان ما هو وأين هو من ذلك السُّلم ؟ الذرات فيه تحكمها قوانين الذرة ، والجزيئات فيه تحكمها قوانين الجزيئات ، والحياة فيه تحكمها قوانين الحياة . . وليس ذلك قصراً على الانسان ، اذ يشاركه في الحمار والحصان والقرد والكلب والجاموس ، التركيب الكيميائي واحد ، والوظائف الحياتية واحدة ، ولا يكاد الغذاء والنماء والهضم والاخراج ودورة الدم والتنفس والتناسل والتحرك يختلف بين الانسان والحيوان . . فهل الانسان حيوان ؟

الجواب لا . . لأن الانسان صعد على السلم درجة لم يصعدا غيره . . وهي التي ميزت الانسان انساناً ولم تتركه حيواناً . . ارتقى الانسان فوق قوانين الحياة الى دائرة قوانين الأخلاق ، ولو لم يجاوز الانسان حيوانيته الى تلك المنطقة لظل حيواناً ، ولعله لم يكن آنذاك خير حيوان . . فالأسد أقوى منه ، والحمار أصبر منه ، والفهد أسرع منه ، والنمل أدق منه نظاماً ، والأرنب أغزر منه ذرية ، ولكن الانسان صاحب الدرجة الرفيعة ، لانه جاوز عالم لحمه ودمه الى عالم الضمير والأخلاق والوجدان ، لم نعرف حماراً جاع فتعفف عن حزمة برسيم حاضرة لأنها لا تخصه ولكن تخص حماراً آخر . . أو عطش والماء أمامه فلم يشرب لأنه يهذب نفسه بالصيام ، أو ناداه الجنس فتعفف لأن الأتان السانحة غير حليته ، الحيوانات تتصرف بغرائزها المركوزة فيها فقط . . وهكذا أراد لها خالقها ، فهي لم تزود بمفهوم الخير والشر ، وحتى الملائكة التي تفعل الخير ولا تفعل الشر فإنها لا تعرف الشر . . الا الانسان . . فقد زوده خالقه بمفهوم الخير والشر ، وبالعقل الذي يفرق بينهما ، وبالجهاز

ولقاؤنا كان الأخير

ومضيت . . والحسرات أغلبها وتغلبني فأبدأ بل أعيذ
وتهولني الذكرى وتعصف ثم بالصبر الحديد
ويهولني الأمس القريب يلوح كالوهم البعيد
وأراك من بين الضباب سراب ظمان بيذ
يا ملهمي . . !

ولقاؤنا يا ملهمي . . أنى يكون . . ؟ وبيننا درب بعيد
ولقاؤنا نجوى الأحية . . دمة عبر القصيد
ولقاؤنا . . نسَمُ الرُّبى أو رُوح أنفاس النخيل
ولقاؤنا بين الكواكب في هنيهات الأصيل . .
ولقاؤنا يا ملهمي وهم جميل . .
ولقاؤنا يا ملهمي حلم طويل . .

وتلوح لى قبسا على الدرب البعيد
وتضيء بي فأراك أقرب ثم من جبل الوريد
يا ملهمي . . !

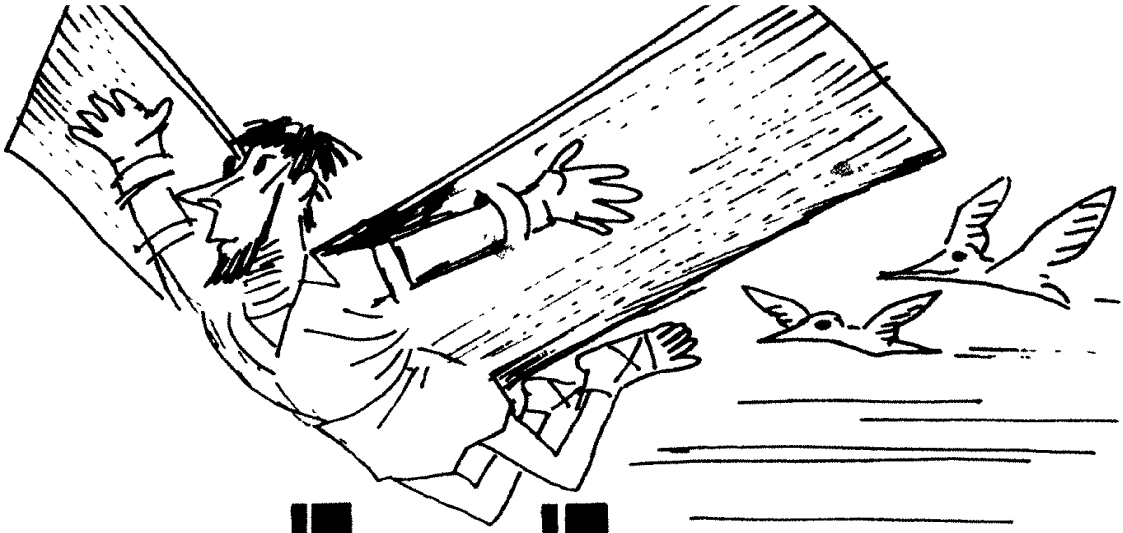
والوذ بالقلب الوحيد
ويخونني الصبر الجليد
وتقهقه العبرات تحذلى
كقهقهة الوعيد
يا ملهمي . . !

فمتى أراك . . ؟ متى أراك . . ؟
وبيننا بحر ويذ
يا ملهمي . . !

ولقاؤنا حلم بعيد
حلم كأطياف الوصال
وهل لطيف بن معيد . . ؟



يا ملهمي
 متى أراك ؟ متى ترانا نلتقى
 ويكون عيداً
 يا ملهمي
 وعدوت تأريحا عتيذ
 لحافقي ، وحتمت بالنور القصيد
 وحللت كالوحي الأصيل
 فرائدا في كل حين
 يا ملهمي
 وطويت في صمت طويل
 ودفنت في شفق الأصيل
 وذهبت ما أبقيت إلا
 همس قيتار عليل
 يا ملهمي
 ورهدت بالقلب الكبير
 وكمرت بي
 والكفر بي أمر خطير
 أفلا علمت بأنني وبأنني
 يا ملهمي أفلا علمت
 وأصعنتي وحلقت أساب الصباغ
 فلالقاء ولا وداع يا ملهمي
 فلقاؤنا وهم حيل
 ولقاؤنا حلم طويل
 ولقاؤنا لا لئ يكون
 لقاؤنا يا ملهمي لا لئ يكون
 فلقاؤنا كان الأخير
 لقاؤنا كان الأخير



الطيران

في نهاية القرن العشرين

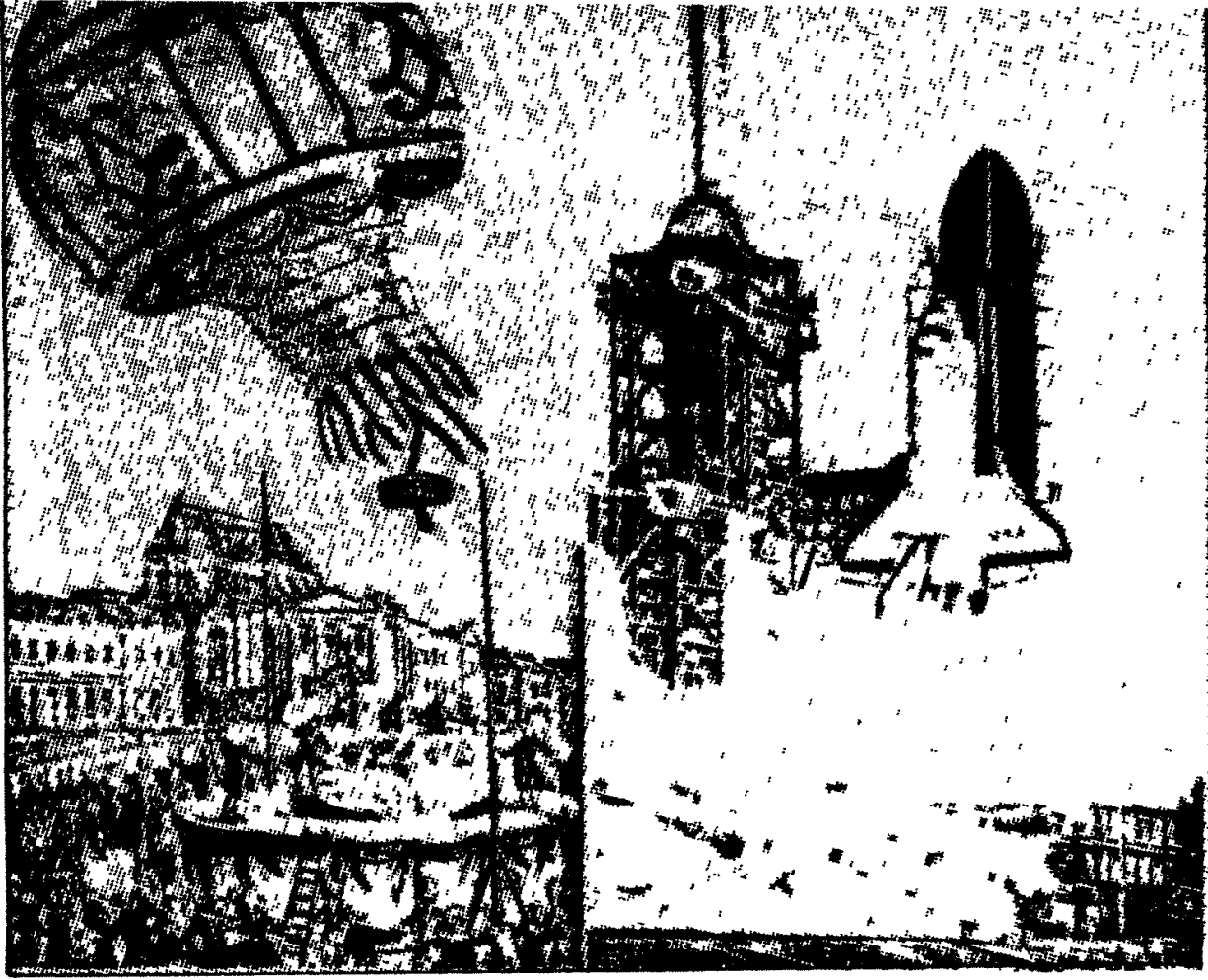
بقلم : المهندسة ريا عارف الرفاعي*

باكتشاف الطيران ، تحرر الانسان من قوانين الجاذبية التي ربطته بالأرض دهورا ،
وفتحت آفاقا جديدة أمام تنقلات الأشخاص والأشياء ، ونحوت الأرض الى مدينة واحدة
أحيائها قارات العالم . وهذا المقال محاولة لكشف الاحتمالات المتعلقة بهذا الحقل في نهاية
القرن العشرين !

والبحر وبالعكس ، وبامكان الطائرات الوصول الى قمم الجبال وعمق الصحاري التي يتعذر الوصول اليها بوسائط النقل الأخرى ، ويقابل هذه المزايا الوفيرة ارتفاع تكلفة وأجور النقل الجوي ، ونقص كفاءة استيعابه في البضائع ونقل الركاب ، اضافة الى شدة ارتباطه بنظم الطيران الدولية ، وخضوعه للقوانين والاتفاقيات العالمية ، أكثر من أي واسطة نقل أخرى .

تعتبر جميع وسائط النقل البري من سيارات وقطارات ، والنقل البحري بالبواخر من الوسائط البطيئة السرعة ، قياسا بالطائرات ومركبات الفضاء ، وقد بقيت امكانياتها محدودة في موقع استعمالها ، في حين تعدت امكانية الطائرات . البر والبحر والجو ، فبالنقل الجوي بالطائرة يمكن متابعة الرحلات الجوية بدون توقف خلال عبور المحيطات ، وبذلك يختصر الزمن الضائع في وسائط النقل الأخرى ، أثناء تبديل تلك الوسائط ما بين البر

* مهندسة بدائرة الطيران بدولة الامارات العربية المتحدة أبوظبي



حدثان هامان في تاريخ الجو - المنطاد - ومركبة الفضاء - كلاهما أطلقا من منصة - الأول بحضور الملك لويس الرابع عشر والملكة ماري انطوانيت - وما بين هذين الحدثين أكثر من قرن ونصف القرن

الانسان وحلم الطيران

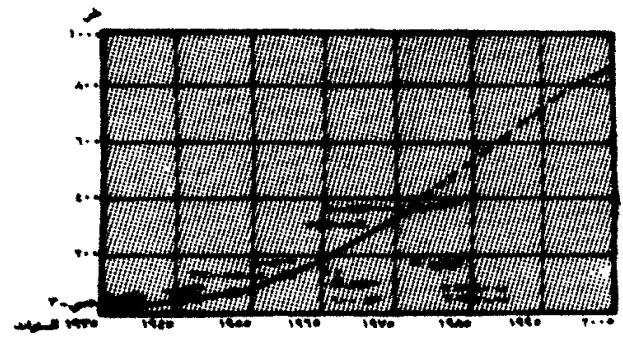
رافق الانسان حلم الطيران والتشبه بالطيور منذ القدم ، وتحكي الأساطير الاغريقية عن « ايكاروس » الذي قلد أجنحة الطيور ، فوضع أحبحة من الشمع طار بها مقتربا من الشمس فذابت فمات هو ولكن بقيت الأسطورة ، ويحكي تاريخ الطيران عن عاس بن فرناس في عهد الخليفة عبدالرحمن الثاني الاسدي ، وكيف أن أجنحة الريش لم تمكنه من الطيران ، بالرغم من جميع المحاولات في ذلك الحين .

وقد نجح الانسان في مسعاه بالتحليق في الجو ، مع اختراع المنطاد عام ١٧٨٣ م ، حين خلقه في الفضاء منطلقا من منصة اطلاق عالية أمام قصر فرساي في باريس ، ثم تتابعت المساعي ، فاخترعت الطائرة عام ١٩٠٣ ، وانتقل الحلم بالطيران بواسطة الأجنحة الى حيز الواقع ، وتتابعت البحوث لتحسين

خواص الطائرات ، حتى توصل الانسان الى اختراع طائرة تطير بسرعة ١٨٥ كم بالساعة في عام ١٩٣٥ ، ولم تتوقف أبحاث الفضاء في سبيل زيادة سرعة الطائرات التي كانت تتكامل بالمحاج باستمرار ، ومع استخدام المائة في الطيران بلغت السرعات الى حدود ٥٠٠ كيلومتر / بالساعة ، كما ارداد مدى الرحلة الى ٧٧٠ كيلومترا وما لبثت السرعة أن وصلت الى حدود ٩٠٠ كيلومتر / بالساعة عام ١٩٦٠ ، لكن التطور الحقيقي في الطيران تم مع ادخال الطائرات « الفوق صوتية » و « سوبر سونيك » بالخدمة ، حيث تصل السرعة في هذه الطائرات الى حوالي ٢١٠٠ كيلومتر / بالساعة . وبذلك يعتبر تاريخ انطلاق أول طائرة كونكورد . الفوق صوتية - في الفضاء عهدا جديدا في الطيران . وبالرغم من التخوف الذي رافق صناعة الطائرات « الفوق صوتية » لكنها تحولت الى واسطة نقل مرغوبة لرجال الأعمال خلال انتقالهم لمسافات بعيدة عبر

الشكل رقم ٢

تطور أوزان الطائرات منذ عام ١٩٣٥ - ١٩٨٥



الوزن الإجمالي للطائرة طن = (الوزن الذاتي

+ الركاب + الوقود + البضائع)

القارات ، لكن الفوائد الناتجة عن تخفيض زمن النقل بالطائرات « الفوق صوتية » تترافق أيضا مع الضرر الذي تلحقه السرعات الفائقة أحيانا بالحيوانات البحرية ، وبزيادة احتمال الإصابة بسرطان الجلد ، نتيجة نقص أو خلخله حزام الأوزون الذي تنصفي خلاله الأشعة فوق البنفسجية ، ومع كل تلك المساوئ تتسابق الدول الصناعية في مجال الفضاء للسيطرة على الكواكب ، وعلى احتمالات توفر المواد الأولية فيها .

الطائرات وحمولاتها :

بعد أن استخدمت الطائرات في ميدان النقل الجوي كواسطة نقل عام ، أخذت أوزانها بالتزايد باطراد ، وبالتالي تزايدت معها حمولة المسافرين ، والامتعة والبريد الجوي ووزن الوقود ، وقد كان وزن الطائرة الكلي (الوزن الذاتي وأوزان الحمولات المختلفة من مسافرين وامتعة ووقود) عام ١٩٣٥ لا يتعدى ١٢ طنا ، فأصبح اليوم وزن الطائرة العملاقة بحدود ٣٧٥ طنا (طائرة البوينغ طراز ب - ٧٤٧ - ٢٠٠ ، ب ، ح ، ف) وتتابع شركات صنع الطائرات سعيها في المخابر وفي الانفاق الهوائية الخاصة ، بتجريب هياكل الطائرات لدراسة تطوير أوزان الطائرات وحمولاتها ، وربما تكلفت تلك البحوث في المستقبل ، وربما وضعت في الخدمة في مطلع القرن القادم طائرات تصل أوزانها إلى ألف طن أي ثلاثة أضعاف وزن الطائرة الأعظم الحالي ، وليس ذلك بمستبعد ، إذا سلأحظنا سعي تطوير أوزانها

الطائرات خلال الخمسين سنة الماضية .
ويحل وآن الوقود اللازم لرحلة الطيران نسبة مرتفعة بالنسبة للوزن الإجمالي للطائرة ، فمثلا تتطلب طائرة البوينغ ب - ٧٤٧ التي يبلغ وزنها ٣١٠ أطنان حوالي ١١٠ أطنان من الوقود لتغطية رحلة جوية عادية ، وهذا يشكل نسبة ٣٥٪ من الوزن الإجمالي ، في حين لا تزيد نسبة حمولة المسافرين والامتعة والبريد الجوي عن ١٤٪ فقط أي ٤٣ طنا . وإضافة لهذه الكمية الكبيرة من الوقود هناك كمية أخرى في الخزانات الاحتياطية تقدر ب - ٢٠ طنا لتغطية حالات الطوارئ ، وهذا ما يجعل تكلفة تشغيل الطائرات مرتفعة جدا ، وبالتالي يسبغ على النقل الجوي صفة النقل المرتفع التكلفة .

ومن خلال المناخ الاقتصادي العالمي المسيطر ، يعتبر توفير الطاقة على رأس قائمة الأولويات في مختلف أنحاء العالم ، لذلك اتجهت صناعة الطائرات إلى البحث عن تصاميم للطائرة الاقتصادية التي تتطلب تشغيلها كميات وقود اقتصادية ، ومن ناحية أخرى اتجهت شركات الطيران العالمية إلى البحث عن المسارات الجوية الأكثر اقتصادية في مجال طول المسار ، أو ارتفاع التحليق . وتشكل تكلفة إطلاق تصميم جديد لهيكل الطائرة ، أو للمحرك ، عبئا كبيرا لا تحتمله شركة صانعة واحدة ، وهذا ما يدعو لتوزيع ذلك بين « كونسورتيوم » من الشركات العالمية المتعددة الجنسية ، ويلاحظ في السنوات الأخيرة تباطؤ هذه الشركات في وضع تصاميم لأجيال جديدة من الطائرات ، تستوعب ١٥٠ راكبا ، بل تعتمد على تطوير الأجيال القائمة ، ويلاحظ ذلك في طائرتي البوينغ الجديتين من طراز ب - ٧٥٧ ، وب - ٧٦٧ - اللتين حققتا تخفيضا ملحوظا في استهلاك الوقود ، بدأ تشغيلها مؤخرا في مطلع عام ١٩٨٤ ، . وبطير يوميا من مختلف مطارات العالم أكثر من ثلاثة ملايين مسافر ، مستخدمين جميع الامكانيات المتطورة في مطارات العالم التي يقدر عددها بحوالي ثلاثة وثلاثين ألف مطار ، منها حوالي ثلاثمائة وخمسين مطارا في الوطن العربي ، وبذلك يتمتع الانسان في عصرنا الحاضر بحصيلة من التقدم في مجال الطيران الذي يعتبر محصلة لاجتماع علوم متعددة ومعقدة في آن واحد .

التطور والمعوقات

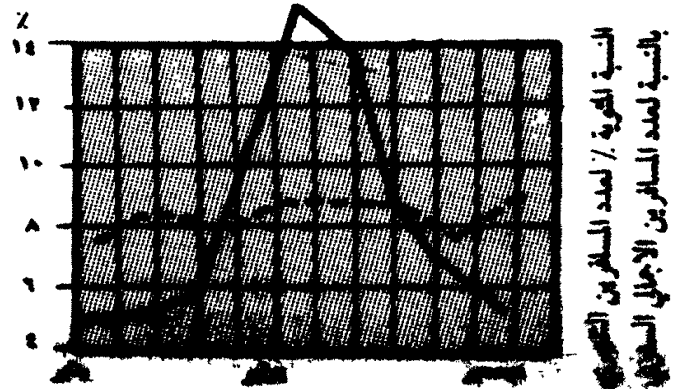
يرتبط تطور النقل الجوي بعلة عوامل منها :

- التطور الاقتصادي المحلي والاقليمي ، ويؤثر على حركة القادمين والمغادرين .
- التطور الاقتصادي العالمي ، ويؤثر على حركة مسافري الترانزيت - المسافرين العابرين .
- توفر وسائل متطورة من مطارات وخطوط جوية .

ويعتبر ارتفاع مستوى الدخل الفردي للانسان من جملة الاسباب الأساسية المؤدية الى تطور حركة النقل الجوي ، فبازدياد الدخل الفردي تزداد رغبات السفر ، ويزداد عدد السفرات والانتقال السنوي بالطائرة ، كما يعتبر أيضا ازدياد عدد السكان سواء بالتزايد الطبيعي أو بفعل الهجرة من جملة أسباب تطور النقل الجوي ، بما فيه نقل الأشخاص ونقل البضائع .

وأما تطور وسائل النقل وتجهيزاتها - من مطارات ومحطات استقبال ، وممرات وغيرها ، فهو مرتبط بتغيرات متشابكة ، فاستيعاب المطارات وسعة محطة الاستقبال ، وبوابات المغادرة ووسائل التحميل جميعها توابع لتغير أساسي هو عدد المسافرين الحالي والمستقبلي ، كما ان التصميم تابع لعوامل فنية وهندسية متعددة من أهمها : الوزن الأعظم لأكبر

نموذج تغير الحركة الشهري في الشكل رقم ٣ مطارين أحدهما ذو ذروة موسمية والثاني ذو وتيرة منتظمة .



طائرة ترسو بالمطار أي ما يعرف بالوزن التصميمي ، وضغط نفخ دواليب هذه الطائرة ، وأشكال ومخارج دواليبها ، وطبيعة المنطقة المحيطة بالمطار والعوائق الطبيعية ، من جبال أو كثبان أو عوائق انشائية ، كالأعمدة الكهربائية والأبنية المرتفعة وغيرها ، وبطبيعة التربة والمياه الجوفية وغيرها .

وقد وضعت المنظمة العالمية للطيران الدولي « إيكائو » تصنيفات لأنواع الطائرات ، وفئات المطارات ، استندت فيها الى معايير تصميم المطار الهندسية والانشائية ، وإلى طريقة تشغيل المطار وأسلوب مراقبة الحركة الجوية فيه .

وتسمى مطارات العالم لرفع مستوى تصنيفاتها باستمرار ، وذلك بتزودها بالمعدات والتجهيزات الحديثة من رادارات وأجهزة انارة ، وأجهزة اتصالات سلكية أو لاسلكية والجسور الناقلة الكهربائية ، والأدراج والسلام الكهربائية ، لتوفر على المسافر متاعب الانتقال من وإلى الطائرة ، وتجذب بهذه الوسائل خطوط الطيران الجوي وحركة الترانزيت الجوي أيضا .

وتتغير وتتأثر الحركة الجوية تبعا للزمن ، فهناك تغيرات سنوية في عدد الرحلات وأعداد المسافرين ، وهناك تغيرات شهرية تبعا لأشهر السنة ، كما أن هناك تغيرات موسمية ويومية ، وساعية ، ولكل مطار من مطارات العالم وتيرته الخاصة ، فمطارات منطقة الخليج تشهد نشاطا موسميا خلال أشهر الصيف ، كما تشهد تراجعا بالحركة خلال أشهر الشتاء ، في حين تشهد مطارات أخرى في العالم ساعات ذروة خلال أيام الأسبوع ، كما تشهد تزايدا ملحوظا في الحركة في عطلة نهاية الأسبوع ، بينما لا تتأثر حركة الطيران في بعض عواصم العالم المهمة بأي تبديل خلال العام . شكل (٣)

ويمكن دراسة تغيرات الحركة من تحديد توقعات مستقبلية على مدى عشرين سنة ، ويشق من هذه التوقعات آفاق المستقبل وخطط التطوير ، وتشكل هذه التوقعات الركيزة الأساسية في تحديد حاجة التطوير ومهمة المنشآت الجديدة ، واستيعاب التغيرات التكنولوجية وغيرها .

قصة قصيرة

شوارع النخيل الإفرنجى

بقلم : اسماعيل العادلي *

لاحظت ريب ما جرى بينها وبين فكري عندما
سارنا في العسر صحتت وأشارت الى الأمر أكثر
من مرة ، وعندما سمح له الاطباء بالجلوس على
السريير والحركة في « العسر » ، لاحظت ريب أنها
تأتي قبل موعد عملها وتغنى بعد إنتهائه ، في ليلة من
لك الليلي ، وكان صوت التواشيح الذي يسبق اذان
المحر يصل اليها عبر السافدة المفتوحة ، جلست
ريب في مواجعتها ، تحدثت اليها ، قالت لها أنك
ست السات ، كريمه ، طيبة ، وما رلت صغيره ،
وقادره على انجاب حيش من الاطفال ، لأن نسوة
أكرم منك يحسن ، وبصحتها أن تصع حول يديها ممد
العبد « العوايش » الدهيه ، وكذلك السلسله
و (المائء الله) حول رقبتها ، لالتىء ، سوى أن
الذهب يطهر المرأة عطر المستورة ، المكتفية ، التي
لا تحتاج الى أحد

اليوم تكون قد مرت خمسة أيام ، عدتهم على
أصابع يديها ، الاربعاء ، الخميس ، الجمعة ،
الست ، الأحد

الليلة يكون قد حرج من المستشفى ممد خمسة
أيام ، لم تعادر البيت أثناءها الا للعمل وكانت تخرج
الى العمل قبل مواعده نصف ساعة ، خوفا من أن
يحدث لها شيء

هي ليست صغيرة تعرف جيدا أن مثل هذه
الأمور لا يصلح فيها التلميح والكلمات
العامة ، لاند فيها من التصريح والكلام
الواضح ، لا يقع فيها التأجيل والانتظار وإصاعه
الوقت ، بل لاند من حسنها ، وطرق الحديد وهو
ساحر
والا فمادا يريد بالصط ؟

وارتت باب « العسر » المستطيل ، المطعما
الأسوار ، المععم بروائح الدواء والطعام والبول ،
حرجت قالت ان الليلة يمكن أن تمر مهدوء ، لو
استسلم ، ذلك العجور الذي أخرى حراحة في
الطهيرة لحمة المحدر ، وراح في نوم عميق
كما توقعت بالصط ، كانت ريب قد نامت ،
وراحت تشجر وترفر ، جلست على سريرها المواحه
للسريير الذي نام عليه ريب ، أحدثت في تأمل
حسدها الأبيض الصخم ، وقد احسر مديل رأسها
عن شعرها الاسود المروق من الوسط

ممد أكثر من عامين ، عندما نقلوها الى عسر
الحراحة ، وحدتها قلها في « وردية الليل » ، في كل
ليلة ، ما أن ينتهي مرور الاطباء ، وقبل أن تدخل
« الحكيمات » الى حرجتهن ، تكون قد انتهت
في اليوم ، لا تصبحوا الا بعد



باب المستشفى : ساستريح في البيت اسبوعاً ثم أجيء ، هو الذي طلب العنوان ، سألها عن أهلها وأخوتها ، حدثها عن شقته ذات الغرفتين الواقعة في رحبة « المقدم بهادر » بالدراسة ، قال انه وحداني ، ويخاف أن يموت وحيداً في شقته ، تحدث عن قلبه الذي استراح اليها منذ مجيئه الى المستشفى ، وقال ان الله لا يد أن يبيء لها خيراً .

قامت ، أطفأت نور المصباح الكهربائي الكبير ، وأبقت المصباح الصغير مضاء كما تقضي التعليمات ، عادت لتستلقي على السرير ، وتحديق خلال الضوء الخافت في الخزانة الصاج البيضاء الصغيرة الموضوعة بجوار السرير ، ثم في الصينية « الموضوعة » فوقها ، وعليها كوب زجاجي مملوء حتى منتصفه بالماء . أدركت أن النوم لن يأتي ، قالت كنت قد استرحت من ذلك الهم ، ماشأني أنا بالرجال ؟ أشجار النخيل الافرنجي الممتدة التي تقسم الشارع الى نصفين ، (وكبائن) البحر البيضاء على الجانبين ، هما أول ماتذكره عن تلك الليلة ، واللييلة ذاتها تبدو لها الآن وكأنها كانت منذ مائة عام ، في تلك الليلة ، عند واحدة من تلك الاشجار الغربية وقفت تبكي ، وقد هانت عليها روحها ، والدنيا وكل شيء .

كانت خارجة لتوها من بيت خالتها ، بعد أن أفهمتها الخالة أن ما يحتاجه البيت « حرام على الجامع » ، وأن عليها أن تبحث لنفسها عن مكان آخر تقيم فيه ، وقبل ذلك بيومين فقط كانت قد جاءت الى الاسماعيلية ، بعد أن أعطاها أخوها الأصغر (جنيهين) أقسم أنه لا يملك غيرهما ، وأشار الى حجرته متسائلاً : أين تنامين ؟ أنا والمرأة والأولاد الاربعة غملاً كل ثقب فيها .

وكان أخوها الأكبر قد استمع منها في اليوم السابق الى ما فعله سيد ، وهم يتناولون غداء مكوناً من محشي الكرنب واللفت والمخلل ، ثم غمز لزوجته فأخذت الأولاد وخرجت ، وعندما أصبحتا وحدهما قال لها : أنا أعرف زوجتي جيداً ، امرأة صعبة مشاكسة لن تحتملك ، ستثير المشاكل والمشاجرات بلاسبب ، وأنا بصراحة ليس لدى مكان آخر استريح فيه ،

في تلك الليلة كانت على وشك أن تجلس الى جوار تلك النخلة الغربية السامقة ، وتستغرق في بكاء

طويل ممتد ، لكن شيئاً ما ، غامضاً ، وبارداً ، وأزلياً ، لاتعرف من أي منبع ، أخذ يتصاعد داخلها ، يمزج طولها ، يدفع بالدماء في جسدها ، يقول لها أنه ما زالت لديها ذراعها وقوتها ، وستة جنيهاً وبضعة قروش في منديل تحت ثديها الأيسر ، وأن عليها أن تمسح الدموع ، وتقوم الآن لتبحث عن الطريق ، أما جنس الرجال كله فعليها الا تفكر فيه ثانية .

نعم ، هي قالت ذلك ، ظلت تقوله لنفسها أياماً طويلة ، لكن فكري مختلف ، مختلف عن سيد ، فكري رجل ، وسيد بلطجي ، فكري يريد أن يعيش ، وسيد لا يعمل حساباً لشيء ، فكري .. وأنا بالطبع لست صغيرة ، رأيت كل شيء في هذه الدنيا وأفهمه ، فكري كفه كبيرة ومنبسطة ، وله ضحكة طيبة تكشف عن أسنان مفلوجة ، يكفي فقط أن يربت على كتفك لتزول همومك ، وتشعر بالسكينة والأمان ، فكري يريد بيتاً ، وأنا كذلك ، أما الأولاد فأمرهم موكول الى الله ، هو وحده الذي يعلم .

سمعت صوت الاقدام تقترب من الحجرة ، توقعت أن تكون احدى « الحكيمات » ، أن تكون صافية بالذات قد أصابها الأرق وجاءت لتثرثر ، اعتدلت على السرير وتأهبت للقاءها ، لكن الاقدام مرت من أمام الحجرة وتجاوزتها .



● شارع التخييل الافرنجي

في الرجل ، فقط عليه أن يأتي ويقول لها : أريد أن أتزوجك يا أنهار .

هو لم يقل ذلك حتى الآن ، قال لها نحن أهل ، تحدث بثقة أكيدة عن أشياء ستحدث لها في المستقبل ، سألها عن كل أحوالها ، حكى لها عن أحواله ، وعندما صنعت له أرزا ودجاجة بعد أن أجرى الجراحة بثلاثة أيام ، أثني طويلا على مذاق الطعام ، وقال انه اشتاق لطعام البيوت .

ماذا بالضبط كان يقصد ؟

وهو لم يقل شيئا محددًا ، لكن الطريقة التي كان يتحدث بها اليها كانت تقول ذلك انها تعرف الرجال ، تعاملت معهم في العمل والشارع وكل مكان ، الطريقة التي كان فكري يتحدث بها اليها كانت مختلفة . سيد الذي كان زوجها لم يتحدث اليها هكذا أبدا ، حتى في أيام زواجهما الأولى ، لكن ألم تكن خمسة أيام كافية ؟ ألم يكن بوسعه أن يرسل أحدا ؟

تهدت ، نفخت الهواء في الحائط ، أخيرا سمعت صوت السرير الذي تنام عليه زينب وهويش تحت وطأة جسدها ، عرفت أنها قد استيقظت ، التفتت اليها ، كانت زينب جالسة على السرير عارية الرأس ، تهرش شعرها المنفوش ، وتقول لها شيئا لم تتبينه □

قامت واقفة في منتصف الحجرة ، فكرت في إلقاء نظرة على « العنبر » أو الذهب الى حجرة « الحكيمات » ، كانت بحاجة الى تبادل الحديث مع أحد ، لكنها خافت أن تستدرجها واحدة من « الحكيمات » إلى الحديث عن فكري ، انجبت الى الخزانة الصغيرة ، أمسكت بالكوب الزجاجي وشربت ما فيه من ماء ، جلست في مواجهة زينب النائمة ، فكرت في ايقاظها والحديث معها ، لكنها تراجعت ، استلقت على جانبها الأيمن في مواجهة الحائط ، قالت أن أجيء الى العمل بمجدة مثل زينب ، أشكو من الغسيل والطبخ ومشاكل البيت التي لا تنتهي . . أن أحكي أنا أيضا عن الولد الكبير الذي فعل كذا ، والبت الصغيرة التي قالت كيت وكيت وأباهم موأباهم الذي أنهى الأمر « شاخطا زاعقا » . .

هي لم تضيع الوقت ، فكرت في كل شيء خلال الايام الخمسة الفائتة .

تخيلت الحجرتين اللتين يعيش فيهما فكري ، عرفت بالضبط ما الذي ستأخذه من حجرتها ، وما الذي ستشتره ، قررت أن تباع الذهب اذا اقتضى الأمر . انها تعرف أنه ليس ميسور الحال ، هو لم يقل لها ذلك ، لكن من يجري جراحة في الدرجة الثالثة ، بالمجان ، لا يكون ميسورا في العادة ، وذلك ليس عيبا



اهتمام المسلمين بالمعلم

المستقرى لتاريخ التربية والتعليم في الاسلام يلاحظ ذلك الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون ، في أن يتلقى الطالب العلم من المعلم ، وبذهم الاعتماد على الكتب وحدها كمصدر لتلقي العلم ، وقد جاء في أقوالهم « من أعظم البلية تشيخ الصحيفة » وكذلك قال أحد الكتاب المسلمين القدماء « من لا شيخ له فلا دين له ، ومن لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان » وقد قال مصعب بن الزبير : « الناس يتحدثون بأحسن ما يحفظون ، ويحفظون أحسن ما يكتبون ، ويكتبون أحسن ما يسمعون ، فإذا أخذت الأدب فخذ من أقوال الرجال ، فانك لا تسمع الا اختاراً ولؤلؤاً متورا » .

بطاقة تعريف الشعر الحر

بقلم : الدكتورة حياة جاسم محمد

يبدو أن الشعر الحر ، بعد ما يقارب من أربعة عقود على مولده ما زال في حاجة الى بطاقة تعريف تحدد أهم خصائصه ، وتوضح أبرز المعالم في رحلة نشوئه وتطوره ، وتحلواصلته بالتراث الشعري العربي ، فما الذي قالته الكاتبة في هذا المجال ؟ جمهرة من القراء توجه للشعر الحر سهام النقد ، لكنه نقد يفض الطرف عن إيجابيات الشعر الحر ، ولا يرى فيه الا سلبياته ، وهل خلا الشعر العربي التقليدي من السلبيات ؟

للتنوير والتحديد في الشعر العربي الحديث ، بل سبقتها محاولات أخرى أهمها .

الشعر المرسل الذي يتحلى عن القافية ، وقد وردت منه أربعة أبيات لأحمد فارس الشدياق في كتابه « الساق على الساق » (١٨٥٥) ، ونظم فيه جميل صدقي الزهاوي (١٩٠٥) ، كذلك حربه عبدالرحمن شكري في ديوانه ضوء الفجر (١٩٠٩) ، ومارسه أحمد زكي أبوشادي ، دعا اليه في مجلته أبولو التي كانت تصدر في الثلاثينيات من هذا القرن ، أما على أحمد باكثير فقد اعتبره الوسط الملائم للمسرحية ، فنظم مسرحية أخناتون ونفرتيتي (١٩٤٣) ، وترجم مسرحية شكسبير روميو وجوليت (١٩٤٦) ، مستخدما هذا النوع من

ان أدبيات الشعر الحر كثيرة كثيرة الشعر نفسه ، وهي تؤرخ لهذه الحركة أو تنظر لها ، أو تكشف جمالياتها أو تقومها في صلتها بالشعر التقليدي ، باعتبارها امتدادا متطورا له ، أو تقارنها بحركات مماثلة في الآداب العالمية ، وعلى الرغم من كثرة تلك الأدبيات ، فإن واقع الحال يفرض هذه العودة الموجزة الى حركة الشعر الحر ، ولعل في العودة نفعا .

محاولات سابقة

من المعروف أن حركة الشعر الحر بدأت في أواخر الأربعينيات في شعر رائديها بدر شاكر السياب ونازك الملائكة ، لكن هذه الحركة لم تكن أولى المحاولات

الشعر ، لقد ظلت تلك المحاولات في الشعر المرسل محاولات جزئية ، ولم تتطور الى حركة ناضجة شاملة .

الشعر الحر في مدرسة أبولو ، ومنشئها أبو شادي الذي نظم الشعر الحر باعتباره شاعرا ، وكتب عنه بوصفه ناقدا ، وقد حافظ في شعره على الوزن ، لكنه استخدم أبحرا مختلفة في القصيدة الواحدة ، وكان انتقاله من بحر لآخر على غير نظام معين ، وكذلك تخلّى عن القافية ، وظهرت أول قصيدة له من الشعر الحر بعنوان « الفنان » في ديوانه « المشرق الباكي » (١٩٢٦) ، لقد أخفقت هذه القصيدة وقصائد أبي شادي الأخرى من الشعر الحر ، لأنها تفتقر الى الموسيقى الداخلية ، على الرغم من وجود الوزن فيها كما جاء الانتقال الاعباطي السريع من بحر الى آخر صادما للأذن العربية ، لذلك لم يجد هذا الشعر قبولا ، وظل هو الآخر محاولة جانبية لم تنته الى حركة منظمة ناضجة .

وقد أفادت حركة الشعر الحر في أواخر الأربعينيات من نواقص الشعر الحر الذي كان لدى أبي شادي ، وقلة من الشعراء حذت حذوه ، فحرصت الحركة الأخيرة على صلتها بالتراث الشعري العربي ، وعلى أن يكون التطوير تدريجيا ، تملية لضرورات التجارب الشعرية الجديدة ، لا الرغبة في الخروج على القديم فقط ، لذلك حافظت على الأوزان العربية والتزمت في بدايتها بحرا في القصيدة ، ولم تتخل عن القافية ، بل لجأت الى تنويعها ، لكن شعراء الشعر الحر استخدموا التفعيلة بحرية ، فلم يتقيدوا بالبيت ذي الشطرين المتساويين في عدد تفعيلاتها ولا الأبيات المتساوية في عدد تفعيلاتها ، إنما جعلوا البيت شطرا واحدا ، لئلا ينقطع المعنى بالوقف بين الشطرين ، واستخدموا من التفعيلات ما يقتضيه التعبير عن المعنى ، حتى اذا كانت التفعيلات أقل أو أكثر مما يفرضه العروض الخليلي ، وأهم من ذلك كله أنهم جعلوا البيت متصلا بما قبله وبعده ، فقصوا على استقلال البيت الذي قامت عليه القصيدة العربية في غالب الأحيان ومنحوا القصيدة من الشعر الحر وحدة عضوية ، مكنتهم من متابعة دفق التجربة الشعرية ، كذلك جعلوا القصيدة الجديدة معبرة عن هموم

وتطلعات ذاتية وجماعية معاصرة ، عبر تجربة فعلية لاتقليدا لنماذج جاهزة .

الاتجاه المحافظ

يمكن الإشارة الى ثلاثة اتجاهات واضحة في تاريخ حركة الشعر الحر وهي : الاتجاه المحافظ ، والاتجاه المعتدل ، والاتجاه المتطرف .

تمثل الشاعرة نازك الملائكة الاتجاه المحافظ في شعرها وفي تنظيرها للشعر الحر في كتابها « قضايا الشعر المعاصر » ، فهي تعالج الشعر الحر بوصفه ظاهرة عروضية لاغير ، وتجد فيه تطورا لعروض الخليل ، وتدعو الشعراء الجدد الى الالتزام بقوانين العروض التقليدية ، وكأنها لا تريد لهم أن يواصلوا التجريب أبعد من الخطوة الأولى التي خطوها في جعل التفعيل لا البيت أساسا للشعر الجديد ، إن في قصيدة « الكوليرا » وهي القصيدة الأولى من الشعر الحر للشاعرة نازك الملائكة نظاما ثابتا في تنويع التفعيلات والقوافي ، يجعل الباحث العراقي مصطفى جمال الدين يعتبر تلك القصيدة موشحا لا قصيدة من الشعر الحر ، وإن التركيز على التغيرات العرضية في الشعر الحر يصرف النظر عن التغيرات التي هي أهم فيه ، وهي اختلاف المضامين وطريقة معالجة هذه المضامين .

الاتجاه المعتدل

أما الاتجاه المعتدل فيندرج تحته الجزء الأكبر من نتاج الشعر الحر منذ نشوئه حتى الوقت الحاضر ، وقد تأثر شعراء هذا الاتجاه في مرحلته الأولى ، وكذلك نقاده ، بالشاعرت . س إيليت ، وتأثر الآداب ببعضها ظاهرة طبيعية ومشروعة ، ويحمل الشاعر إيليت تقديرا للماضي ، ويرى فيه ظاهرة مستمرة تعيش في الحاضر ، وتتطور في إطاره باتجاه المستقبل ، والتجديد لديه خير من التكرار ، ولكن التقاليد ذات أهمية كبرى ، غير أن التقاليد ليست الا احساسا تاريخيا بالماضي ، لا باعتباره ماضيا فقط ، وإنما بوصفه حاضرا أيضا ، ويعتقد إيليت أن الشاعر يختلف عن أسلافه لكن أسلافه ماثلون في شعره بطريقة أو بأخرى ، ولذلك فمهمة الشاعر أن

يستجيب للمتغيرات ، وفي الوقت نفسه يحترم الماضي ، وينظر لإليوت الى الشعر الحر لا بوصفه متحررا من الشكل ومتطلباته ، وإنما بوصفه قائما على حرية تؤدي الى نظام ، وهو يؤمن بضرورة للموسيقى للشعر ، ولكنها ليست الموسيقى الخارجية فقط التي تولد من الوزن والقافية ، وإنما أيضا موسيقا الايقاع الجوهرية في الشعر .

وأبرز شعراء هذا الاتجاه بدر شاكر السياب الذي يتميز شعره بالموسيقا العالية والعناية بالمعروض ، وقد ظل السياب ينظم قصائد العروض التقليدي حتى نهاية مسيرته الشعرية ، كما جمع العروض التقليدي والعروض الجديد في بعض قصائده ، وكل ذلك يؤكد صلة الشاعر بالتراث ، على الرغم من محاولته تطويره ، وكانت تجاربه في الجمع بين بحرين في القصيدة الواحدة ، أو النظم في الأبحر الممزوجة المتكونة من نوعين مختلفين من التفعيلات - والآخر مما تحظره نازك الملائكة - تجارب رصينة ، ويندرج تحت الاتجاه المعتدل أيضا شعر صلاح عبدالصبور ، وعبد الوهاب البياتي من الجيل الأول ، وشعر أكثر من جيل من الشعراء من بعدهم في مختلف أرجاء الوطن العربي .

وقد ظهرت ضمن أدبيات هذا الاتجاه ، دراسات نقدية ، ناقشت قضايا الشعر الحر بعلمية ، ونظرت له ، وجلت كثيرا من الغموض الذي لابس جمالياته ، وتكفي الإشارة الى الدراسات التالية على سبيل المثال : قضية الشعر الجديد لمحمد النويهي ، والشعر العربي المعاصر لعزالدين اسماعيل ، وموسيقا الشعر العربي لشكري عياد ، والايقاع في الشعر العربي لمصطفى جمال الدين ، وقد خالف هؤلاء الدارسون وسواهم نازك الملائكة في كثير مما نظرت له من قضايا الشعر الحر .

الاتجاه المتطرف

الاتجاه المتطرف ينحو الى أن يؤسس للشعر العربي عروضاً جديداً يحتوي التجارب الجديدة المختلفة للشعراء الجدد ، وقد بدأ مع جماعة مجلة شعر اللبنانية .

ومن أبرز رواده يوسف الخال ، ولحمونيس ، وجبرا إبراهيم جبرا ، ويلاحظ أن الشعراء أنفسهم - في

الأغلب - نافذوا هذه الحركة ودارسوها ، وهم يرون الشعر العربي الحديث ثلاثة أنواع :

١ - الشعر المؤنن ، وهو الذي يعتمد على التفعيلة ، مع أحداث التغييرات في نظامها ، وهم لهذا يشيرون الى الحركة التي بدأت في أواخر الأربعينيات ، وعرفت باسم الشعر الحر ، وسبقت الإشارة إليها في هذا المقال .

٢ - الشعر الحر ، وهو الشعر المتحرر من الوزن والقافية ، ولكنه يحتفظ بنوع من النظام في أبياته ، يولد ايقاعا يعوض عن الوزن والقافية المفقودين ، وهذا النظام قد يقوم على تكرار فكرة سائدة ، أو كلمة أو مجموعة من الكلمات أو صورة من الصور ، بحيث تعود القصيدة دوما الى حيث بدأت ، وتصبح كلا عضواً نامياً ، ويرى جبرا إبراهيم جبرا أن الموسيقى الداخلية للشعر الحر تتحقق باستخدام الفاظ تحتوي على حروف العلة .

٣ - قصيدة النثر : وهي قصيرة ومركزة ، وتختلف عن الشعر الحر - والمقصود به ما سبق لقصيدة النثر في التصنيف - في أنها لا تقوم على نظام الأبيات ، وإنما تناسب انسياب النثر ، لكنها في الوقت نفسه تختلف عن النثر في أن لها ايقاعاً أقوى ، وتأثيرات صوتية ، وكثافة في التعبير ، ويتراوح طولها بين صفحة وثلاث أو أربع صفحات ، وهو طول القصيدة الغنائية . ويندرج أغلب شعر هؤلاء المتطرفين تحت الشعر الحر - وفق تحديدهم له - وقصيد النثر ، وإذا كتبوا شعر التفعيلة أحدثوا فيه الكثير من التغييرات .

رأي العقاد

يتضح من هذا العرض أن تسمية الشعر الحر ، التي تطلق على عموم شعر التفعيلة ، لاتعني افتقار هذا الشعر الى الوزن والقافية ، كما ان الشعر الحر - بالمصطلح الدقيق - عوض عن الوزن والقافية بموسيقا داخلية تقوم على ضوابط مدروسة ، ولذلك جاز العقاد على الحقيقة حين حكم على الشعر الجديد بأن يحال الى لجنة النثر ، ولم يحل هذا الحكم دون أن يزدهر هذا الشعر ، ويغدو المعبر عن احتياجات الحاضر وتطلعات المستقبل ، والعقاد الذي ناهض الشعر الجديد كان داعية التجديد في أوائل العشرينيات من هذا القرن ، فيها يتعلق بالوحدة

● بطاقة تعريف للشعر الحر ! .

العربي القديم تيارين بارزين ، اتجه أحدهما الى الوضوح المباشر ، واستخدام لغة الحياة اليومية ، وخير ممثليه أبو العتاهية ، واتجه الثاني الى الصنعة الفنية واللامباشرة واللغة المختارة ، وخير ممثليه أبو تمام الذي سئل مرة : لم لا تقول ما يفهم ؟ فأجاب : ولم لا تفهم ما يقال ؟ وإذا كان أبو تمام قد رمي بأنه يقول ما لا يفهم فما بالنا ننكر على الشعراء الجدد هذا الغموض الذي يكافيء غموض وتعقيد الحياة الحاضرة ؟ من صفة الشعر الجيد أن لا يقدم للمتلقي كل شيء جاهزا ، انما يترك للمتلقي ان يغني تجربة النص بمخزون تجاربه ، ولكن ينبغي الاحتراز بالإشارة أن الغموض غير الالغاز ، وشتان ما بينهما . ان قضية الشعر الحر لم تعد موضع جدال ، فقد حسمها الزمن ، وتقبلت جماهير القراء في العربية هذا الشعر ، ووجدت في قصائده مضمونا وشكلا ، تعبيراً عن همومها وتطلعاتها ورغبتها في التطور ، انطلاقاً من تحولات العصر ، لقد رسخ الشعر الحر ، وأصبحت له تقاليده وجماليته ، وغدت قصائده أواخر الأربعينيات والخمسينيات من الموروث الشعري الذي انطلقت وتنطلق منه الأجيال التالية ، برغبة تجاوزه لا الوقوف عنده .

ان القضية ليست قضية شعر تقليدي وشعر حر ، ولكنها قضية شعر جيد وشعر رديء ، ويقع الجيد والردىء في الشعر التقليدي كما يقع في الشعر الحر . وبعد فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض . □

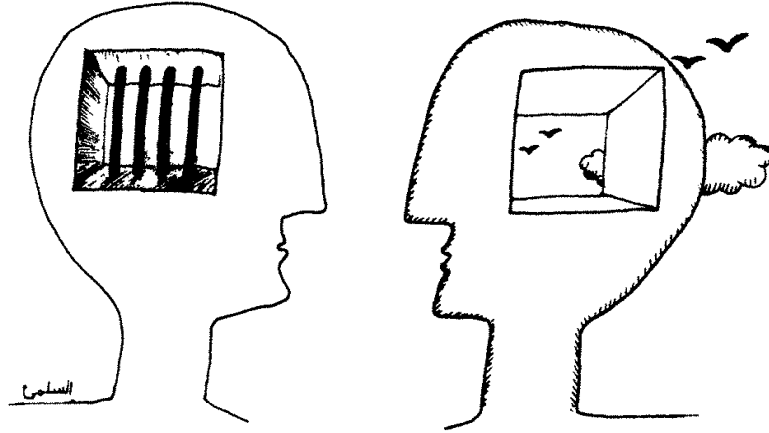
العضوية للقصيدة العربية الحديثة ، فإن العقاد في كتاب الديوان الذي ألفه مع زميله المازني قد هاجم شوقي هجوما عنيفا ، لان شوقي في رأي العقاد يمثل استمرار القصيدة العربية القديمة القائمة على البيت المستقل ، ورمى العقاد شعر شوقي بالتفكك ، وشبه قصائده بكومة رمل ، اذا وضعت على أي وضع بقيت كومة رمل كبا كانت ، وعمد الى ترتيب الأبيات في قصيدة شوقي ترتيبا جديدا ، ولم يجد في ذلك صعوبة ، كما أوضح ، مما يدل - في رأيه - على انعدام الشعور الذي ينظمها ويؤلف بينها ، وبالتالي على افتقارها الى الوحدة العضوية ، وتحديث العقاد عن الوحدة العضوية للقصيدة ، مستندا الى مفاهيم نقدية غريبة ، وكما كان سعي القصيدة العربية الحديثة الى الوحدة العضوية مقبولا ومحمودا ، كذلك ينبغي أن يكون سعي الشعراء الجدد الى تطوير العروض القديم لتلك القصيدة ، ولاننسى أن من أبرز خصائص الشعر الحر حرصه على تحقيق الوحدة العضوية للقصيدة العربية .

أسباب الغموض

أما الغموض الذي يتذرع به البعض لمهاجمة الشعر الجديد ، فهو ظاهرة لا تخص الشعر الحر وحده ، انما هو سمة الكثير من النتاج الشعري في مختلف العصور ، ومن البدييات أن لغة الشعر لغة إيجاز لا تقرير ، ولا يطلب من الشعر أن يكون في وضوح النثر ، والا فقد جوهرة الموحى ، وقد عرف شعرنا



- ان الأمة لا تكون أمة قوية الا اذا كانت تؤمن بالله (أفلاطون) .
- أحسن وسيلة للتمتع بالسعادة ، هي أن تشرك فيها غيرك (بيرون) .
- ان مؤهلات الحاكم تتلخص في كلمة واحدة : الأمانة . (توماس جيفرسون) .
- ان موقف الحقيقة غالبا ما يكون صعبا ، ولكنها لا يمكن أن تتحطم (شوبنهاور) .
- قلما تتذوق شيئا صافيا أو لذة خالصة (مونتني) .



أول وزير "للذكاء في العالم"

بقلم : الدكتور عادل عبد الكريم ياسين

الثروة المادية ثروة عابرة ، تخضع لظروف لا يمكن التنبؤ بها ، وتبقى ثروة العقول

هي الثروة الحقيقية للأمة.. لأي أمة أما كيف تستطيع الأمة أن تصبح أمة مفكرة خلاقة ؟

حول هذا التساؤل يتحدث . المقال .

الحقل التربوي أن يتابعوا هذه التجربة بجدية .
وفي فبراير ١٩٨٢ قرع مسامي نفس هذا الاسم
مصحوبا « بالعظيم » في حلقة دراسية في الجامعة
المذكورة عن « التعليم الأفضل » وكان المحاضر حادا
في نقده للتعليم في بريطانيا خصوصا ان تقرير
كوكروفت كان آنذاك يجلجل ، مشيرا الى الضعف في
بنية التعليم البريطانية وخصوصا بالنسبة لمادة
الرياضيات ،

منذ بضع سنوات خلت ، أو في شهر مايو من
عام ١٩٨١ على وجه التحديد ترامي لمسامي
اسم « ماشادو » في حلقة دراسية في جامعة سري في
انجلترا ، شارك فيها البروفسور « سكيب » عالم
النفس والرياضي المعروف ، حيث تعرض للكتابة
عن « الذكاء الانساني » وكان مما قاله :

« هناك رجل يدعى « ماشادو » بدأ عملا فكريا
عبر مألوف ، ومن السابق لأوانه الحكم على هذا
العمل المثير ، فهذا الرجل يزعم بأنه يمكن « تعليم »
الذكاء لمجموعة أفراد الأمة ، واقتراح على المهتمين في

مناهج التعليم

وكان بعض ماقاله المحاضر يتلخص في أنه :
« يجب أن نعيد النظر في جميع مناهج التعليم وأساليبه ، ففي عصر تفجرت فيه المعرفة لدرجة تصعب حتى على المتخصص متابعة ميدان تخصصه ، فلا يبقى أمامنا الا أن نتوقف لنختار مانراه أساسيا لتزويد المتعلم به ، اذ لا يجب أن نستمر في معاملة العقل كسلة للنفايات ، والحل الوحيد في رأيي يكون في جعل « تعليم التفكير محورا للتعليم الأفضل » !
وتطرق بعد ذلك الى من أسماه « ماشادو العظيم » الذي ينفذ تجربة رائدة في « تعليم الذكاء » لأمة كاملة !!

وفي صيف عام ١٩٨٤ ، وببها كت مع وفد في مهمة علمية للولايات المتحدة ، التقيت بالبروفسور « جوزيه جيلرمين » الورتوريكي الأصل ، في حلقة دراسية حول « العجز عن التعلم » وأعقب المحاضرة نقاش تري تحدث فيه « جيلرمين » باعجاب عن التجربة الفنزويلية الرائدة التي يقودها « ماشادو » أول وزير قال بإمكان « تعلم الذكاء » . وقد ذكر بأنه عمل مستشارا له خلال السنوات الخمس المنصرمة كما عمل ممثلا لوزارة الذكاء الفنزويلية ، من مارس - ديسمبر ١٩٧٩ ، في الفريق الذي يتعاون مع جامعة هارفارد في الولايات المتحدة لتطوير مقررات تستهدف تعليم مهارات التفكير ، وهو يرى في « ماشادو » رجلا فذا وعالما بارزا يحذر أن تفيد منه دول العالم كافة ، ودول العالم الثالث بالذات بصفة خاصة .

من هو ماشادو ؟

تري من هو هذا الرجل « ماشادو » ؟
لقد ولد لويس البرتو ماشادو في عائلة فنزويلية تربية في بداية الثلاثينيات ، ودرس المحاماة في اسبانيا ، وامتحنها لفترة ، وعاد فتحول عنها الى الفلسفة والشعر والسياسة ، وربما كان للظروف المحيطة به تأثير على توجهاته ، فنزويلا تنعم بقدر جيد من الديمقراطية في منطقة تخضع لنظم الحكم العسكرية ، ولو أنها تنعم بثروة نفطية كان مردودها المادي كبيرا في السبعينيات ، رغم أنها مازالت تعج بالفقر والبؤس والشفاء .

وعلى الرغم من الازدهار النفطي آنذاك ، فلقد كان ماشادو يصبر على أن « النفط ثروة عابرة تخضع لظروف لا يمكن التنبؤ بها وتبقي « ثروة العقول » هي الثروة الحقيقية للأمة ، وهو يرى أن الأمة الذكية هي التي تحافظ على حريتها ولو أنها قد تتعرض لقيام حكم دكتاتوري ، ولكن ذلك حتما سيكون أمرا عابرا ، اذ سرعان ما يلفظه هذا الصنف من الأمم الذكية .

ويعتقد « ماشادو » بأنه يمكن تطوير الذكاء الانساني « بمعنى العمل على اغاثته » وقد كان هذا أساسا لبرنامج طموح للأمة الفنزويلية بظلة ذلك الرجل الفريد والصلب الذي وصف يوما « كمبعوث مطلق الصلاحية للذكاء الانساني » وفاز البرنامج بدعم الرئيس الفنزويلي « لويس هيريرا كامبوز » الذي أنشأ لأول مرة في تاريخ الانسانية المعروف « وزارة تطوير الذكاء الانساني » في بدايات عام ١٩٧٩ ، ليكون « ماشادو » وزيرا لها ، وليصبح بذلك أول وزير للذكاء في العالم .

أما البرنامج فكان شاملا ، بحيث شمل مستشفيات الولادة والمدارس والجامعات والقوى المسلحة وأفراد الخدمة المدنية بدعم مباشر من الرئيس كامبوز ووزراء الصحة والتربية والتعاون والاعلام ، لكن ماشادو كان وزيرا بلا حقيبة وزارية ، بمعنى أنه لا يشرف على ادارة حكومية خاصة ، كما لم تخصص له ميزانية كبيرة .

بعض قناعات الرجل

لم تتغير بنية الدماغ منذ الخليقة .

« التربية وراء نهوض الأمم وتخلفها .

كان « ماشادو » يهوى الحديث في البدء عن المفاهيم العامة ، حيث كان من الصعب تحويل الحديث معه باتجاه التفاصيل ، اذ كان يصبر على ترك المجال للتطبيق « العملي » والبرنامج الفنزويلي لا يقوم على نظريات محددة تعود لأية مدرسة أو لأي فرد ، فالمدخل اليه ذو صفة انتقائية عالية ، كما يفيد من منهجيات متعددة ، ومع ذلك فان « ماشادو » يزعم بأنه مبادئه العلمية واضحة ، وقد تجنب هو وأعوانه الخوض في أي نقاش يدور حول الذكاء في الولايات المتحدة ، لينأى عن أي جدل مبكر حول التقليل



حديثي الولادة ، في محاولة لتحفيز الطفل واثارة
فعاليته ، ليكون أكثر استعدادا لاكتساب مهارات
التفكير مع نموه ، وازدادة الى ذلك فقد تم تسجيل
هذه المعلومات على أشرطة الفيديو لعرضها على أجهزة
التلفزيون في غرف الولادة ، وهو على قناعة بان
السنوات الست الأولى من عمر الطفل هي أهم فترة
في حياته على الإطلاق ، فيما يتصل بتطوره الفكري ،
فكانت هذه المرحلة من أهم المجالات الرئيسية
للبرنامج من خلال التركيز على الأسرة ، بالاستعانة
بوسائل الاعلام الوطنية ، وقد أعدت سلسلة شيقة
من النقاط القصيرة ، كان يجري تكرار عرضها في
التلفزيون باستمرار ، كما هو الحال في الاعلانات
التجارية ، وقد عم البرنامج كل أنحاء فنزويلا ،
حيث انهمك طلاب المدارس وموظفو الحكومة وعمال
الانتاج والفلاحون والجنود في استيعاب البرنامج
الذي أسموه « الذكاء أو تعلم طرائق التفكير » وأصر
على أن يخوض كل سكان فنزويلا (١٤ مليوناً)
التجربة في محاولة جادة لرفع ذكاء الأمة بمجملها .

تعليم التفكير

وهو ينادي بضرورة اجراء جراحة جذرية في بنية
مناهج « معاهد وكليات المعلمين والمدارس والجامعة »
واعادة تشكيلها لتصبح قائمة على « تعليم التفكير إذ

(كما يعتقد) من دور الذكاء الموروث ، أو من دور
(اختبارات) الذكاء ، التي يختفي خلفها بعض ممن
يروون بأن هناك عروفا ذكية وأخرى ليست كذلك !!

العوامل البيئية

وينحو « ماشادو » نحواً آخر ، اذ أنه يعتنق وجهة
النظر التي تقول بأنه لم يجز تطور كاف للطاقت
الفكرية للكائنات الانسانية العادية ، « فنحن نتجه
لأن » تمنح هؤلاء الفرصة لرفع قدراتهم الفكرية الى
أقصى مدى وهو لا يترك الفروق في المواهب الموروثة
بين الأفراد ، ولكنه يعتقد بأن العوامل البيئية ذات أثر
أعظم وأكثر أهمية اذ يقول :

« كل الأطفال العاديين موهوبون : وواجبنا
تطوير طاقتهم الكامنة الموروثة » .

واحد من المبادئ التي تقود تفكيره ، يؤكد كما
أسلفنا على ضرورة أن تصبح « فرص » تطوير الذكاء
متاحة للجميع وليس للقلة ، ثم يقول « اذا سمحنا
للقلة أن تطور ذكاءها فانها لامناص من احتكار
القوة ، بحيث يكون هناك الطغيان الأعظم » .

وواحدة من الفرضيات المهمة التي يعتبرها أساسا
لحواره تقول بأنه « يتضح مما تفيد علوم اليوم ، بأن
بنية دماغ الانسان الحالي لا تختلف في الشكل والجوهر
عن مثيلتها منذ فجر التاريخ ، فما الذي تغير اذن حتى
تنهض أمة وتتخلف أخرى ؟ »

ويجيب : انها التربية ، وانه التعليم الذي تعاقب
على أجيال الأمة !! كما يرى بأن الاختلاف بين
الأذكياء وغيرهم يعود للأساليب التي توصل
المعلومات للدماغ « والتربية من أفضل السبل »
لتطوير عملية المعالجة هذه لرفع طاقات الأفراد
الفكرية ، ولكل انسان الحق في « تطوير هذه الطاقة »
فمن واجب الأمة العمل على اتاحة فرصة التطوير هذه
للجميع منذ أن يكون الفرد جنينا ، وعلى امتداد حياته
على الأرض .

وهكذا فان برنامج تعزيز الذكاء الفنزويلي ينطلق
من التأكيد على العناية بالجنين قبل الولادة وبعدها ،
وكان أن تم تدريب الأطباء والهيئات التمريضية
والمطبوعات في مستشفيات الولادة ، لتزويد الأمهات
بالارشاد ، فيما يتعلق بالعوامل المؤثرة لدى الأطفال

● « أول وزير » للذكاء في العالم »

عن طريق التعلم ؟ وبمعنى آخر : هل يمكننا أن تعلم الذكاء ؟ وكيف ؟

ولا يستقيم البحث عن اجابات مناسبة لمثل هذه الأسئلة دون أن نعي بالمسلمات التي يطرحها « ماشادو » وهي :

- * نعم : يمكن لكل فرد أن يكون ذكياً .
- * التفكير مهارة يمكن للمرء ان يتعلمها .
- * تعلم التفكير وسيلة لرفع (تعلم) الذكاء .
- * التربية أفضل السبل لتعلم الذكاء .

ويتفق « ماشادو » مع « دي بوتو » الذي يعلم طرائق التفكير في جامعة كمبودج في انجلترا ، والذي ألف كتابه « آلية العقل » الذي يفترض فيه بأن التفكير مهارة لا يكتسبها القلة ، وهي بمتناول كل انسان ، اذا ما أحسنا اعداده لذلك .

وقد أرسلت الصين ٤٠ مبعوثاً رسمياً الى فنزويلا برئاسة نائب وزير التربية لدراسة ونقل افكار ماشادو الى بلادهم ، وهناك نشاط حاد في دول أمريكا اللاتينية لدراسة أبعاد التجربة ، كما أن اليونسكو أولت اهتماماً بارزاً بالمشروع .

واذا كان « ماشادو » يهوي أن يسميه الناس « بشاعر الذكاء » فهو يرى بأن أبرز حدث في هذا القرن سيكون ما يسميه « انفجار الذكاء » الذي قادته بلاده ، بل ان عالم النفس « سكر » يرى بأن عمل « ماشادو » أجراً ما حدث في هذا القرن .

ويتنبأ « ماشادو » بأنه اذ قدر لرياح المشروع أن تستمر ، فان بلاده ستتصدر الذكاء في العالم .

لا أعالي اذا قلت بأننا أمة لاتواجه تحديات الاستمرار ، فحسب ، بل والوجود أيضاً فهل نعي الدرس ؟ وهل نستطيع نحن التربويين أن نتلمس دوراً أفضل ؟ □

أن هذا خير وسيلة لانغاء الذكاء « فتعليم التفكير هو تعليم الذكاء » .

وفي السنة الأولى شارك في المشروع أكثر من مليون طفل بين التاسعة والرابعة عشرة « ليتعلموا كيف يفكرون » وكان ذلك في خريف ١٩٨١ .

اذا اخذنا برأي « هب » الذي يقول بأن الذكاء موروث ومكتسب واستثنينا رأي « فيرنون » الذي يربط الذكاء برواثر الذكاء (وهذه المقولة ناقدون كثيرون في الغرب وعلى رأسهم « جاردنر » الذي يرى بأن هذه وثيقة الصلة بثقافة الغرب فحسب) ان « ماشادو » يركز كما رأينا سابقاً على أهمية الجانب المكتسب ، بل يرى في ذلك أساساً جوهرياً لاختلاف الأمم في ذكائها ، فالأمة الذكية - كالفرد الذكي - تكتسب « كماً » من الخبرات ، توظفها في التقدم والتفوق ، مما يجعلها جديرة بصفة الذكاء ، وقد يكون السؤال الجوهري ماهي الخبرات التي تساعد على رفع ذكاء الفرد وبالتالي الأمة ؟ ومانعنيه بالذكاء هنا ببساطة هو ما يأخذ به « بركينز » أحد العاملين في مشروع الذكاء في هارفارد اذ يرى فيه « كل ما يجعل المرء يفكر بصورة أفضل » وهو موقف وظيفي وغائي معاً ، وبالتالي فان هذا يشتمل على كل ما نتصور : المهارات الدراسية والقدرة الجيدة على حل المشكلات اليومية ، والمحاكمة العقلية الجيدة ، وقدرة التحكم بالذات وغير ذلك .

دور التربية

وهذه الجوانب تتضمن ما يبحث السؤال السابق عنه ، وبالطبع فان هذه تطرح السؤال المثير للجدل : هل يمكن للمرء ان يكتسب هذه الصفات أو الخبرات

■ الانسان الذي لا يفقد عقله أمام الاغراء .. ليس لديه ما يفقده

(ليسنج) .

■ الناس نوهان : نوع ينظر الى الطين أو نوع ينظر الى النجوم (فريديريك

لانجبريدج) .

خالد العدساني

والعمامة والكتاب

خير المنثور !

بقلم : عبدالله زكريا الأنصاري

خالد العدساني ، سياسي وأديب من الكويت ، أدى دوره ، وسجل بعض ما عرفه

وعايشه في كتبه وأشعاره .

لكن كتابا من بينها لم ينشر وبقي حبيس الأدراج ، فما هي الأسباب والدواعي ؟ وما

هي قصة العدساني مع العمامة ؟

الذي جعله يتمدد ويرخي عمامته ، ويُلقى عصاه ، ويخلد إلى الراحة والهدوء ، فلا حزم ولا عزم ، ولا جد ولا كد ، ولا تعب ولا حروب ، وعندما سألته السائل عن هذا الضيف الذي حلّ به وهل هو الشيب ؟ قال : نعم : إنه الشيب الذي يُلقى العصا ، ويُرخي العمامة ، ويبعث في الانسان الوهن والضعف والفتور ، ويدفعه إلى إلقاء السلاح .

نعم إنه الضعف والوهن ، وهما الشيب ، لكن ما بال أولئك الذين ألغوا بعصيتهم ، وأرخوا عمامتهم ، واستسلموا دون شيب ، أي دون ضعف في الأبدان ، ودون وهن في الأجسام ؟ وينطلق صوت من وراء الستار مردداً قول أبي الطيب المتنبي : -

 العمامة هي اللباس العربي ، والعمائم هي تيجان العرب ، ولعلها اللباس العربي الذي يدل على الجد ، ويدل على العمل ، ويدل على العزم والحزم ، وخوض الحروب ، لأن صاحب لسان العرب يقول في العمامة ، ان الرجل إذا أرخى عمامته فمعناه أنه ، أمن ، وترفه ، لأن الرجل يرخي عمامته عند الرفاه ، ويشدها عند الجد .

يقول الشاعر العربي : -

ألقي عصاه وأرخى من عمامته

وقال : ضيفٌ ، فقلتُ : الشيبُ ؟ قال : أجل

يقول الشاعر ، إنه ألقي عصاه وأمن ، وأرخى من عمامته ، وتمدد قائلاً إنه الضيف ، أعنى الضيف

حل كلية الامام الأعظم ، وعمائم هذه الكلية تختلف شيئاً عن عمائم الأزهر الشريف ، ولا ندرى متى اتخذت العمامة طابعاً دينياً ؟ ومع ذلك فنحن نرى اليوم بعض الناس في بعض البلدان العربية ما زالوا يستخدمون العمامة غطاء للرأس ، لا سيما في الأرياف والقرى والمناطق النائية عن المدن الكبيرة ، وهؤلاء قد لا يكون لهم علاقة بالدرس والتدريس في علوم الدين ، لكن على العموم فهي طابع يتخذه رجال الدين شعاراً لهم هنا في أقطارنا العربية ، وفي بعض البلاد الاسلامية الأخرى .

ولا نريد أن نتحدث عن الدين يتخذون من العمامة ذريعة للتظاهر بالدين مثلاً ، أو ذريعة للغش والخداع ، أو وسيلة للحيلة والمكر بالطيبين من الناس ، فهي على كل حال كانت لباساً عربياً يدل على الجد والمهابة والحزم ، فأصبحت لدى رجال الدين لباساً يُضفي عليهم شيئاً من الوقار ، واتخذها البعض ذريعة لحاجات يقضونها ، ومع ذلك فهي لباس وقور طالما اتخذها حاملو العلم والمتفقهون بالدين شعاراً مميزاً يدل على المهابة والوقار ، وطالما لبسه الأفاضل من الرجال العاملين المصلحين ، والمخلصين في عملهم ، الصادقين في أقوالهم .

والعمامة على كل حال مظهر لا جوهر ، ولهذا غدت لباساً يلبسه الصالح والطيال ، ويستعمله العامل والخامل ، ويضعه على رأسه الصادق والكاذب على حد سواء .

العدساني والعمامة

وربما فُرِضت العمامة على المرحوم خالد العدساني عندما كان يدرس في بغداد في كلية الامام الأعظم في الجامعة الهاشمية ، وأنت ترى مع هذا الحديث صورته بالعمامة ، وقد علق عليها بخط يده هكذا : - (رسمى أخذ في سوق السراي ببغداد في يوم الخميس ٢٧ جماد الأول سنة ١٣٤٣ ، الموافق ٢٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤) . وكانت هذه الصورة مخفية بين أوراقه ، ونشرت لأول مرة بعد وفاته مع المقال الذي نشرته عنه في مجلة (العربي) من قبل . ولعله كان لا يريد أن ينشرها وقت حياته ، ولما توفي أصبحت ملكاً للناس وللباحثين عن تاريخ حياته . كان المرحوم قد انتقل إلى عالم الخلود مساء يوم



المرحوم خالد العدساني

وإذا كانت النفوس كباراً

تعبت في مُرادها الأجسامُ

قلت نعم ، فهمت ماذا تعني أيها الصوت ، إنك تعني متسائلاً ، وماذا يحدث إذا كانت النفوس صغاراً ؟ أجل : يحدث الخور والوهن والاستسلام ، لكن أهذا ما أردت ؟

من التاج الى الشعار

وتطور وضع العمامة بعد أن كانت تاجاً ، إلى أن أصبحت شعاراً أو شبه شعار يلبسه دارسو الدين ، وها أنت ترى في بلادنا العربية أشكالاً من العمامات على رؤوس دارسي الدين ومعلميهم لا تشدها الشدائد ، ولا يرخيها الرخاء ، وإنما هي عمائم تعلو الرؤوس وقت الدرس ، وترتخي وقت العرس ، وتُلقي أو ترفع ، أو تنحى جانباً وقت النوم ووقت التمدد والاسترخاء .

المرحوم خالد العدساني لبس العمامة أو ألبسها يوم

والأدوية والاهتمام بالنظافة عن طريق البلدية وتطويرها ودعمها بالكفاءات ، وسن القوانين لتنظيم مختلف شئون البلاد ، وكانت الكويت في ذلك الحين صغيرة بعدد سكانها ، لكن كان لأهلها امتداد إلى كثير من بلدان العالم ، لا سيما تلك البلدان التي سبقت الكويت بسن القوانين ، وتنظيم شئون البلاد ، ولا يتم ذلك إلا بالوعي وبالعلم والفهم والادراك .

ملاح وملايسات مرحلة

وكان المرحوم خالد العدساني يعايش هذه الأحوال ، ولهذا سجلها في كتابه المفصل الذي وعد به ، وربما دفعه حرجه من اخوان أعزاء عليه إلى عدم نشره ، لأنه رحمه الله سجل الأحداث بصراحته المعهودة ، وروى الملايسات بكل وضوح ، ورسم تصرفات أبطال هذه الأحداث والذين شاركوا فيها بكل حرية ، ومنهم الصديق ، والقريب ، والعزيز ، لكن التاريخ لا بد أن يأخذ حقه في الصديق والأمانة والاخلاص ، وهذا ما حدث لكتابه ، ولم يغفل الأيدي الأجنبية التي أرادت أن يكون لها دور ، وأن تقوم باللعبة حتى نهايتها ، ولم يغفل أيضاً الذين شاركوا باللعبة . . فقد سجل تصرفات الرجال المخلصين ، وسجل تصرفات غير المخلصين إما جهلاً أو تعمداً ، فهناك بعض الذين أساءوا التصرف ، أساءوا عن جهل وليس تعمداً ، وهؤلاء مخلصون طبعاً ، لكن إخلاصهم مشوب بالجهل أو الغفلة لكن هناك بعض الذين أساءوا التصرف عن عمد ، وهؤلاء غير مخلصين للبلاد بلا شك ، والأذكىاء المخلصون هم الذين يريدون البناء ، ويريدون الإصلاح ، لكن الخبثاء هم الذين يسعون أبداً إلى الدس والفتن ، وإثارة العداوة والبغضاء بين الناس ، والناس تختلف طبائعهم ، منهم من يسعى للبغضاء إذا اعتقد أنه يستفيد منها .

إذن فالمرحوم خالد صور بكتابه هذا كل شيء على علته ، وربما كشف هذا الكتاب لدى بعض الناس من أهل الكويت صوراً مختلفة عما كانت في أذهانهم ، وربما عكس حقائق تغير مفاهيم لبعض الناس مختلفة ، فالمصور لا بد أن يصور الأشياء على حقيقتها ، سواء كانت هذه الأشياء جميلة أو قبيحة ،

السبت الرابع من شهر سبتمبر سنة ١٩٨٢ ، الموافق ١٦ من شهر ذي القعدة سنة ١٤٠٢ . ووجدنا في بعض أوراقه التي تركها ، تاريخ ميلاده بخط يده يقول فيها : - (ولدت في شهر رجب سنة ١٣٢٣) وهذا التاريخ يوافق شهر سبتمبر سنة ١٩٠٥ ، أي أنه توفي عن عمر يبلغ تسعة وسبعين عاماً هجرياً .

ترك المرحوم وراءه شيئاً قليلاً من الفكر ، شعراً ونثراً ، طبع منه كتيب « نصف علم للحكم النيابي في الكويت » وهو ملخص أعمال أركان العهد النيابي الأول في الكويت ، وجاء فيه وعدٌ بكتاب مفصل يصدر في ظروفه وميعاده المقدور ، وصدر له بضع قصائد وقت حياته أسماها « عدسانيات » . أما الكتاب الذي لم يطبع بعد فهو أهم أثر أدبي للمرحوم ، ففيه يسجل بأسهباب حركة المجلس النيابي الأول ، كيف قام ، وكيف عاش ، والأحداث التي مر بها ، والملايسات التي حصلت له ، ثم نهايته السريعة التي عجلت به ، وهو كتاب مهم للذين يرصدون تاريخ الحركة النيابية في الكويت ، بل للذين يرصدون تاريخ الحركة السياسية . صحيح انه يسجل تاريخ فترة قصيرة من حياة الكويت ، لكنها فترة حافلة مليئة بالأحداث ، سواء في الكويت ، أو في المنطقة ، لا سيما بعض البلاد العربية المجاورة ، وبجانب تسجيله لحياة الكويت ، فهو سجل مهم لبعض رجال الكويت الذين ساهموا في الأحداث من الذين اشتركوا بالمجلس أو الذين لم يشتركوا .

لقد كانت الكويت في تلك الفترة تعيش حياة بسيطة عادية ، بعيدة عن مظاهر الترف ، بل كان معظم أهلها يعيشون عيش الكفاف ، على الغوص والسفر إلى سواحل الخليج وسواحل الهند وسواحل أفريقيا ، وهناك قلة من التجار الذين يتعاملون مع البلدان المجاورة ، وبعضهم مع بعض بلدان العالم في الشرق والغرب ، واستخراج اللؤلؤ جعل هؤلاء القلة من التجار يملكون تجارتهم إلى أوروبا وإلى آسيا ، لا سيما الهند الموحدة في ذلك الوقت ، وإلى أفريقيا .

وكانت هناك قلة من الشباب تتطلع إلى حياة أفضل ، وكانت هذه القلة على جانب من الثقافة والإطلاع أدى إلى طموحها ورغبتها في تطوير البلاد ، وتنظيم بعض شئونها مظهر التعليم وإرسال البعثات إلى الخارج ، والعناية بالصحة العامة وجلب الأطباء

● خالد العدساني والعمامة .

الجزيرة العربية ، مرة في البحرين ، ومرة في القطيف ، وأخرى في الدمام وهكذا ، وكان يرسل خطاباته من هناك إلى صديقه وسميه خالد العدساني المقيم في الكويت ، والمرحوم خالد العدساني سبق أن عمل خارج الكويت ، وفي هذه البلاد التي ذكرناها ، لا سيما البحرين .

وكان كل من الخالدين يث شكوها ومشاعره لأخيه ، وهكذا يتبادلان الرسائل ، ويتحاوران في أمور مختلفة ، لا سيما تلك التي يعانين منها ، وكنت أتمنى من المرحوم خالد الفرج قصيدة يصف بها عمامة زميله المرحوم خالد فوزي كما يسميه ، إذن لكنت قصيدة تضم إلى قصائده التي يداعب فيها زملاءه ، والمرحوم خالد الفرج كان يتحين الفرص ليداعب أصحابه ، وربما أت مداعباته جارحة ، فهو شاعر والشاعر لا يرد خاطرة شعرية ترد إليه ، بل يلقطها ويضمها إلى مداعباته حتى لو أتت بشكل قاس شديد ، ومن يدري لعل المرحوم زميله الفرج لم يطلع على صورة زميله المرحوم خالد العدساني بالعمامة .

نقول إن المرحوم خالد العدساني لبس العمامة ، وإن لم يكن شديداً التدين ، مما يدل على أن العمامة مفروضة عليه ، ولم تشع صورته بالعمامة بين الناس ، حتى بين أهله ، وكتب الشعر ، وتغزل به ووصف ، ونظم بالقوميات والاجتماعيات ، وهو شاعر مقل ، وكتب النثر ، أدباً وسياسةً وتاريخاً ، وأهم ما كتب كما ذكرنا ، تاريخه الموعود ، ورسائله مع أصحابه ، ومن المؤسف أن تكون رسائله مع الزملاء والأصدقاء رسائل مبتورة ، فقد يكتب رسالة لزميل لم يحتفظ بصورة منها فتضيع ، ويختلط أمر المناسبة التي كتب فيها فلم تتضح بشكل كاف ، ونقرأ الرد عليها فيعطينا بصيصاً منها ، لكن يبقى الغموض محيطاً بها .

هناك بعض الرسائل التي كان يحتفظ بصورة منها ، لكنها قليلة ، وهناك مع ذلك الكثير من الرسائل التي لم نطلع عليها ، ولا ندري إن كانت موجودة بين أوراقه ودفائره ، أم أنها ضاعت فيما ضاع من آثاره الكتابية والأدبية ، ولعل الظروف تسمح في الاطلاع على المزيد من آرائه وأفكاره فيما يوجد من آثاره ، كتابة .

والناس من التراب ، والتراب يحتوي على معادن مختلفة منها الثمين ، ومنها الرخيص ، ولهذا فأنت ترى الأجسام عندما تدفن في التراب تتحلل ، وكل عنصر يذهب إلى عنصره ، فالذهب يذهب إلى الذهب ، والحديد إلى الحديد ، والتراب إلى التراب وهكذا بقية العناصر .

خلاصة القول أن كتاب المرحوم هذا الذي وعد به في ظروفه يفيدنا في الاطلاع على الحركة السياسية في الكويت ، ويفيدنا أيضاً في الاطلاع على الحركة الفكرية ، ويفيدنا في معرفة ثقافة الكاتب ، ويعطينا صورة واضحة على مقدرته في الكتابة ، ومدى متانة أسلوبه وسلامته ، فقد وجدنا المرحوم شاعراً ، لكن أشعاره المنشورة وغير المنشورة لا تدل على تمكنه من الشعر ولا على قوة شاعريته ، بل تدل على حبه للشعر ، وحبه لمحاولة كتابة الشعر والتعبير به عن معاناته ، وفعلاً جاءت بعض أبياته موفقة استطاع أن يعبر بها بوضوح عن بعض أفكاره وآرائه السياسية وغير السياسية ، لكن لعل كتاباته الثرية تزيدنا وضوحاً وتعطينا صورة جلية عن آرائه وأفكاره ، زد على ذلك مقدرته على الكتابة الثرية ، ومقدرته على صوغ أفكاره بصورة أكثر قوة ، وأبلغ بياناً .

هذا فيما يتعلق بالأدباء ، وبالنسبة لما يتعلق بأرباب السياسة ، وأهل التاريخ فلا شك أن الكتاب سيعينهم على معرفة تلك الفترة معرفة واضحة ، تلك الفترة التي سجل فيها الكتاب ، وهي وإن كانت فترة قصيرة ، إلا أن أحداثها مهمة ، ذلك أن بعض الفترات تكون مليئة بالأحداث ، بعكس تلك التي نجيم عليها الركود والهدوء ، ولا تتمخض عن أحداث ذات بال ، ولا يخفى أن الأحداث التي سجلها المرحوم في كتابه ، أعنى أحداث المجلس الأول لم تعد نصف العام ، إلا أن لها ذيولاً سابقة وذيولاً لاحقة ، تعين المؤرخين على رصدتها وتسجيلها بشكل جيد ، لا لبس فيه ولا إبهام .

ولم نطلع على آثار ذات بال للمرحوم أهم من هذا الكتاب ، لكن هناك رسائل أدبية بينه وبين المرحوم الشاعر خالد الفرج ، تحتوي على صور أدبية جميلة ، وكان المرحوم خالد العدساني يتسمى باسم « خالد فوزي » ولهذا ترى رسائل خالد الفرج يوجهها إليه .

بقلم : محمود المراغي

أصحاب النفوذ

بلاد تحتل أحدها أكثر من نصف المساحة .. وبالتحديد (٥٢٪) من مساحة هذه البلدان ، .. بل ان هناك ثلاث دول تقترب مساحة كل منها من ربع المساحة الكلية وهي : الاتحاد السوفييتي وكندا والصين .. الأولى تحتل وحدها ١٤٪ من مساحة ما أمكن حصره من بلدان (وهي كل العالم المأهول بالسكان) .. أما الثانية والثالثة فتحتلان ٦,٦٪ و ٦,٤٪ من المساحة على التوالي ، وتليهما الولايات المتحدة الأمريكية التي تمثل ٦,٢٪ فقط من المساحة

وبكلمات أخرى فان ست دول مما أطلق عليه اسم العشرة الكبار من حيث النفوذ تعتبر من الأكبر حجماً في العالم على الإطلاق .. كذلك فان معظمها يتمتع بتعداد سكاني ضخم ، فالاتحاد السوفييتي طبقاً لإحصاءات البنك الدولي في عام ١٩٨٣ بلغ عدد سكانه (٢٧٢,٥) مليون نسمة .. كما أن الولايات المتحدة الأمريكية قد بلغ تعدادها (٢٣٤,٥) مليوناً ، والبرازيل (١٣٠) مليوناً .. أما الصين (وهي السابعة في النفوذ حسب الدراسة السابقة) فقد بلغ تعدادها ١٠١٩ مليوناً .

.. القاعدة والاستثناء

وإذا كانت هذه هي القاعدة ، فإن الاستثناء أمر وارد .. وعلى مجال واسع .

فليس الأكبر .. أكبر قوة أو نفوذاً على الدوام . وليس الأصغر .. أقل نفوذاً أو قوة في كل الحالات ..

طبقاً لأوضاع عام ١٩٨٠ ، حاول بعض الإحصائيين القيام بدراسة حول النفوذ الدولي .. من الذي يملكه ؟ .. ما هي الدول التي تملك مقوماته ؟ .. كيف ينتقل التأثير من دولة إلى أخرى .. و .. كانت النتائج على غير المتوقع !

تم البحث في ٧٧ دولة تضم (٨٥) بالمائة من سكان العالم ، واتضح أن عوامل النفوذ الدولي تتركز في أربعين فقط .

وبطبيعة الحال كان ، كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الأمريكية في المقدمة .. ولكن بفارق كبير حيث حصل السوفييت على (٤٥٨) نقطة ، بينما لم يحصل الأمريكيون إلا على (٣٠٤) نقاط .. ثم .. يأتي في الترتيب مع فارق كبير كذلك : البرازيل - ألمانيا الغربية - اليابان - استراليا - الصين .. وبعدها تأتي اثنتان من الدول الغربية التي تحمل اسم « الكبرى » ، والتي قادت حركة الاستعمار لفترة طويلة من الزمان وهما : فرنسا وبريطانيا .

الترتيب على هذا النحو يعكس ما اعتبره الإحصائيون عناصر قوة .. فضم : القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ، وامتلاك استراتيجية واضحة بالإضافة إلى عوامل أخرى مثل : المساحة التي تحتلها الدول ، وعدد السكان الذين تضمهم حدودها .

و .. يبدو أن العنصرين الآخرين (المساحة والسكان) من العوامل الحاسمة بالفعل .. فوفقاً لبيانات الأمم المتحدة حول ١٨٨ بلداً ، هناك عشرة

.. عوامل أساسية

المساحة والسكان اذن من العوامل الاساسية .. لكن تراجع اهميتها النسبية وفقدانها للتأثير في بعض الحالات يجعلنا نقول : ان العبرة بتوظيف ما تملكه الدولة من أرض وموارد مادية وبشرية ، ان حسن استخدام ما هو متاح هو العنصر الحاسم ..

لذا ، وعندما وضع الاحصائيون عوامل للنفوذ الدولي ، اختاروا من بينها كما قلنا : مدى امتلاك استراتيجية واضحة .. بالإضافة الى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية ضمن العوامل الاساسية للنفوذ ، ومن هنا كان من الطبيعي أن نجد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية في مقدمة ذوى النفوذ ، بما تملكانه من موارد تحولت بحسن التخطيط والادارة الى قوة عسكرية مؤثرة ، وقوة اقتصادية جبارة .

وقد يكون مفاجئا أن نجد البرازيل الثالثة من حيث امتلاك عوامل النفوذ الدولي ، بينما لا تتمتع في الواقع بمثل هذا النفوذ

وبقي ذلك أيضا : انه لا يكفي أن تمتلك الدولة عوامل النفوذ حتى تصبح ذات نفوذ .. فالامكانيات شئ ، وتوظيف هذه الامكانيات شئ آخر .

و .. قد يرد السؤال عن الوطن العربي أو الشرق الأوسط ، وتأتي الاجابة : هناك دولة واحدة تقترب من أعلى السلم في امتلاك عوامل النفوذ وهي : مصر التي تسجل ٤٦ نقطة ، ويأتي ترتيبها الرابعة عشرة .. بينما تسجل اسرائيل ٣٩ نقطة ، وتسجل بريطانيا على سبيل المثال - ٦٨ نقطة ، ومرة أخرى ، وحين ننقل للوطن العربي تبرز القضية : كيف يتحول مالدينا من امكانيات الى قوة حقيقية ؟

وقد يكون السؤال أكثر اثارة لو تصورنا الوطن العربي وقد أصبح دولة واحدة .. أو كتلة حقيقية واحدة ، توظف كل ما لديها من امكانيات جغرافية ، وبشرية ، واقتصادية وعسكرية .

الا تصبح احدى القوى العظمى ؟

انه الحلم !

وتسجل الارقام أن دولتين عربيتين هما : السودان والجزائر تقفان بين أكبر عشر دول في العالم من حيث المساحة ، حيث تمثل كل منهما : ١,٧٪ من مساحة الدول التي تم حصرها .. ومع ذلك فان هذه المساحة الضخمة لم تدعم نفوذها الدولي كثيرا .. بل أن دولة كبر من حيث المساحة والسكان وهي الهند التي تحتل ٢٪ من المساحة ، ويبلغ عدد سكانها عام ١٩٨٣ (٧٣٣) مليونا ، تقف بعيدا في سلم النفوذ الدولي

الاستثناء اذن قائم ، ولكن تبقى حقيقتان تبرزهما الارقام الأولى ، انه في كل الحالات فان الرباط وثيق بين المساحة والسكان وقوة الدولة ، وليس من بين العشرة الكبار من حيث التأثير والنفوذ دولة صغيرة واحدة ، فالشكل من الحجم العملاق والكبير والمتوسط ..

واذا كانت اليابان لا تحتل مقعدا أول من حيث المساحة والسكان ، فان حجمها يدخل في هذا النطاق الذي نتحدث عنه « الدولة متوسطة الحجم » حيث يبلغ سكانها ٦٢ مليون نسمة (١٩٨٣) ، ومساحتها ٣٤٩ ألف كيلومتر مربع .

أما الحقيقة الثانية ، فانه على العكس من ذلك ، ومن بين الدول ذات الحجم القزمي ، لاندخل دولة واحدة نادي اصحاب النفوذ .

وطبقا لبيانات البنك الدولي ، فان هناك ٣٥ دولة في العالم تتمتع بعضوية البنك ، كما تتمتع بعضوية الأمم المتحدة ، ويقل عدد سكان كل منها عن المليون نسمة ، وبالتالي فهي لا تظهر في الجداول الاحصائية التي تقدم المؤشرات الاساسية للنمو في العالم .. و .. بفحص هذه الدول نجد أن أكبرها بوتسوانا التي يقترب سكانها من المليون ، ومساحتها من (٦٠٠) ألف كيلومتر مربع .. أما أصغرها (مثل مالطا وبادوس ومالديف) فان مساحة كل منها يقل عن ألف كيلومتر مربع ، ويتراوح السكان بين ربع المليون وثلاث مليون ، وكلها كما قلنا لا تملك عوامل نفوذ دولي .

■ صنع الله الريف ، وصنع الانسان المدينة (كوبر) .

السيمياء

أحدث العلوم الإنسانية

بقلم : كمال أبو ديب

استطاعت « السيمائية » وهي أحدث العلوم الإنسانية ، أن تبلور غايات محددة ، وأن تجد مجالا ومناهج عمل خاصة بها خلال العقدين الماضيين ، فما هي السيمائية ؟ وما هي غاياتها ومجالات البحث فيها ؟ .

حيوان سيمائي » ، أي أنه يخلق الدلالات ويقراها مترجما الرموز التي تحملها ، وأنا حتى الآن أستخدم المصطلحات الأساسية « الدلالة » ، « القراءة » ، « الرموز » بطريقة فضفاضة شاملة ، لكنني سألجأ الى استخدامها في أبعادها الدقيقة بعد قليل ، ذلك أن طبيعة العلم الذي أتحدث عنه تتحدد أصلا بأنها عملية اكتناه وتمييز وتحديد للإشارات والرموز والعلامات والعلاقات المنتجة للدلالة في النشاط السيمائي بكل أشكاله وفي أبعاده الدقيقة .

أمران مهمان

لكن قبل أن أتابع التفصيل ، لابد من الإشارة الى أمرين : الأول هو أن المصطلح الذي أستخدمه لترجمة « Semiotics » وهو « السيمائية » ، يبدو لي أفضل ما يوجد في العربية لتأدية هذا الغرض ، وذلك لسببين : الأول هو قربته من الكلمة الأوروبية في لفظه

السيمائية « Semiotics » أحدث العلوم الإنسانية ، فقد استطاعت أن تبلور غايات محددة لها ، ومجالا محددًا لعملها ، ومناهج عمل خاصة بها ، خلال العقدين الماضيين . وعلى حداثه هذا العلم ، فإن النشاط السيمائي الذي يشكل مادته المعرفية هو أقدم النشاطات الفكرية الإنسانية على الإطلاق : فهو النشاط الدال لدى الإنسان ، والنشاط المكتشف للدلالات القائمة في الطبيعة ، أو ضمن الوجود الإنساني ، أي أنه النشاط الذي يرافق ظهور الكائن الحي ويلزمه ، لا يسبقه في تكوّنه الا النشاط البيولوجي الصرف ، أي فعل الحياة .

وفعل الدلالة والاستدلال (القراءة المفسّرة للرموز) ، إذن ، وفعل الحياة ، هما الفعلان الجوهرانيان المتميزان في تلازمهما للوجود الإنساني ، ويعني من المعاني ، فإن تعبير أرسطو عن الإنسان بأنه حيوان ناطق يمكن أن ينقلب الآن ليصبح « الإنسان

وتركيبه ، والثاني هو اشتقاقه المباشر من كلمة « سيماء » العربية التي تعني العلامة ، أو الإشارة ، ولقد كنت ، في بداية كتابتي عن « السيميوطيقا » بالعربية أميل الى استخدام « السيميائية » ، لكنني بعد زمن من التأمل والتمحيص ، أميل الآن الى الاستقرار على « السيمائية » ، والأمر الثاني هو أن صيغة المفرد « السيمائية » ينبغي ، في تصوري ، أن تتطور في الاستعمال لتصبح « السيماتيات » ، مجسدة بهذا صيغة الجمع في المصطلح الأوروبي « tics » ومحقة انسجاما مع صيغ مشابهة كالصوتيات ، واللسانيات . والسعي الى ضبط المصطلح العلمي ومنحه درجة عالية من الانسجام في اللغة العربية ، وتطوير قدرات هذه اللغة على تمثل المعارف الحديثة ، أمر جوهري ، وشرط لازم لتحقيق التطور المعرفي - الحضاري الذي نطمح اليه الآن في الحياة العربية المعاصرة ، ولذلك أقترح تخصيص صيغة الجمع المؤنثة هذه للتعبير عن مثل هذه المفاهيم ، والعمليات العلمية ، والحقول المعرفية الجديدة ، ولا مسوغ ، من وجهة نظري ، لاستخدام « اللسانيات » في صيغة الجمع ترجمة لـ « Linguistics » ثم استخدام « الشعرية ترجمة لـ « Poetics » ثم استخدام « السيميائية » ترجمة لـ « Semiotics » و « الاسلوبية » ترجمة لـ « stylistics » ، فمثل هذا السلوك يقضي على فرص تحقيق الاطراد في الاستخدام اللغوي ، ويعمق حالة التشتت والتشردم الحضارية والثقافية السائدة في العالم العربي الآن . وسعيا الى مقاومة هذا التشتت والتشردم ، والى تطوير طاقات اللغة على التعبير ، والى تحقيق سلاسة عالية في صياغة المصطلح العلمي ، أود أن ألح على ضرورة المغامرة اللغوية ، والتمسك بدرجة عالية من الانتظام ، ويبدو لي أن شيوع مصطلح « اللسانيات » وانتشاره بهذه السرعة ظاهرة مشجعة جدا في هذا المسار ، فلقد غلب هذا المصطلح على « علم اللغة » و « الألسنية » وغيرهما من مصطلحات اقترحت الى جانبه خلال السنوات العشرين الأخيرة . وإذا كنت أستخدم في هذه الدراسة مصطلح « السيمائية » ، وأدعو ، في الوقت نفسه ، الى استخدام « السيماتيات » فإن لذلك سببا وجيها يتعلق باستخدام مصطلحين في اللغات

الأوروبية نفسها - حيث نشأ هذا العلم - أحدهما « Semiotics » والآخر « semiology » وذلك مما سينجلي في الفقرة التالية .

يمكن أن ينسب ابتكار هذا العلم الجديد ، دون تردد ، وفي حدود المعرفة التي تملكها الآن عن تطور الدراسات الأوروبية خلال هذا القرن ، الى اللغوي السويسري فرديناي دوسوسير الذي يعتبره كثير من الباحثين مؤسس اللسانيات الحديثة « linguistics » وليس غرضي الآن مناقشة دور سوسير في تأسيس اللسانيات ، بل الإشارة الى تلك الفقرات من عمله التي يرى فيها الباحثون أول تحديد جلي لمجال معرفي جديد هو « السيمائية » . وأبرز هذه الفقرات المقطع التالي من كتابه التأسيسي المشهور « منهاج في اللسانيات العامة » .

« إن اللغة نظام من العلامات يعبر عن أفكار ، ولذلك فانه قابل للمقارنة مع نظام الكتابة ، وأبجدية الصم - البكم ، والطقوس الرمزية ، وأشكال آداب اللياقة ، والاشارات العسكرية . الخ . ولا تعدو اللغة أن تكون النظام الأكثر أهمية بين هذه الأنظمة » .

وبوسعنا ، لذلك ، أن نتصور علما يقوم بدراسة حياة العلامات ضمن المجتمع ، ونسمي « السيمائية » « Semiology » من الكلمة اليونانية « semion » (علامة) . وسيعلمنا (هذا العلم) ما تتألف منه العلامات والقوانين التي تحكمها ، ولأن هذا العلم غير موجود بعد ، فليس بوسعنا أن نقول ما سيكون ، بيد أنه يملك الحق في الوجود ، وإن مكانته لمضمونة سلفا ، واللسانيات ليست الا جزءا من هذا العلم ، وستكون القوانين التي تكتشفها السيمائية ذات انطباق على اللسانيات التي ستجد نفسها ، بذلك ، ملتصقة بمجال من الظواهر الانسانية محدد تحديدا جيدا .

علم جديد

هنا يدعو سوسير الى تأسيس علم جديد يختص بدراسة « حياة العلامات ضمن المجتمع » . وهنا أيضا يعتبر اللغة أهم نظام سيميائي في الوجود ، ويعتبر اللسانيات علما فرعيا منضويا تحت العلم العام الشامل ، علم العلامات ولذلك يمكن ترجمة semi-

العالم) أعطى لكل من هذه الألوان ، من حيث هو علامة ، دلالة محددة ، ثم إننا نلاحظ أيضا أن هذه الاشارات تعني بسبب تمايزها وتشكيلها لنظام كلي (هو نظام اشارات المرور) ووجودها في هذا النظام ، وهي تكتسب معناها من شبكة العلاقات التي تنشأ بينها ضمن هذا النظام : أي من الموقع المكاني لكل منها بالقياس الى الآخرين ، ومن الفواصل الزمنية التي تفصل بين اشتعالها وانطفائها ، ومن الترتيب الذي تتم به عملية الاشتعال والانطفاء . (فلو اشتعلت وانطفأت في وقت واحد لما عُنَتْ) ثم اننا بعد ذلك نلاحظ شيئا آخر على قدر كبير من الأهمية ، هو أن شرطا ضروريا يجب أن يتوفر من أجل أن يكون هذا النظام قادرا على العَني : هو أن يكون مفهوما مسبقا من قبل المجتمع الحركي (الأفراد الذين يستخدمون هذا النظام) ، والنكات الكثيرة التي تروى حول القرويين ، أو السذج الذين يفدون الى المدينة ، دون أن تكون لديهم معرفة مسبقة بدلالة العلامات ضمن النظام ، وبالمعنى الكلي له ، وما يقعون فيه من متاعب نتيجة الجهل ، هي تعبير عضوي عن لزوم توفر هذا الشرط من أجل أن يكون النظام قادرا على العَني ، وهذه نقطة بالغة الأهمية في سياق آخر من هذه المناقشة ، ولذلك سأعود إليها فيما بعد .

وساعدنا المثل الذي ضربناه على ادراك حقيقة أساسية : ما دام ثمة نظام من العلامات ، فلا بد أن يكون ثمة أعراف وقواعد تحكم آلية عمل النظام ، ولا بد أن يكون ثمة معنى ، وهذه الحقيقة هي الشرط المحدد لمجال السيمائية ولطبيعة العمل فيه ، وللمناهج التي لا بد أن تتوفر له من أجل أن يتبلور ويكتمل .

وإذا انتقلنا من نظام اشارات المرور الى أنظمة سيمائية أخرى ، ودرسنا خصائصها جميعا دراسة مقارنة ، فإننا سنصل بالضرورة الى النتيجة التي قررنا سوسير في المقطع الأول المقتبس أعلاه : وهي أن اللغة هي الأهم بين الأنظمة السيمائية في الوجود . فبالمقارنة مع اللغة تبدو جميع الأنظمة الأخرى ، مهما ارتفعت درجة تعقيدها وراثتها عن النموذج الأبسط - نظام اشارات المرور - بسيطة وفقيرة نسبيا ، ان الطقوس في الحياة الاجتماعية تشكل نظاما

ology بـ « علم العلامات » أو « العلاماتية » ، بيد أن خصائص اللفظة الصوتية ، والاشتقاقية ، والاستعمالية تجعلها ، في تقديرنا ، أقل طوعا وملاءمة من لفظتي « السيمائية » و « السيمائيات » . وفي أماكن أخرى يشير سوسير الى بعض النتائج الأولية المهمة التي يعتقد أن تأسيس مثل هذا العلم سيولدها في مجال دراسة اللغة ، من جهة ، ودراسة تجليات النشاط السيمائي الأخرى ، من جهة ثانية . « ان جوانب من اللغة تبدو لأول وهلة على قدر عظيم من الأهمية (كاستخدام الآليات الصوتية) ستبدو اعتبارات ثانوية الأهمية اذا كانت لا تؤدي غرضا سوى تمييز اللغة عن الأنظمة السيمائية الأخرى ، ومثل هذا الاجراء لن يحل المشكلات المتعلقة باللسانيات فقط ، بل ان الطقوس ، والعادات ، الخ . . ستظهر ، كما نعتقد ، في ضوء جديد اذا درست كعلامات ، وسيدرك المرء أنها ينبغي أن تدرك في مجال السيمائية ، وتوضح تبعا لقوانينها » .

تطلق السيمائية ، إذن ، من افتراض دقيق : هو أنه ما دامت العلامات ، أية علامات ، تعني ، أي تؤدي معنى ما ، مُشكِّلةً نظاما متميزا ، فلا بد أن ثمة آلية لأداء المعنى (ما ساسميه منذ الآن ، « آلية العَني » ، مشتقا مصدرا من الفعل « عني : يعني » للحاجة الماسة اليه) . ولا بد ، بشكل دقيق ، من أن تستند هذه الآلية الى مجموعة من الأعراف والقوانين ، ومن هنا تحدد وظيفة الدراسة المتأنية العلمية الدقيقة ، بأنها السعي الى تمييز هذه القوانين ، والافصاح عنها وعن آلية العَني التي تؤدي إليها .

وإذا اتخذنا من اشارات المرور مثلا لجلاء ما يقال هنا ، فإن أول ما نلاحظه هو أن هذه الاشارات اعتباطية ، بمعنى أنه ليس ثمة من علاقة طبيعية أو حتمية بين ضرورة التوقف عن المسير وبين اللون الأحمر ، ف رؤية لون أحمر في مقصف الجامعة ، مثلا ، أو في فستان ترتديه طالبة جميلة ، لا تعني ضرورة التوقف ، (وإذا حدث ذلك فسيكون التوقف لأسباب أخرى ، جمالية صرف) . وليس ثمة من علاقة طبيعية بين اللون الأخضر والسماح بالحركة ، وينطبق ذلك على اللون البرتقالي ، لكن الاصطلاح التنظيمي الصرف « بين واضعي أنظمة المرور في

● السيميائية أحدثت العلوم الانسانية .

الآخرون من حيث سلامتها أو عدم سلامتها ، لكنه لا يكون واعيا بصورة عفوية لقواعد الأداء التي تحكم الجمل التي ينتجها أو التي يتلقاها من الآخرين ، وإدراك هذه القواعد والافصح عنها بشكل واع لا يأتيان عادة الا نتيجة للدراسة التدريجية والمتخصصة غالبا ، ولقد استند أحد أبرز علماء اللسانيات المعاصرين (تشولسكي) الى هذه المقولة في تأسيس النظام المعروف بالنحو التوليدي ثم التحويلي الذي أصبح ركنا أساسيا من أركان البحث اللساني المعاصر في العالم .

لعل أهم المرتكزات النظرية للسيميائية أن تكون تلك الخصائص التي سمحت لسوسير بأن يعتبر اللغة « النظام السيميائي الأثمدجي » ، أعني ، أولا ، الطبيعة الاعتبائية للعلامة اللغوية ، فهذه الطبيعة الاعتبائية جلية في حالة اللغة جلاء تاما ، (رغم أننا قد نختلف مع سوسير حول درجة الاعتبائية في العلامة اللغوية ، من جهة ، وحول شمولية المبدأ لكل ألفاظ اللغة ، من جهة أخرى) وهي الخصيصة التي تسمح لنا بتطوير المنهج الكفاء لدراسة الأنظمة السيميائية ، ولو اتخذنا من نظام سيميائي آخر نموذجا للتحليل والتطوير المنهجي ، لبدت الأمور أقل حسا وجلاء ، ففي أنظمة كثيرة تبدو العلامات المكونة للنظام ، لا لأول وهلة فقط ، بل حتى بعد قدر معقول من التأمل ، كأنها غير اعتبائية ، أي كأن ثمة علاقة طبيعية أو حتمية فيها بين تكوين العلامة المادي ودلالاتها ، ويحدث هذا في شروط تاريخية كثيرة ، يطغى فيها على وعي الممارسين للنظام السيميائي اعتقاد أنه طبيعي ، لا اعتبائي عرفي اصطلاحي . ان الطقوس ، مثلا ، تبدو لممارسيها طبيعية أو حتمية ، كما تبدو العلامات المكونة لها طبيعية أيضا ، فالتحليل والتحرير المتعلقان ببعض الاطعمة في بعض الديانات لها أصل الهي ، ولذلك فان دلالتها تبدو حتمية طبيعية ، وممارسة أشكال أداء معينة في الصلاة ، مثلا ، هي في جميع الأديان علامات ذات دلالات طبيعية حتمية ، ومن الصعب جدا ابراز طبيعتها الاعتبائية ، من جهة ، كما أن من الصعب اقناع الممارسين لها بهذه الطبيعة الاعتبائية ، من جهة أخرى ، ويصدق ما يقال هنا على الأخلاق والأداب في أبعادها السيميائية ، ذلك أن كون سلوك ما مهذبا

سيميائيا متميزا على درجة عالية من التعقيد ، وكذلك الأزياء ، والأطعمة ، والأساطير ، بيد أن كلا من هذه الأنظمة على انفراد أقل تعقيدا واثراء وأهمية - على مستوى النشاط الانساني الهادف الى تكوين الحضارة والثقافة والحياة الاجتماعية - من اللغة من حيث هي نظام سيميائي .

نموذج الأنظمة السيميائية

وبما أن اللغة هي النظام السيميائي الأكثر أهمية والأبعد غورا وتعقيدا ، فانها تصلح أنموذجا للأنظمة السيميائية كلها ، أو قاعدة لدراسة جميع أوجه النشاط السيميائي التي يمارسها الانسان - من حيث هو عضو في بنية اجتماعية ، ومن هنا ، فان الخصائص التي يمتلكها النظام السيميائي اللغوي ستكون قادرة على اضاءة الخصائص التي تتوفر في الأنظمة السيميائية الأخرى ، بابرارها من خفاء أحيانا ، وتحديدتها بطريقة دون أخرى أحيانا ، وتأكيد درجة أهميتها أو هامشيتها أحيانا أخرى . وينبغي أن يكون جليا أن هذا الكلام لا يعني ، ولا يراد له أن يعني ، أن الخصائص التي يمتلكها النظام اللغوي هي الخصائص التي تملكها الأنظمة السيميائية الأخرى ، فكل نظام يشق خصائصه من طبيعة العلامات المستخدمة فيه ، ومن نمط العلاقات التي تنشأ بينها ، ومن الوظيفة التي يسعى الى تحقيقها ، والدور الذي يمارسه في الحياة الاجتماعية .

بيد أن ثمة خصيصة أساسية تبدو مشتركة بين جميع الأنظمة السيميائية المجتمعية (تميزها لها عن الأنظمة التي تقرها فئات فنية صغيرة) والتي تتجاوز النمط البسيط المتمثل في نظام اشارات المرور : هي أن آلية العنفي في هذه الأنظمة ، والأعراف والقوانين التي تحكمها تكون ، بشكل طاع ، لا واعية ، أو تفعل على مستوى اللاوعي في الذات الانسانية ، حتى حين تكون بعض مقوماتها بارزة ومدركة بشكل واع . ان قواعد الأداء اللغوي ، التي تتشكل على صعيد البنية العميقة للغة ، مثلا والتي يستدخلها الفرد في نموه من الطفولة الى المراهقة ، هي قواعد لاواعية ، ولذلك فان المتحدث بلغة ما قادر على انتاج جمل لغوية سليمة نحويا ، وقادر على محاكاة الجمل التي ينتجها

بل في القرن الذي نعيش فيه .
يهدرنا أن نقرر هنا حقيقة أخرى مهمة تتعلق بدور
الباحثين العرب في تأسيس علوم اللغة على أسس
نظرية سليمة . هذه الحقيقة هي أن السيميائية ، التي
قلت في الفقرة الأولى من هذه الدراسة ، إنها يمكن أن
تنسب الى سوسير دوغما تردد كبير ، هي في الواقع ،
على مستوى تحديدها وإبراز بعض أشكالها
الأساسية ، علم بلورة الجاحظ لأول مرة في التاريخ
اللغوي مستفيدا ، فيها يحتمل ، من مقولات
أرسطية ، فلقد قال الجاحظ في (البيان والتبيين) في
مقطع له عظيم الأهمية يحدد فيه « البيان » ما يلي :
« . . . والدلالة الظاهرة على المعنى الخفي هو البيان
الذي سمعت الله عز وجل يمدحه ، ويدعوه اليه ويحث
عليه . . »

والبيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع
المعنى ، وهتك الحجاب دون الضمير ، حتى يفضي
السامع الى حقيقته ، ويهجم على محصولة كائنات ما كان
ذلك البيان ، ومن أي جنس كان الدليل ، لأن مدار
الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع ، انما هو
المهم والافهام ، فبأي شيء بلغت الافهام
وأوضحت عن المعنى ، فذلك هو البيان في ذلك
الموضع ، وجميع أصناف الدلالات على المعاني من
لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها
اللفظ ، ثم الإشارة ، ثم العقد ، ثم الخط ، ثم
الحال التي تسمى نصبة . . . والنصبة هي الحال الدالة
التي تقوم مقام تلك الأصناف . . . ولكل واحد من
هذه الخمسة صورة باثنة من صورة صاحبها ، وحلية
مخالفة لحلية أختها

ومن الجلي فورا ، ودون أية امكانية للتشكيك أو
التردد ، أن ما يسميه الجاحظ هنا « البيان » هو هو
العلم الذي سماه سوسير « semiology » والفرق
بينها فرق منظوري تصوري : ففيها ركز الجاحظ على
غاية العلم ، وهي الابانة والتعبير والافصاح ، فقد
ركز سوسير على مكونه الآلي ، وهو العلامة ، لذلك
أسماه الاول « البيان » ، وأسماه الثاني « العلاماتية »
أو ما ترجمته « السيميائية » ، ثم ان الفرق بين الباحثين
والتسميتين هو فرق بين ثقافتين لا بين عالمين فقط :
ثقافة تركز على المعنى ، وثقافة تركز على المكون
الشكلي وآليات التشكيل .

□

أو بلديا ، خيرا أو شرا ، هو في معظم الحالات
والبيئات خصيصة طبيعية في هذا السلوك ، بمعنى أن
ثمة علاقة داخلية تماما ، بالنسبة للجماعة ، بين هذا
السلوك وبين كونه شرا أو بلديا أو مهذبا أو خيرا . وقد
يكون من الصعب جدا اظهار كون السلوك المعين ذا
دلالة على الشر أو البذاءة أو الخير أو التهذيب
لا طبيعيا ، بل بحكم مجموعة قواعد الأداء
والتنظيم ، وآلية الدلالة التي تحكم موقعه في نظام
أخلاقي سيميائي كامل ، أي كونه ، في الحقيقة ،
اصطلاحا خاضعا لأعراف معينة وتقاليد معينة ،
ورغم أن هذا الحكم ليس مطلقا ، بمعنى أن من
السهل تصور أحداث معينة لا تكون دلالتها اعتباطية
تماما ، فان القاعدة تبقى سليمة ، وسلامتها شرط
أساسي من شروط تشكل النظام السيميائي ، وتطوير
المنهج الملائم لدراسة الأنظمة السيميائية جميعا .

الاعجاز والبيان

لقد دار جدال حاد في الثقافة العربية حول مفهوم
الاعجاز القرآني ، ارتبط لزمان طويل بمقولات جاهزة
حول قيمة العلامات اللغوية في ذاتها (بمعنى أن بعض
العلماء اعتبروا الكلمات جميلة أو قبيحة في ذاتها) ،

ولقد استمر هذا الجدال في العصر العباسي ، مركزا
الآن على شعر أبي تمام بشكل خاص ، ولقد شن
الأمدي هجوما عنيفا على أبي تمام ، متها إياه بفساد
السنوق ، لاستخدامه كلمات معينة ، مثل
« الأخدع » و « الشيء » ، ولم يتطور فهم عميق ينقل
كلا من دراسة الاعجاز القرآني وشعر أبي تمام الى
مستوى نقدي جديد ، الا حين جاء باحثون
كالخطابي ، أولا ، ثم عبدالقاهر الجرجاني ، مثلا
فدروا الموجة ، لينكروا أن تكون ثمة قيمة للالفاظ
المفردة في ذاتها ، ويصروا على أن الجمال والاعجاز
والامتنان لأشياء كمنه في شبكة العلاقات التي تنشأ بين
مكونات التعبير القرآني أو التعبير الأدبي عامة ، وأن
الالفاظ المفردة لا قيمة لها في ذاتها ، ولا يمكن أن
يحكم عليها بالجمال أو بالقيح ، ولا ينشأ بينها تفاضل
من حيث هي مفردة ، وأن عمل الجرجاني لم يمتل
القيمة توتيرة كافية في هذا السياق ، ففهمه سيافرة في
البيان والاعجاز القرآني والفرق بين الثقافتين لا بين عالمين فقط :
ثقافة تركز على المعنى ، وثقافة تركز على المكون
الشكلي وآليات التشكيل .



مفندي العربي

قضية

مفاهيم تربويّة خاطئة

بقلم : يوسف ميخائيل أسعد

عواطف ، وفيما ينحو اليه من تصرفات ، أو فيما يصدر عنه من سلوك ، والواقع أن الكثير مما نفتن به لا يجد له رصيذا في وجداننا ، ولا يجد له صدى فيما ننزع إليه ، أو فيما نصدره من قرارات ، وفيما نضطلع به من مهام . ولقد أمارت فرويد وغيره اللثام عن أن حياتنا السلوكية محكومة بعوامل لا شعورية معتملة فينا ، وأن خبرات الطفولة ومراحل العمر التالية التي مررنا بها تظل نشيطة في أغوارنا ، حتى وإن خبت وتلونت كما تتلون الحرباء ، وحتى وإن تمنطقت ووجدت لها ما يبررها ، ويصبغها بصبغات عقلانية تخفى حقيقتها الخبيرة اللاشعورية ، أضف الى هذا ما ذهب اليه كارل يونج من أن خبرات أسلافنا البعيدين جدا والقريين نسبيا ، تنزل إلينا وراثيا فيما أسماه « باللاشعور الجمعي » .

ومعنى هذا في الواقع أن لتنقية خبرات المرء التي حصل عليها منذ طفولته المبكرة من جهة ، والضرب على أوتار صحته النفسية من جهة أخرى ، الأولوية على شحن ذاكرته بالمعلومات التربوية ، وبحقائق علم النفس ، ولسنا نقول هنا بعدم أهمية تلك المعلومات وهذه الحقائق ، بل نؤكد أهمية مستوى الصحة الوجدانية للمرء وإعطائها الأولوية .

أما الخطأ التربوي الثالث فانه يتمثل في جعل الطفل أو المراهق أو الشاب بمثابة شريط تسجيل أو فيلم يلتقط الصور ، ويتميز آخر جعل الطفل

من الأخطاء التي شاعت في مجتمعاتنا العربي ، الاعتقاد بأن من حصل على مؤهل دراسي مرموق في أي مجال معرفي أو تقني ، يكون بالتالي قد حاز المعرفة ، والقدرة على الاضطلاع بالمهام التربوية على خير وجه ، فالطبيب والمهندس والجيولوجي جديرون بأن يكونوا آباء صالحين لتربية أبنائهم ، وعلى نفس النحو فان الطيبة والمهندسة والجيولوجية جديرات بأن يكن أمهات صالحات لتربية أبنائهن . والخطأ البين في هذا المفهوم يكمن فيما يسمى بالتعميم ، فنحن نميل بطبيعة تكويننا النفسي الى التعميم على الكل في ضوء ما يتصف به الجزء ، فما دام الشخص قد تمكن في فنون الطب أو الهندسة أو الجيولوجيا أو أي مجال علمي أو تقني آخر ، فاننا نقرر إذن ونحن مطمئنون الى أنه قد تمكن من كل شيء ، والى أنه بالبديهة يكون والدا حصيفا في شؤون التربية ، والواقع أن الشخصية يمكن أن تنجح وأن تتعمق في قطاع ما من قطاعات الحياة ، بينما تكون متخلفة وسطحية ، بل ضامرة في بعض تلك القطاعات .

أما الخطأ التربوي الثاني فإنه يكمن في الاعتقاد السائد في أن قطاعي العاطفة والارادة من شخصية المرء يخضعان لما يحوزه من معرفة ، وبعبارة أخرى فان ما نفتن به المرء من أفكار ومفاهيم ، لا بد أن يتحكم فيها بمعمله المرء - والدا كان أو معلما - من

حاجات الطفل على رغبته ، وعلى نفس النحو قد تكون رغبة الطفل في أن يظل نائماً بالسريير الدافئ وقد أزعج موعده للمدرسة ، ولكن حاجته التربوية تحتم حمله على ترك سرييره والاستيقاظ بحيث يصل الى مدرسته في الموعد المحدد ، وهكذا نستطيع القول إن عدم التمييز بين الرغبات والحاجات ، أو اعتبار رغبات التلميذ هادياً وحيداً في معاملة الطفل أو المراهق من الأخطاء التربوية الخطيرة .

وأخيراً وليس آخراً هناك خطأ خامس يتمثل في اعتبار مجموعة التلاميذ بالفصل الواحد بمثابة عقلية واحدة ، ثم معاملتهم تعليمياً في ضوء ما نسبه بالمفهوم الأحادي ، والواقع أن تلاميذ الفصل الواحد ليسوا في مستوى واحد في أي مادة من المواد الدراسية المقررة ، كما أن مواهب كل منهم تتباين تبايناً بعيد المدى عن مواهب الآخرين ، ولقد دأب المدرسون بكل أسف على إعداد درس واحد وكمية واحدة من الخبرات للحصة الواحدة لجميع تلاميذ الفصل ، ولقد توصل الحصيرون من المدرسين الى حل لا نوافق عليه في تدريس وتقييم التلاميذ ، يتمثل في مخاطبة واختبار وقياس مستوى متوسط الفصل ، والواقع أن هذه الفلسفة الأحادية لا تستطيع إبراز المواهب وتشجيعها واستثمارها ، بل على العكس فانها تشد المواهب الفذة ، ولا تجل عن العبقريات الموجودة بين صفوف الأطفال والمراهقين ، بل هي تؤدي الى تنشئة أمة وسيطة ، لا تبارى الأمم المتفوقة في مجالات الحياة المتباينة .

والمبدأ الذي تركز عليه الفلسفة التربوية الفارسية يقول « أعط الضعيف ما يستطيع أن يتفاعل معه ، وأعط المتوسط ما يناسبه ، وقدم أمام المتفوق من التلاميذ ما لا يستطيع الانتهاء منه ، بل قدم له ما يتحدى ذكائه وقدرته وسرعته كيفاً وكماً » . □

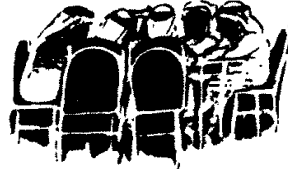
مستقيلاً بينما يكون المربي مُرسلاً ، ولا يخفى على أحد أن الوالدين والمعلمين يكلفون أشد الكلف بالذاكرة ، وقد أهملوا الى حد بعيد الإدراك والتخيل والتصور والتفكير الذي يضطلع بحل المشكلات ، ناهيك عن أن المربين قد أغفلوا تربية الذوق والمشاعر الوجدانية والابداع لدى ناشئتهم ، فالدروس تستذكر لكي تسترجع ، ولكي تُسرد كما وردت الى الذهن بنصها ، وحتى بالترتيب الذي تم استقبالها به . والأحرى بالمربين أن يؤمنوا بمبدأ التفاعل الخبري الذي يجعل العناصر الخبيرة التي يتلقاها المرء أشبه ما تكون بالعناصر الغذائية التي تستقبلها المعدة لتضمها ، لا لكي تحفظها كما وردت اليها ، فالهضم الخبيري يجب أن يكون الهدف التربوي الذي لا محيص عنه بأي حال .

أما الخطأ التربوي الرابع فانه يتمثل في عدم التمييز بين رغبات الطفل أو المراهق وبين حاجاته ، والواقع أن الرغبة قد تتطابق مع الحاجة ، كـرغبة العطشان في شرب الماء ، وحاجة جسمه في نفس الوقت الى استيعابه ، ولكن قد تتضارب الرغبة مع الحاجة ، فالمرضى بالكولسترول قد يرغب في تناول المواد الدسمة ، بينما تكون حاجته الصحية متمثلة في العزوف عن تناول تلك المواد التي تهدد حياته ، وقد تتمثل حاجة المرء في تحمله لبعض الآلام ، كما هو الحال في بعض العمليات الجراحية المؤلمة ، وواضح أن المرء لا يرغب في تحمل الألم .

وبالنسبة للتربية فإننا نجد أن بعض رغبات الطفل أو المراهق تكون متمشية مع حاجاته التربوية ، كما هو الحال بصدد الرغبة في الجري والقفز بالنسبة للطفل العادي ، ولكن قد ينبو الطفل عن اتباع النظام أو عن القواعد الصحية والنظافة ، مع أن حاجته كإنسان متحضر تحتم ذلك ، فطبيعي اذن أن يرجح المربي

يناجيني وأناجيه

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي : ان عالماً فاضلاً زاهداً كان يضيق بمجالسة الناس ، فلا يرى إلا معتزلاً ، ناظراً في كتاب ، أو قارئاً في مصحف ، فقال له قائل : يا هذا ما أصبرك على الوحدة . قال : كلا . . اني أجالس ربي ، فان شئت أن يناجيني قرأت القرآن ، وان شئت أن أناجيه دخلت في الصلاة .



مشروع المعجم العربيّ العصريّ

بقلم : الدكتور علي خليفة الكواري

عصري ، أمر تنوء به « العصبه من الرجال ولو كانوا من أولى العزم . . . » ثم أضاف قائلا « وهكذا تقودنا ضرورة المعجم العربي المعاصر الى بديهية أغفلناها تماما في كل « عملنا العربي المشترك » ألا وهي انشاء مجمع قومي واحد للغة الواحدة ، يكون المرجع الأخير في أمور اللغة ، والمسئول الأول عن اصدار المعجم . . . »

ولنا على هذا الاقتراح ملاحظتان :

أولاهما : أن المعجم العصري المقترح يتطلب وجود مؤسسة أهلية عربية غير هادفة للربح .
وثانيتهما : أن رعاية هذه المؤسسة يجب أن تكون مهمة ذوي العزم من رجالات العرب المعنيين بالأمر ، بعيدا عن معوقات العمل الرسمي العربي المشترك .

١ - فمن جهة نجد أن « العمل العربي المشترك » لم يهمل هذا الأمر من حيث الشكل على الأقل ، فقد أفادني الدكتور عبدالعزيز الجلال - المدير العام المساعد السابق للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - أن الجامعة العربية أنشأت مكتبا لتنسيق التعريب منذ ما يزيد عن عشرين عاما ، وهذا المكتب موجود في الرباط ، ويتبع في الوقت الحاضر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومهمته تعريب المصطلحات ، والتشاور على ما يعرب مع المجامع المختصة ، ومن ثم اعداد قوائم موحدة تعرض على

أصاب المفكر العربي الاستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله عندما دعا الى اعداد قاموس عصري عربي (العربي - العدد ٣٢٩ - أبريل ١٩٨٦ م) للحفاظ على اللغة العربية وتيسير تجدها ومتابعتها للتطور ، وكانت حجته راجحة عندما أكد أن أول ما يجمع بين العرب هو وحدة اللغة .

ان هوية الأمة العربية ترتكز أساسا على وحدة الثقافة أكثر من ارتكازها على وحدة السلالة ، انها أمة انصهرت في بوتقة ثقافتها العربية - الاسلامية ، شعوب وسلالات تكونت بهم أمة انسانية غير مسبوقه في التاريخ ، واللغة العربية هي وسيلة ذلك الانصهار الثقافي وأداته الفعالة .

ان الدكتور اسماعيل على حق فيما أشار اليه من افتقار لغتنا العربية الى قاموس عصري يحفظ لغتنا من تشتت ألفاظها وتباعد مدلولاتها ، ويفتح المجال الى تيسير تجدها ومتابعتها للتطور ، في عصر تسارعت فيه ايقاعات الحياة ، وتزايدت فيه الاكتشافات العلمية والتطبيقات التقنية ، وفي وقت ارتبط فيه أغلب الكتاب العرب بمدارس خارج الوطن يستقون ثقافتهم من لغات غير لغاتنا ، ويجهلون في تعريب ما عرفوا في غياب مرجع لغوي يسترشدون به فيما يترجمون وفيما يكتبون باللغة العربية .

وقد خلص الدكتور اسماعيل الى أن اعدادا معجم

العمل المشترك التي تحتاجها الأمة العربية ، باعتبار هذه المؤسسات أداة تشكيل عقل وضمير عربي حي قادر على بلورة منطلقات العمل العربي وترشيده مساراته وضمان فعالية جهوده ، فضلاً عن توفيرها متطلبات التكامل الضروري بين جهود العمل الرسمي والشعبي .

نخلص مما سبق الى اقتراح تأسيس هيئة أهلية عربية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها تيسير تجميد اللغة العربية ، وتبنيها لمناخ التطور ، تمكينها لها من أداء دورها في توحيد مدلولات لغة العرب وتبنيهم ، مجتمعين الى مواصلة أداء دورهم في الحضارة الانسانية .

وانى أرى أن نقطة البداية في اخراج هذه الفكرة الى حيز الوجود تتطلب في المقام الأول أن يتم تبني أمر رعايتها من قبل عدد من الاعلام العرب ٢٠ - ٤٠ شخصية عربية من ذوى الاهتمام - ممن يعترف لهم بالفضل ، ويتمتعون بالمصداقية لدى الرأى العام ، متطوعين بالوقت ، ومستعدين لمواجهة المصروفات الشخصية اللازمة ، لحضور اجتماعات تحضيرية ، من أجل بلورة الفكرة ، وارساء أسسها ، واخراجها الى حيز الوجود ، في شكل مؤسسى سليم ، بعد أن يتم ارساء أسس الفكرة يصبح أمر تمويلها - حسب اعتقادي - أمراً ممكناً ، طالما توفرت لها مقومات النجاح من حيث سلامة اطارها المؤسسى ، ومصداقية القائمين عليها .

ان اقتراحي هذا جاء استجابة للفكرة التي طرحها الأستاذ الدكتور اسماعيل صبري عبدالله للنقاش على صفحات مجلة « العربي » وهو اقتراح أو من أن مقومات تنفيذه متاحة لنا ، وقد لمست ذلك من خلال طرحي للموضوع مع عدد من القادرين على العطاء العلمي ، وعدد من القادرين على الدعم المالي ، من منطلق إيمانهم بأهمية العمل العربي غير المباشر ، من أجل تحقيق وحدة الأمة العربية ، ويبقى بعد ذلك أن نسمع من الراغبين في رعاية هذه الفكرة واخراجها الى حيز الوجود ، فبفضل عزيمة العصابة من الرجال ، تصبح مسألة اخراج فكرة المعجم العربي العصري الى حيز الوجود أمراً يسيراً بإذن الله . □

مجامع اللغة العربية ، ثم يتم طرحها في مؤتمر قومي للتعريب يعقد دورياً ، حيث يقر ما يمكن اقراره من مصطلحات ، وقد ذكر الدكتور الجلال أن من مهمات المكتب تولى انتاج مراجع لغوية مثل المعجم الذي دعا اليه الدكتور اسماعيل .

وقد أشار الدكتور الجلال في رسالته الى أن مشكلة المكتب هي مشكلة العمل العربي المشترك كله ، أفكار جيدة ، ووسائل مناسبة ، وأهداف راقية ، ولكن تعاني من سوء التنفيذ ، وأن نفذت جيداً تعاني من قلة الاستفادة .

ومن هنا فاني أرى أن إنشاء مجمع قومي واحد للغة العربية من قبل مجامع اللغة العربية لن يحل المشكلة ، وسوف تعوقه محددات العمل العربي الرسمي المشترك عن أداء مهمته ، وأقترح بدلاً عن ذلك أن تؤسس هيئة أهلية غير هادفة للربح ، تكون مهمتها اصدار المعجم في طبعاته الثلاث الكامل والوسيط والموجز ، ولا بأس أن تقوم هذه الهيئة بعد أن تنجح في مهمة اصدار المعجم ، باصدار موسوعات عربية مثل دائرة المعارف العربية وغيرها من الموسوعات الأخرى اللازمة من أجل خلق اتصال حي بين قنوات المعرفة العربية وتعميقها ، وتمكين اللغة العربية من استئناف دورها ، في توثيق وحدة المعرفة العربية ، وتبني العرب الى أداء دورهم شركاء في الحضارة الانسانية .

٢ - ومن ناحية أخرى فان رعاية المؤسسة الأهلية تحتاج الى جهود ذوى العزم من رجالات العرب ، ان إيجاد المعجم العربي العصري مهمة استراتيجية لها تأثير مباشر على وحدة أداة الثقافة العربية ، وما تؤدي اليه من تقارب فكري عربي ، واتصال حي بين قنوات المعرفة العربية ، ومثل هذه المهمة - في اعتقادي - فوق طاقة العمل العربي الرسمي المشترك في الوقت الحاضر ، واذا لم يتصد لها فريق من المهتمين فانا مهمة مؤجلة التنفيذ ، الى أن تعود الروح الى العمل العربي المشترك .

وأرى أنه حتى يتغير مسار العمل العربي الرسمي المشترك وتتوفر له الإرادة السياسية التي تضمن مصداقيته ، فإن العمل العربي الأهلي المشترك هو المؤهل في الوقت الحاضر لتوفير العديد من مؤسسات

الأيام الأخيرة للسلطان عبد الحميد



النقل الى وظيفة في بلد الموت فيه أهون من العيش .
أعود الى ما ذكرته السيدة عائشة في كتابها عن قول والدها أنه يسلم البلاد بمثل ما وجدها عليه ، وأنه لم يفرط بشبر واحد من أراضيها لأحد ، مع أن الثابت تاريخيا أن ما سلخ في عهد حكمه بلغ ما مساحته / ١٦٦٠٠٠ كيلومتر ، يقطنها أربعة ملايين شخص ، عدا جزيرة قبرص التي انتقلت الى السيادة الانجليزية في عهده .

أما عن أفراد الوفد الذي أبلغ والدها السلطان عبد الحميد قرار عزله ، فتذكر أنه كان من بينهم المدعو (ايمانويل قراصو) ، وتقول بأنه يهودي أرمني ، وهذا غير صحيح ، لأنه ليس بين أفراد الأرمن من يدين باليهودية ، فضلا عن أن اسمه يؤكد ذلك .

وبصدد ما ذكرته عن حادث التفجير الذي وقع يوم ٢١ تموز / يوليو ١٩٠٥ وكون الذي قام به هو الأرمني (ادوار جوريه) ، هو أيضا قول بعيد عن الصحة ، لأن المذكور بلجيكي وإن الكاتبة ذكرت بنفسها أن والدها السلطان عبد الحميد قد عفا عنه وأعادته الى بلاده بلجيكا .

تبقى علينا الإشارة الى مذكرته بخصوص حماية عبد الحميد للعرب والعروبة ، وهو ادعاء غريب على العرب أنفسهم ، الذين كانوا - كسائر أبناء السلطنة - يشكون الجور والظلم والاستبداد ، مما دعا الكثيرين الى الهرب نحو أوروبا وخاصة فرنسا ، وكذلك الى مصر ، حيث لاتصل اليهم يد السلطان ، وراحوا من هناك ينددون بحكمه وسياسته ، أمثال عبد الرحمن الكواكبي ، وولي الدين يكن ، ويعقوب صروف ، وسواهم من أحرار العرب . . .

وهكذا نجد أن المؤلفة لم تهدف من وراء كتابها الى كشف الحقائق ، وإنما هدفت الى التستر على أخطاء والدها .

ابراهيم كسبو

قرأت في العدد ٣٢٩ من مجلة العربي مقالا بعنوان (الأيام الأخيرة للسلطان عبد الحميد) للدكتور محمد عيسى صالحية ، وقد رأيت أن أقول كلمة في هذا الموضوع .

ففي ضوء الأحداث التي جرت في عهد السلطان عبد الحميد ، والتي كنت معاصرا لها أقول :

إن الكتاب الذين يؤرخون للحوادث التي يعاصرونها ، يتأثرون بما يحملونه من مبادئ فلسفية أو سياسية وميول دينية أو اجتماعية .

لذلك ، نجد اختلاف مضمون المصنفات التاريخية باختلاف مؤرخيها .

وكتاب السيدة عائشة عن والدها السلطان عبد الحميد ، واحد من هذه المصنفات المتحيزة ، فالواضح أنها متأثرة فيه برابطة البنية ، فجاء متضمنا الاشادة بما كان عليه والدها من تمسك بأهداف الدين ، واستقامة في الأخلاق ، وإخلاص لوطنيته ووطنه ، وأغفلت ما كان عليه من بطش واستبداد .

فأما عن تقواه ، فقد أظهرته بمظهر المسلم الغيور على الاسلام والعرب ، لكونه خليفة المسلمين ، مع أن غالبية المؤرخين الاتراك العثمانيين أجمعوا على أنه كان يفضل البقاء في الحكم ، ولو على أشلاء الوطنيين الأحرار ، وأن كل ما كان يردده عن العدالة وإطلاق الحريات وسيادة الدستور في أنحاء المملكة كان مجرد وعود لم تجد طريقها الى حيز التنفيذ .

وتذكر كتب التاريخ - والوقائع التي عاصرتها - معاملته السيئة لأخيه السلطان مراد الخامس ، بعد خلعه ، واتهامه مدحت باشا الملقب بأبي الدستور بقتل السلطان عبد العزيز ، وخلعه من الصدارة ، ثم نفية بحجة أنه من خلع عبد العزيز يمكنه خلع عبد الحميد .

أما الرعية ، فمن كان ينجو منها من الاغراق في البوسفور ، فانه لا ينجو من الإبعاد الى بنغازي ، أو

البحث العلمي.. من أجل غد أفضل

استطلاع : منير نصيف
تصوير : طالب الحسيني

يفضل العلماء سطلع الدولة . كل دولة الى
حفل المزايا التي تمكن التوصل اليها عن طريق
النسب المعرفة العنسية وتطبيقها . واخذت سرود
من الرفاهية لسعيها . والمكاسب التي حتى من وراء
العلم وتطبيقه . ليست مادية فحسب . بل هي قبل
ذلك مكاسب ثقافية وروحية . فهي الجهر الذي
يفضل بغير صورة المستقبل

كلمات تراثها للبلاد حسن الذي عاش في القرن
النابع عشر . وامداد به العسر الى سطلع القرن
العشرين . ولم يكن حسن عالما . ولكنه كان
فيلسفا . شهد بداية عصر العلم الذي جاء
محررا من العالم القديم . في أمريكا . حيث عاش
ومات وليس العسر اقبال الذي احبته الانسانيات
العنسية في حياة البشر



باحثون في
 وحدة قياس
 المعادن في
 مختبر
 التحليل
 الكيميائي
 في وحدة
 قياس المعادن
 الثقيلة في
 المختبر



 قال هيروهيرو امبراطور اليابان يوصي ابنه « لا مستقبل لليابان يا بني الا في العلم .. ان معركة الحياة الحقيقية ، هي معركة علمية ، ومن أجل الفوز فيها لابد لنا من تجنيد كل طاقات اليابان ! » .

ووعى الابن الدرس ، ولم يكن وحده الذي نفذ وصية أبيه ، وانما شاركه جميع أبناء اليابان ، وتحققت المعجزة اليابانية فوق قاعدة العلم العريضة ، وصعدت بلادهم الى القمة .. ماذا نريد أن نبرهن بهذه المقدمة ؟ وهل خفيت هذه الحقيقة عن أذهاننا ، ونحن نعيش فوق الأرض التي أنبتت فحول العلماء العرب ؟ .

من الذي صنع ماذا ؟

ان المشتغلين بالبحث العلمي مازالوا عاجزين حتى يومنا هذا عن الوصول الى بداية الطريق الذي سار فيه الأولون ، أو الكشف عن منافذ هذا الطريق وفروعه ، ولعل الشيء الوحيد الثابت الذي توصلوا اليه ، هو كما قال وليام هارفي يوما : « من الذي صنع ماذا ؟ » .

وقد دخل كل هؤلاء التاريخ ... وكان هارفي واحداً منهم ، فهو الذي اكتشف الدورة الدموية الكبرى ، بعد أن التقط الخيط الذي أمسك بطرفه الأول ابن النفيس العالم العربي ، قبل مجيء هارفي ، بقرون طويلة ، عندما أعلن اكتشافه للدورة الدموية الصغرى ..

وغير ابن النفيس كثيرون ، جاءوا بعده ومن قبله ، وساروا في الطريق ، وعندما بلغوا نهايته ، كانوا قد تركوا بصماتهم واضحة راسخة ، ما تزال تعيش بيننا حتى اليوم .. الرازي ، وابن الهيثم ، وابن سيناء ، وابن خلدون ، والخوارزمي وغيرهم .. هذه الحقيقة قد توصلنا الى فهم أوسع لما حدث في تلك الحقبة من الزمن ، منذ أن بدأ العلماء العرب يشتغلون بالبحث العلمي وتطبيقه ، فمازال الكثيرون يعتقدون ان هذه البحوث كانت حكراً على الغرب ابان الثورة الصناعية في أوروبا .. وهو اعتقاد

يخافي الواقع ، فقد اهتم العرب بالبحث العلمي ، بينما كانت أوروبا تعيش عصر الظلمات ..

حاملو الشعلة :

لقد سطعت شمس الحضارة العربية قبل الاسلام في عهد الفينيقيين الذين اخترعوا البوصلة ، ثم جاء الاسلام ، وسيطر العرب المسلمون على معارف الشرق والغرب .. وراحوا يحملون شعلة العلوم ، وينهلون من المعرفة ، ويطبقون العلم على العمل ، ولم يجيء هذا كله من فراغ أو عن طريق الصدفة ، وانما جاء حصيلة تعاليم الاسلام ومبادئه ، ولعلنا نجد في سورة الأنعام بعضاً منها : « قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ، ان تتبعون الا الظن وان أنتم الا تخرسون » .

لقد انتشر الاسلام منذ قرونه الأولى في الهند والأندلس ، وتركزت الخلافة ونشاطات البحث العلمي في بغداد وقرطبة ..

واذا كان صحيحاً أن المخطوطات الاغريقية القديمة قد حملت بين ثناياها الذخائر الفكرية لرواد العلم الأوائل في الفلك والرياضة والطب والكيمياء ، الا أن نقل هذه الأفكار الى أوروبا تم في أغلبيه على يد العلماء والمترجمين المسلمين ، فالترجمات اللاتينية للمخطوطات الاغريقية القديمة كانت في الأصل مبنية على ترجمات عربية لتلك المخطوطات ، ومع ذلك كله فلم تقتصر الخدمة التي قدمها العلماء العرب الى البشرية ، على مجرد نقل ذخائر الحضارة العلمية الاغريقية ، وانما على تطويرها والاضافة اليها .. لقد كانوا هم الذين حملوا شعلة العلم في أكثر حقبات التاريخ تعطشا الى المعرفة ..

والكثير من الخلفاء المسلمين ناصر العلم والعلماء ، ولعلنا نجد في « بيت الحكمة » الذي أسسه الخليفة المأمون ، دليلاً على مدى الاهتمام الذي كان يوليه العرب لكل ما يمت الى العلم بصلة ، فقد كان مكتبة جامعةً ومجمعاً علمياً متكاملًا ، واهتم العرب بالتجارب العلمية الى حد أن جعلوا لها مكانة عظيمة في نهج البحث العلمي ، وتطورت المعارف العربية في علم الكيمياء بالطرق التجريبية العلمية ، وهي أهم

● البحث العلمي . . . من أجل غد أفضل

ولقد أنجز المعهد . . فهو لم يعد يتوقف عند بحث معين يبدأ العاملون فيه من حيث ينتهون ، وتدور الساعة وهم بعد في بحوثهم مشغولون ! . ولقد كانت انجازاته خلال تلك المسيرة القصيرة في هذا الاستثمار الطويل الأمد شيئا يستحق كل التشجيع .

ونترك هذا الجانب من الحديث عن انجازات المعهد للرجل القائم عليه الدكتور عدنان شهاب الدين . . يقول مدير معهد البحوث : « لقد أنجزنا على امتداد سنى عمر المعهد ، حوالي ثلاثمائة مشروع بحثي ، أكثر من نصفها بحوث تعاقدية ، قامت بتمويلها ثلاث وخمسون هيئة حكومية ومؤسسة في القطاعين العام والخاص . . بعضها هنا داخل حدود الكويت ، والبعض الآخر خارج الكويت . ومعنى هذا أن أكثر من نصف جهد المعهد كان له مردود مباشر لهيئات ومؤسسات كويتية وأخرى في مختلف أرجاء وطننا العربي . .

وفي هذا المعنى الذي ذهب اليه مدير المعهد ، أكد السيد خالد بوحزمة نائب العضو المنتدب ، ومدير مصفاة الشعيبة بشركة البترول الوطنية الكويتية ، على أهمية البحوث والدراسات العلمية التي قام بها المعهد لحل المشاكل التي تواجه صناعة النفط ، وأشاد بالتعاون القائم بين الشركة ومعهد الكويت للأبحاث العلمية في دراسة هذه المشاكل ، ووضع الحلول المناسبة لها . .

وقال السيد بوحزمة: « إن المعهد قام بتنفيذ دراسة تفصيلية لصالح الشركة حول نوعية العوامل المساعدة المستخدمة في المصافي ، وكذلك نوعية المعادن والملوثات والمواد السمية للعوامل المساعدة ، وقد أسفرت الدراسة عن اقتراحات جيدة تشكل أساسا لقيام مصنع في الكويت لمعالجة هذه العوامل ، والتخلص منها بطريقة تحفظ لهذه الصناعة استمراريته وتطورها ، وأهم من ذلك أنها تحفظ البيئة من التلوث بهذه المخلفات ، وربما كانت مشكلة تأكل المعدات المستخدمة في مصافي البترول من أهم المشاكل التي استطاع المعهد من خلال دراساته وبحوثه أن يقدم لنا الحلول . . ونحن نطبق الآن نتائج هذه الدراسات ، التي استطعنا بفضلها أن نحقق نتائج طيبة في مواجهة هذه المشكلة . »

أدوات العلم الحديث ، وقد نقل روجر بيكون هذه الطريقة الى أوروبا ، بعد أن مارسها العربي الكيميائي جابر بن حيان بخمسائة عام . .

.. ومقدمة ابن خلدون :

ولعلنا نجد في مقدمة ابن خلدون ما يغنيننا عن البحث في مدى اهتمام العرب بالبحث العلمي . . لقد كتب العلامة المفكر الذي عاش في القرن الثامن الهجري في الطب والتطبيب يقول : « تنظر في بدن الانسان من حيث يمرض ويصح ، فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية ، بعد ان تبين المرض الذي يخص كل عضو من أعضاء البدن ، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها ، وما لكل مرض من الأدوية ، مستدلين على ذلك بأمزجية الأدوية وقواها ، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله الدواء أولا في أنسجته والعضلات والنض ، محاذين لذلك قوة الطبيعة ، فهي المدبرة في حالي الصحة والمرض » .

ربما نكون قد أطلنا بعض الشيء في هذه المقدمة التي سقناها لتقودنا الى حيث نريد أن نلتقي بكم . . وأما مكان هذا اللقاء فهو معهد الكويت للبحث العلمي . ولكن لماذا الآن ؟

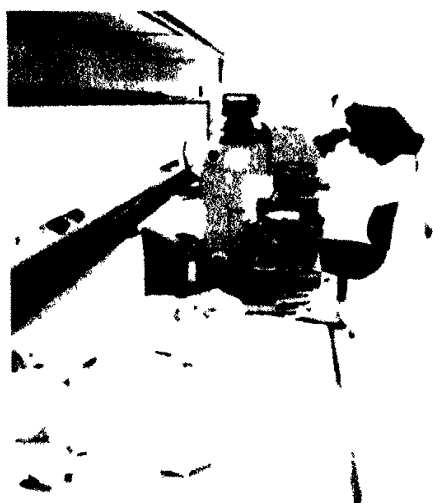
لأن هناك أكثر من مناسبة نكتفي بذكر اثنتين منها ، الأولى للاستعدادات التي يقوم بها المعهد للاحتفال بالذكرى مرور عشرين عاما على مولده ، والثانية ، انتقال المعهد الذي قام ومازال يقوم بدور أساسي في بناء الكويت الحديثة الناهضة الى مبناه الجديد . . والبحوث ، ليست مبنى ، ولكنها انجاز . . .

انجازات المعهد :

ولعل أهم انجازات المعهد هي تنمية روح البحث العلمي بين المواطنين ، من الشبان المتعلمين الذين يحملون عبء تطوير الحياة في بلدهم ، وخلق كوادر جديدة من الباحثين الذين يلجون اليوم باب البحوث العلمية التي تبني الأمم مستقبلها على نتائجها وانجازاتها . .



المرأة تفتش على المنتجات الغذائية في متجر
في مدينة القاهرة، مصر



مبنى معهد الكويت للأبحاث العلمية في محسرة
القدنة (إلى اليسار) وصرحه الحديد (إلى
اليمين) وناحيتان كويتيتان في محسرة العلوم الأرضية
أثناء فحص الخصائص الطبيعية والمعدنية لمعادن من
مصادر الرمل والصلوح



السيد برار ملا حسين
مشكلة العداء أهم مشاكل العالم



د نجلأ النصار
رعاية الشباب وتنمية مواهبهم



د عدنان شهاب الدين
البحث العلمي أساس كل تقدم

السلمكية من اهم موارد العداء في الدولة ، وقد كانت نتائج هذه الدراسات مطمئنة الى حد كسر ، حيث اتت ان نسبة التلوث لا تشكل انة اخطار حقيقيه «

احتياجات المجتمع :

ووراره التخطيط ايضا ، لقد افادت فائدة كثيره من المودح الاقتصادي الذي اعده المعهد ، في وضع الخطه الخمسية الحالية ، حيث تم تحديد مسارات التمتة والخصارات المختلفة للاولويات والاهداف الرئيسية عن طريق هذا المودح ، وهو محال احير استطاع معهد الكويت للالبحاث العلمية أن يست حدارته فيه ، ويؤكد ارتساطه التام والكامل باحتياجات المجتمع الفعليه

يقول الدكتور عدنان شهاب الدين « ان مشاريع البحث التي تتسم بالطابع بعيد المدى ، بدأت تؤتي ثمارها ، وربما تكفي الاشارة هنا الى مثالين من أمثلة كثيرة باررة ، أولهما ، ما حققه المعهد من نتائج ايجابية في مجال استئراع الاسماك المحلية والمستوردة ، والوصول بها الى مرحلة التطبيقات التجارية ، ودوره في تقييم وتطوير تقنية التناصح العكسي لتحلية مياه البحر بتكلفة لا تقارن بما تنفقه

التعاون مستمر :

وبقول الدكتور عبد الرحمن العوصي وزير الصحة العامة ووزير التخطيط بدولة الكويت « ان هناك علاقات ممتدة وكسرة بين الورايتين ومعهد الكويت للالبحاث العلمية ، وان التعاون بين الطرفين يركز في النواحي الخاصة بالمحافظة على البيئة في الكويت بشكل عام ، والسنة الحرية نصفه خاصة

وسير الوزير الى البحوث التي قام بها المعهد في هذه المجالات ، وأذكر منها الدراسات التي أحررت عن الملوثات النفطية في الخليج ، ودراساته عن الاحياء البحرية في منطقة المد والحرر ، ومدى تأثيرها بالمتاربع المقامة على الساحل ، كمشروع الواحه البحرية ، والنتائج الباحة عن حركة العمران نصفه عامة ، لما يصاحبها من عمليات الردم الحاطي ، أو تلويث منطقة المد والحرر ، وأثر هذا كله على الحلقة العدائيه التي تعتبر البيئة المائية جزءا منها

« ان التعاون دائم مع معهد الكويت للالبحاث العلمية ، وربما كان أهم محال هذا التعاون هو دراسات الاحياء المائية وتأثيرها بالملوثات الصناعية ، عن طريق المصانع ، وكذلك التلوث الناتج عن ناقلات النفط ، لما هذه القضية من تأثير مباشر على صحة الافراد في الكويت ، حيث تعتبر التسروة



د . لطيف حمدان .
استقطاب العقول العربية



د . فكري خلف
المحافظة على البيئة



د محمد العطار
أينما وجد الماء قامت الزراعة

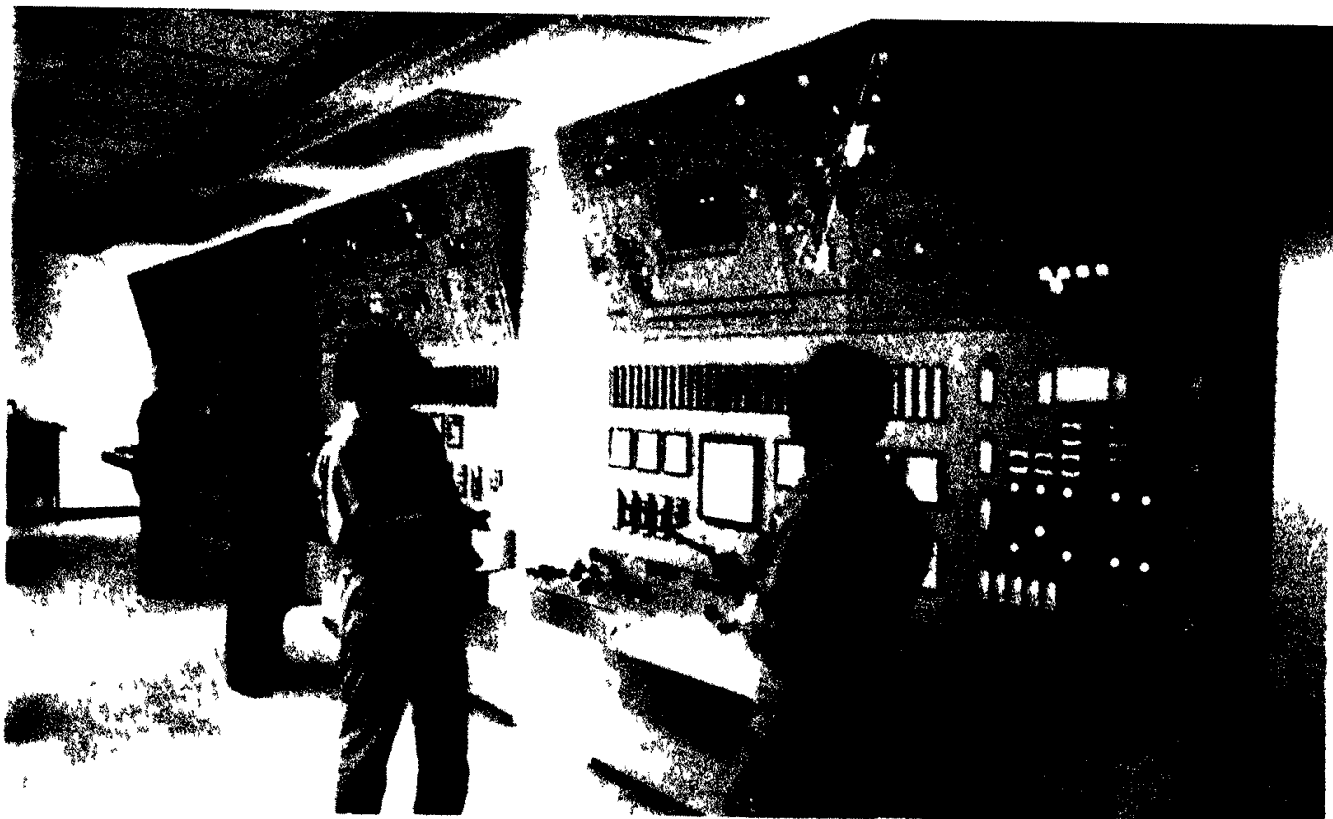
التي ست فيها . . وجاءوا يحملون حسرتهم ، وهم يرون هذا العمل الحاد الذي أرادوا أن يسهموا في استكمال بانه العلمي .

يقول الدكتور عبدالله عيسى الدباغ مدير معهد البحوث بحامعة التروول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية ، حيث نجح معهد البحوث السعودي في تحقيق انجازات ما كان من الممكن التوصل اليها بعيدا عن البحث العلمي ، ولعل أهمها وأكثرها نفعا وجدوى ، هي تحقيق الاكتفاء الذاتي من القمح ، فالرجل يتحدث اذن من واقع تجربة مماثلة فوق أرضه . . انه يقول : « لقد أخذت الكويت الريادة في حسن استثمار فوائض عوائدها النفطية ، الا ان انشاء معهد الكويت للأبحاث العلمية يعتبر بحق أفضل هذه الاستثمارات التي تستهدف تنويع مصادر الاقتصاد الوطني وتنمية الثروة الحقيقية . . والثروة الشرية بصفة خاصة ، على اساس علمي يحقق للكويت مكانا لائقا بين الامم ، والعارفون متفقون على ان لا تنمية حقيقية ولا صناعة منافسة دون مراكز بحوث وتطوير ، ولقد حققت دول الخليج العربي استقلالها السياسي ، وها هي الكويت وهي تحتفل بالعيد الفضي لهذا الاستقلال ، تسعى جادة الى تحقيق استقلال آخر يحررها من فيود التبعية التقنية .

الدولة الان من أجل توفير المياه العدة بطريقه التبخير والتكثيف .

وبدا من حيث بدأنا ، أو كما يقول مدير معهد الكويت للبحث العلمي : « من الثروة الشرية التي تتمثل في تلك الأعداد المتزايدة من الشباب الكويتي الذي يقوم اليوم بأهم وأعظم تجربة ساهمت ومازالت تسهم في تقدم المجتمع ورفاهيته . . » .

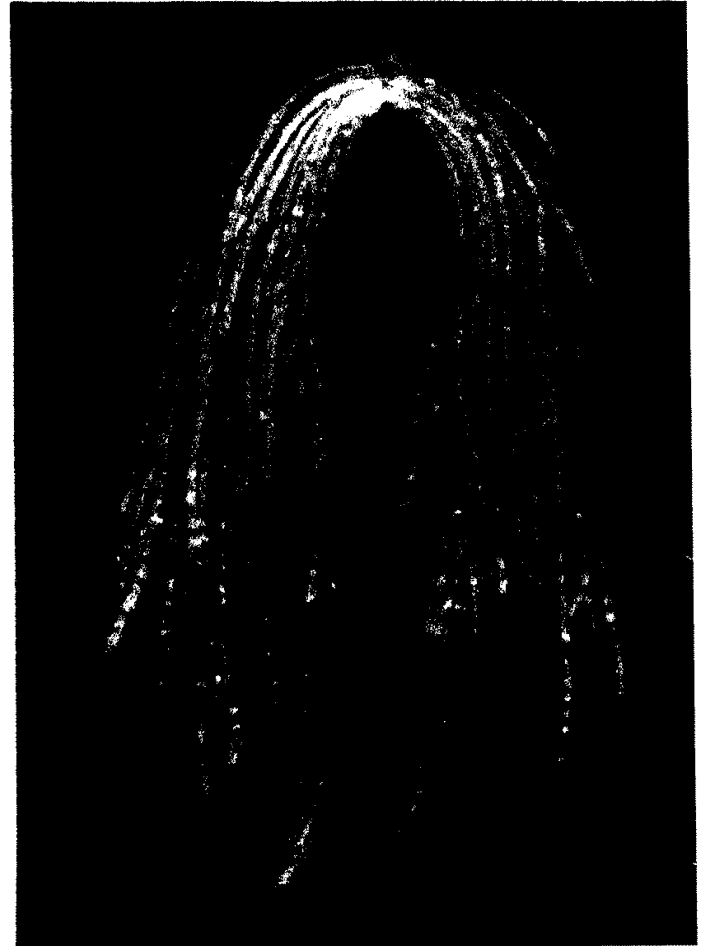
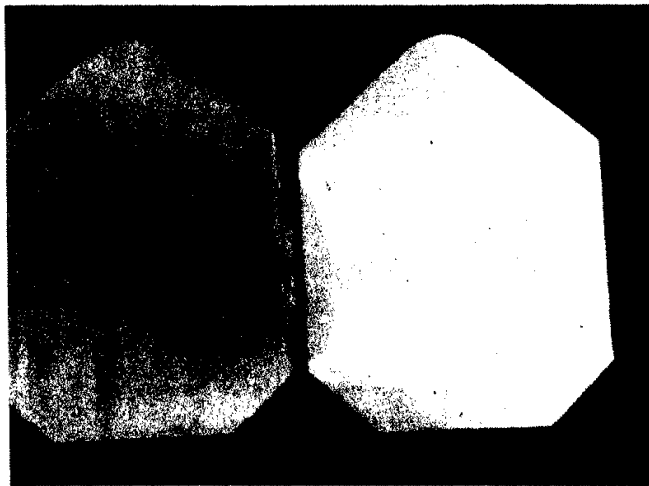
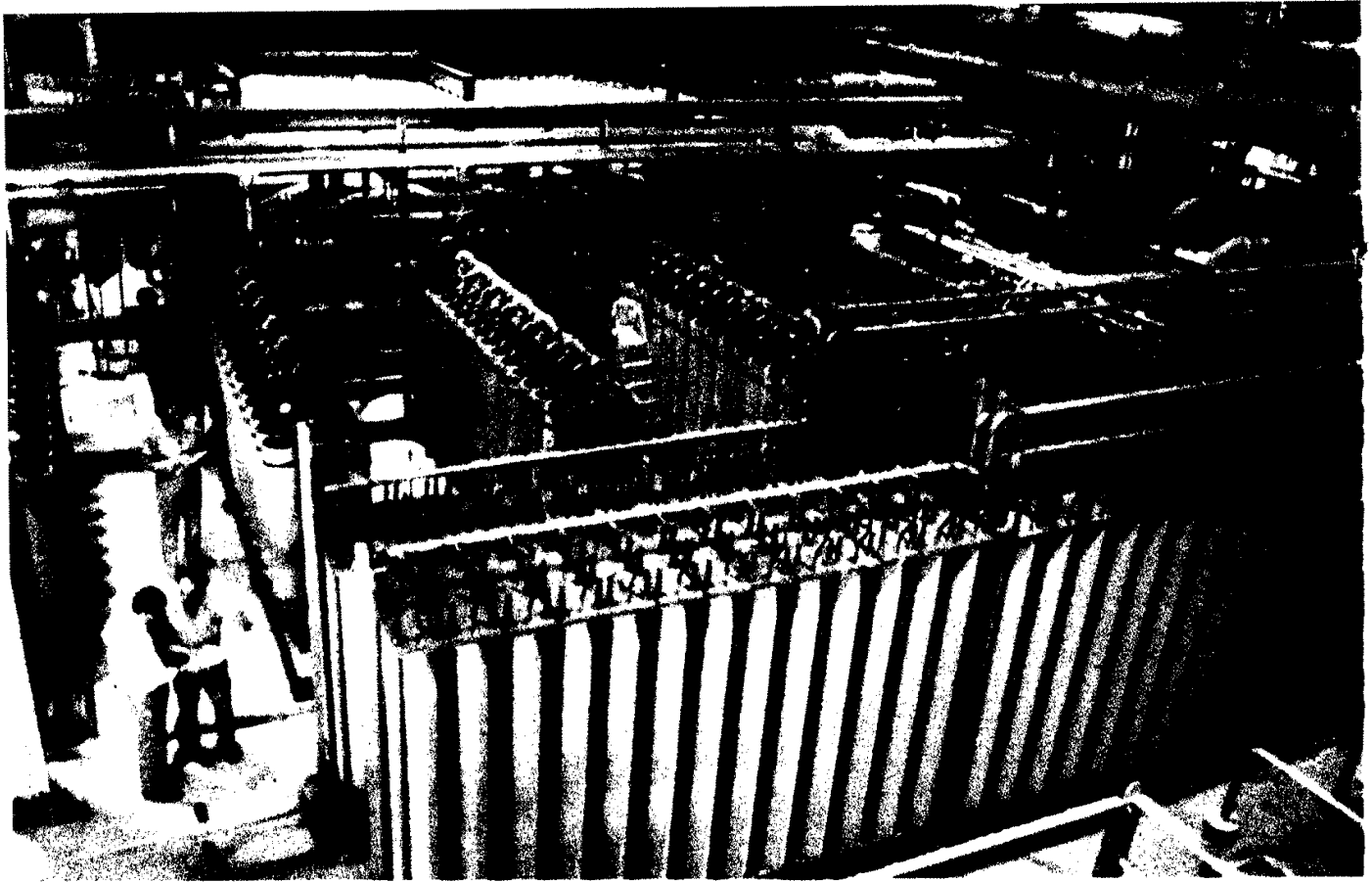
ولم يكن ممكنا أن تقتحم هذه البراعم الشابة وحدها مجال البحث ، ومن هنا كانت أيضا بداية أخرى ، عندما نجح المعهد الوليد في بداية عهده منذ حوالي عشرين عاما في قلب نظرية هجرة الأدمغة ، أو كما أسماها الانجليز « البالوعة التي تمتص العقول » وقد كانت انجلترا احدى الدول التي عانت من هجرة علمائها الى الولايات المتحدة الأمريكية ، لا بحثا عن المادة ، بل بحثا عن البحث نفسه ، فهناك المجال أوسع ، والامكانيات أكثر ، فاذا كان هذا هو حال الانجليز فماذا كان حالنا نحن العرب ؟ لقد امتصت مراكز البحوث في امريكا عددا لا يستهان به من العقول العربية . . ولكن معهد الكويت وهو يضع لبناته الأولى في مجال البحث العلمي ، استطاع أن يستقطب بعض هذه العقول ، ويعيدها الى الأرض



غرفة المراقبة والتحكم في محطة الدوحة للتناصح العكسي



الدكتور محمود عبدالحواد يراقب عملية أداء وحدات التحلية على شاشة الكمبيوتر



صورة عامة لقاعة وحدات تحلية مياه البحر
بالتناضح العكسي (فوق) وصورتان لنوعين من
انواع الأغشية التي تستخدم في الوحدة النمطية لتحلية
المياه ، والأغشية الشعرية الدقيقة المجولة (الى
اليمن) والأغشية المسطحة (الى اليسار) مصنوعة
من اللدائن .

الشروة البشرية

الجامعة ، يبدأ برنامج تطوير هؤلاء الخريجين الذي تشرف عليه ادارة التدريب

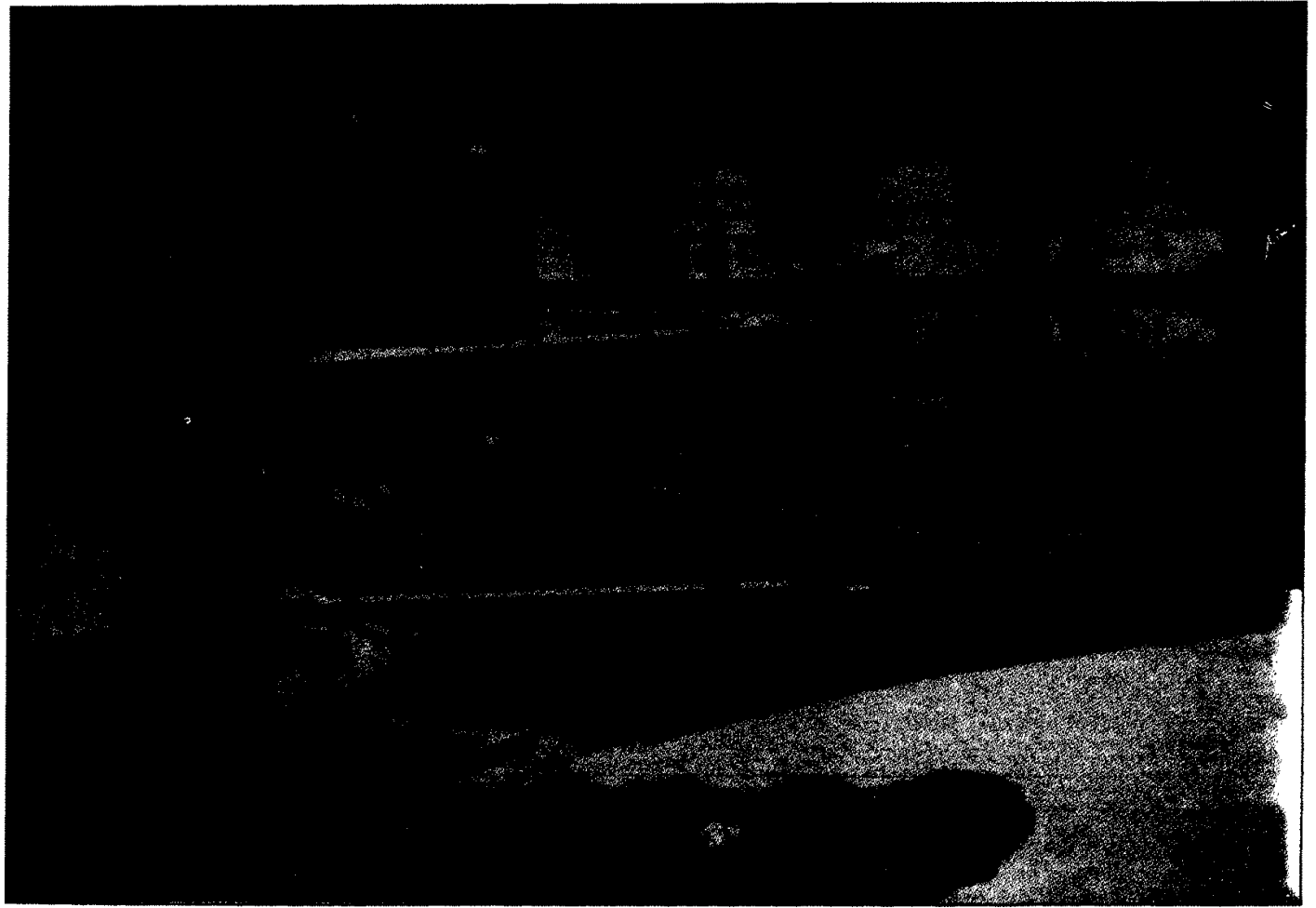
« تم هناك بعد ذلك برنامج التطوير الوظيفي للكوادر الوطنية ، كما ان ادارة التدريب تسهم ايضا في عملية تكوين الوظائف ، وبحسب الان بصدد اعداد مشروع لتكوين الوظائف الفنية والى جانب ذلك يقوم ايضا بتدريب الكوادر الفنية من مختلف المؤسسات في الدولة ، ومن دول مجلس التعاون الخليجي ، وبقية أقطار الأمة العربية

وتصل الدكتوراة بحلأ الى هياه حديثها للعربي فتقول « وبأني الى الهدف الأخير ، وهو يتصل اتصالا مباشرا بدعم العلاقات بين مختلف الادارات التي تعنى سبئنة الشبب ورعايتهم ، واعنى ها وراة التربية ، وحامعه الكويت والهيئة العامة للتعليم التطبيقي ، ومجلس حماية البيئة ، ومؤسسة الكويت للتقدم العلمي ، تم مؤسسة الخطوط الجوية الكويتية الى تسهم في تمويل هذا التدريب ، وبحسب من بين المتدربين من كان عنده استعداد للعمل في مجال الطيران ، سواء في الحوأو على الأرض ، فالطيران هو المستقبل ، أو قل أحد أوجه المستقبل الذي يمحصى في تطوير مستمر ، والذي أصبح العالم يفصله قرية صغيرة »

الواقع أما توقفا طويلا وبحسب تحول في أقسام المعهد المختلفة ، وستقل بين معامل بحوثه وتجاربه فقد كنا في حيرة وبحسب يرى هذا الكم الهائل من البحوث التي تجري في شتى مجالات العلوم والحياة التي تتصل اتصالا مباشرا بالبيئة التي قام بها المعهد ومتطلبات واحتياجات المجتمع الذي يتمي اليه العاملون فيه ، وكان معت حيرتنا ذلك السؤال الذي يتردد في ادهاسنا بالخاح من أين بدأ ؟ وما هي الصورة التي يمكن ان يقدمها من خلال هذا الاستطلاع القصير لهذا العمل الكبير الذي يجري في هدوء بعيدا عن الأصواء ؟

والتدريب تم التدريب ، هو أول الخطوات التي يهتم بها المعهد لأعداد حيل حديد من الباحثين ، وتقول الدكتوراة بحلأ الصار مديرة ادارة التدريب بالمعهد ان الدور الرئيسي والمؤثر الذي يقوم به معهد الكويت للبحث العلمي هو اقامة الدورات التي تسهم بصورة فعالة في مساعدة الطالب او الطالبة من اساء الكويت واشقائهم العرب ، على اختيار الطريق الذي يتفق مع ميولهم ، للسير فيه بعد الالتحاق بالجامعة ، فحسب ها يقوم بتدريب طلبة وطالعات المرحلة المتوسطة والثانوية في محاللات الكومبيوتر ، والهندسة ، والفيزياء ، والالكترونات ، والكيمياء بصروعها ، والعلوم الحسويه ، والبيئة الحسرية ، والمسح الساسلى الح فالطالب في هذه المرحلة من التعليم يكون غير واثق تماما من الصرع الذى اختاره ، لكي يكمل فيه دراسته ، وهذه الدراسات التدريبية في المعهد ، تساعده بصورة فعالة على التعرف على ميوله واتجاهاته واكتشاف نفسه وقدراته

« ثمة هدف آخر يسعى اليه المعهد من خلال هذه الدورات التدريبية ، وهو تطبيق العلم على العمل ، فحسب يعلم أن السطريات التي تدرس للطلبة في المرحلة الثانوية ، أو في الجامعة فيما بعد ، هي في واقع الأمر سطريات اكاديمية بحتة ، قد تتحللها بعض التطبيقات العملية ، ولكنها ليست بالحجم الذي يكفي لدراسة هذه السطريات عمليا ، وها يحسب الطالب هذه الفرصة وعلى أوسع نطاق ، وسرعان ما يكتشف أنها ليست سطريات حافة ، وانما هي تطبيقات عملية لهذه السطريات العلمية ، وهذه المرحلة من التدريب تفيد الطالب وتفيد المعهد في الوقت ذاته ، فهي تتيح للطلبة المتدربين فرصة التعرف على محاللات العمل في المعهد ، كما تنسح للمعهد فرصة اكتشاف الكوادر المتميزة الى مكان الاستعانة بها مستقبلا بعد التخرج ، وعندما يلسح اساء الكويت بالعمل في المعهد بعد تخرجهم في

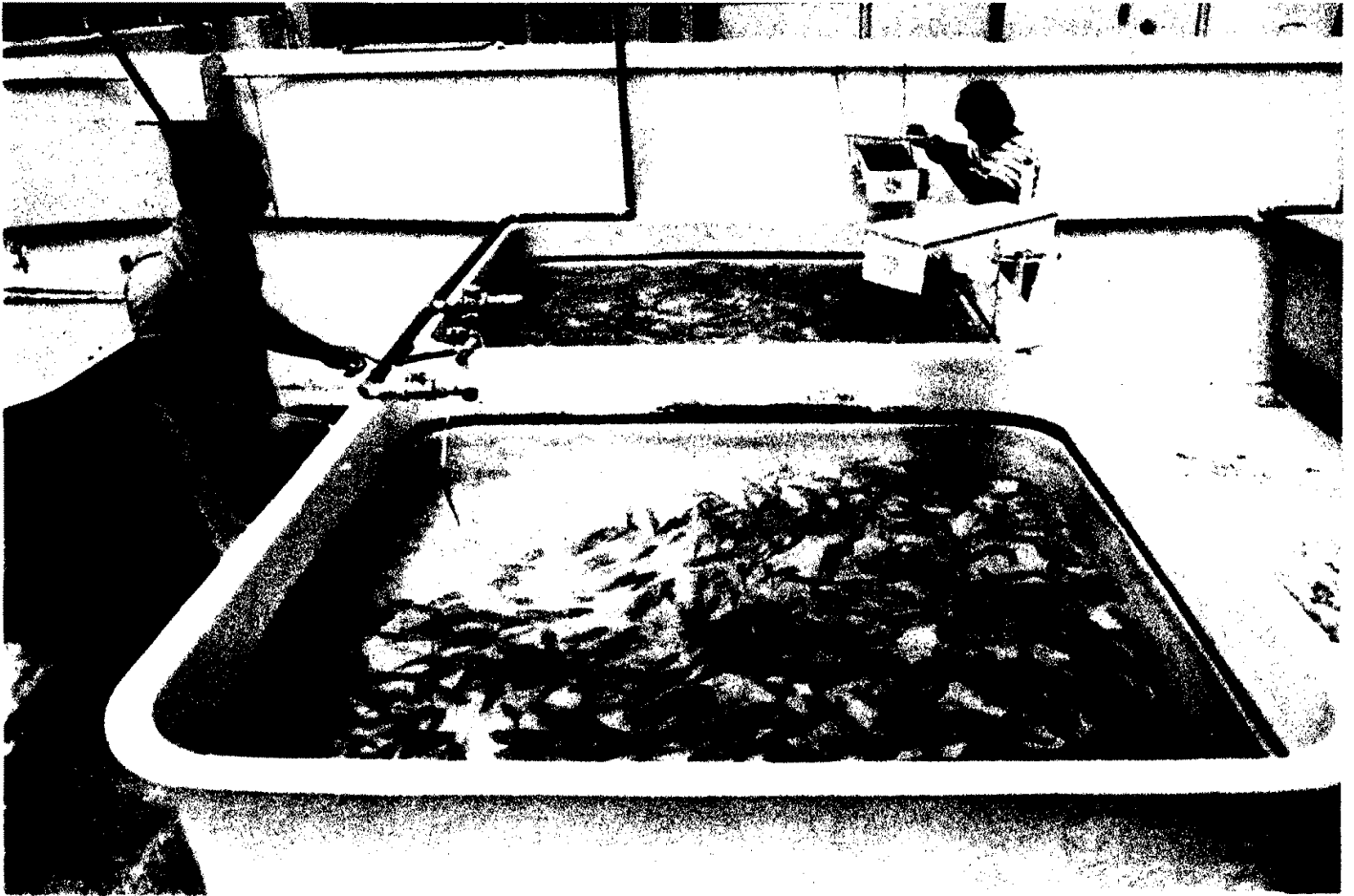


نموذج فيزيائي لمنطقة الشعبية الصناعية البحرية حيث تجري الدراسات في المعهد لابتكار الحلول المناسبة لمنع دورات المياه الساخنة الناتجة عن عمليات التبريد في مصانع الشعبية من التأثير على محطات تحلية مياه البحر . . .

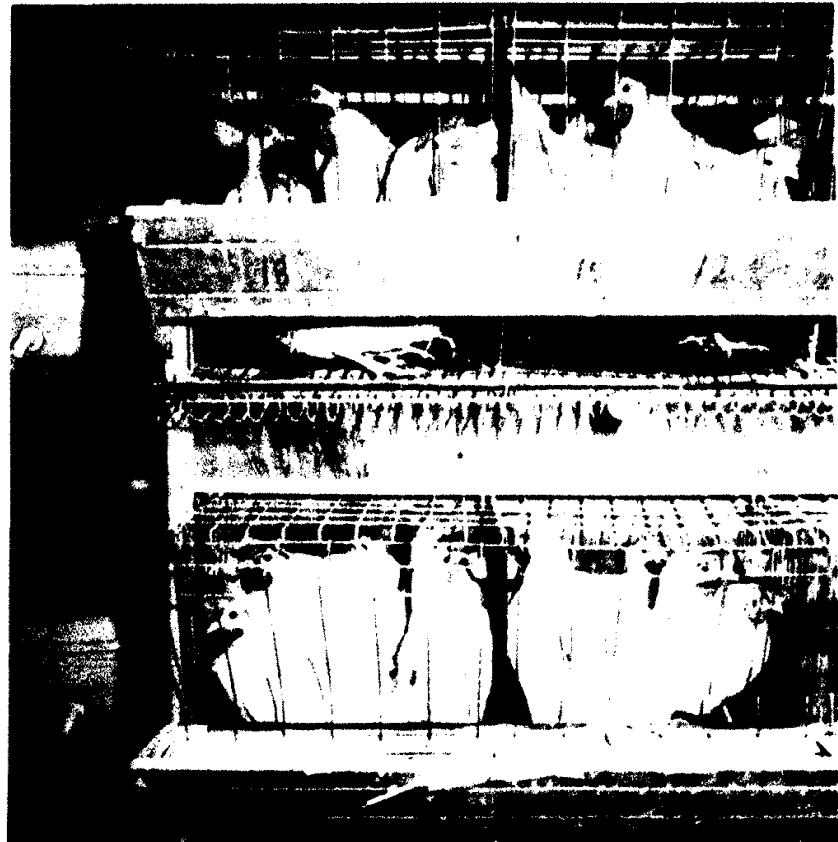
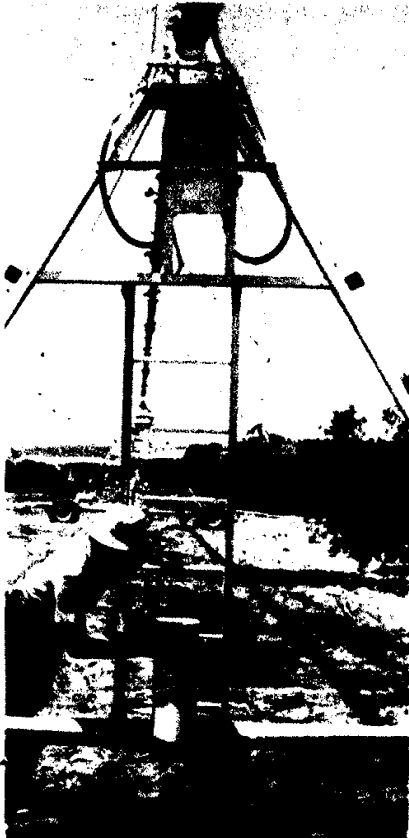
الغذاء صحيحة العصر:

وفي حديث السيد نزار ملا حسين ، نائب المدير العام للعلوم البيئية والحيوية ، وجدنا ما يؤكد لنا صحة النتيجة التي توصلنا اليها ، قال : « مشكلة الغذاء هي في واقع الحال ، أهم مشكلة تواجه العالم كله اليوم ، ودول العالم الثالث بصفة خاصة ، حتى تلك التي تملك ثروات تنيح لها شراء ما تحتاج اليه من مواد غذائية ، ذلك لأنه لا بد أن يأتي يوم تغلق فيه أبواب هذه الأسواق ، لعدم وجود فائض عندها للتصدير ، أو لأسباب أخرى سياسية ، وكلنا يذكر ما قاله احد كبار السياسيين المخضرمين : « ان الدولة التي لا تستطيع أن تحقق الاكتفاء الذاتي من الغذاء ، تصبح غير قادرة على تحقيق استقلالها التام » والغذاء ماء وزرع ، ثم هو لحوم وأسماك . . . وبدأنا رحلتنا مع الماء أولا . . . الماء الذي بدونه لا تكون هناك حياة . . .

ولم تطل حيرتنا ، فقد أخرجنا منها بعض كبار الباحثين في المعهد ، ووجدنا أنفسنا خلال الأسبوعين اللذين أمضيناها بين أقسامه ، نقف حيث يجب أن يكون التوقف ، أمام الغذاء ، وكل ما يتصل به لقد كانت رحلتنا في هذا العرض السريع ، الذي كان ، من وجهة نظرنا على الأقل ، أشبه بمحاولة من أراد أن يجمع ماء البحر في وعاء ! فالعمل الذي يجري امامنا كبير ومتشعب . . أكبر من أن تتسع له هذه الصفحات المحدودة !

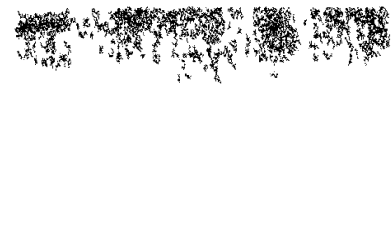
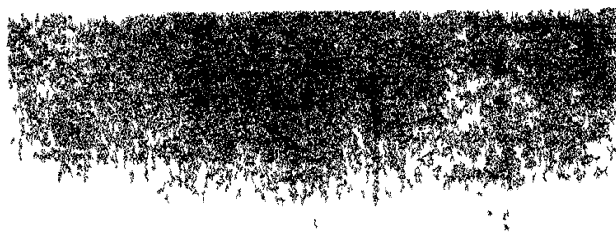


الأسماك ... إحدى موارد الغذاء الرئيسية أولها المعهد اهتماما خاصا ... ونجحت البحوث الخاصة باستزراع
الاسماك وأقلمتها في أحواض طبيعية وصناعية .





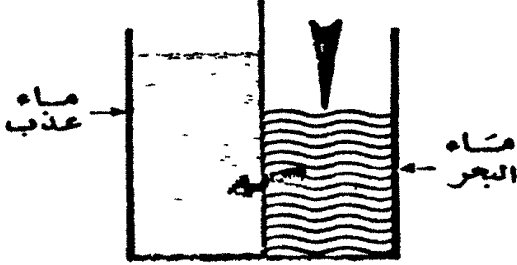
الثروة البشرية وتدريبها وتطوير امكانياتها العلمية والعملية أهم اجازات معهد الكويت
للمجموعة من شباب دول الخليج في المعهد



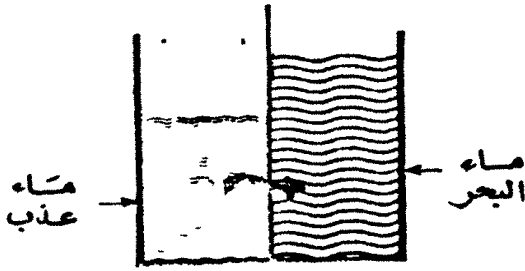
تجارب على تحسين
الانتاج المحلي للدواجن
(الى اليمين) ثم أحدث
طريقة للرعى المحوري
لتحسين كفاءة
الاستهلاك في البيئة
المحلية ثم تجارب على
تجهيز انواع من الماشية
العربية وتحسين انتاجها
وأقلمتها (الى اليسار)



الماء في الصحراء :



غشاء شبه نفاذ
التناضح العكسي



غشاء شبه نفاذ
التناضح الطبيعي

إذا فصل بين ماء البحر والماء العذب بغشاء شبه نفاذ ، وكان الضغط على سطح السائل متساويا على جانبي الغشاء ، فإن جزيئات الماء غير المحملة بالأملاح تنتقل عبر الغشاء الى ماء البحر ، وذلك تبعا لظاهرة التناضح الطبيعية . ويستمر انتقال الجزيئات هذا حتى يتعادل فارق الضغط في عمود الماء (الذي تسبب عنه الانتقال) مع الضغط الأسموزي ، او ان يتساوى التركيز على جانبي الغشاء ، وتسمى هذه العملية بالتناضح الطبيعي ، ويمكن عكسها باستحداث ضغط على سطح الماء المالح ، يزيد عن الضغط الأسموزي ، فينعكس بالتالي اتجاه التناضح عبر الغشاء .

ومنذ أوائل الخمسينيات ، والكويت شأنها في ذلك شأن بلدان الخليج الأخرى ، تعتمد على عملية التقطير لانتاج المياه العذبة لسد احتياجاتها ، حتى أصبح لديها الآن أربع محطات لتقطير مياه البحر او تبخيرها ثم تكثيفها . . . ويصل معدل انتاجها الى مائة مليون جالون امبراطوري يوميا في الوقت الحاضر ، الا أن الطاقة الانتاجية لهذه المحطات تصل الى ضعف هذه الكمية اذا عملت المحطات بأقصى قدراتها أي حوالي (٢٠٠ مليون جالون) ، الى جانب كميات المياه الجوفية التي تصل الى ٤٥ مليون جالون يوميا . وعملية تقطير المياه عملية مكلفة تتحملها الدولة . . . صحيح أن الماء العذب يباع للمستهلك ، ولكن بأسعار رمزية لا تقارن بالتكلفة الحقيقية لتحلية المياه .

ومن هنا بدأ الاهتمام بايجاد بدائل لمحطات تقطير المياه ، وكانت احدث هذه المحاولات هي تلك التي بدأت منذ عام واحد ، على اثر البحوث التي أحررت ومازالت مستمرة للوصول الى الطريقة المثل التي تحقق انتاج الماء العذب والارتقاء بنوعيته ، والتقليل من تكلفته .

وفي منطقة الدوحة خارج مدينة الكويت ، كان لنا لقاء بالدكتور محمود عبد الجواد ، القائم على المحطة الجديدة التي تجرى فيها التجارب الآن لانتاج المياه العذبة بطريقة « التناضح العكسي » وهو نظام تطور تطورا كبيرا خلال العقد الماضي ، فقد تزايد استخدامه حتى أصبحت تلك التقنية تدخل ضمن الأساليب المعتمدة لتحلية المياه الصليبية ومياه الصرف الصناعية ، الا أن تطبيق هذه التقنية ذاتها في تحلية مياه البحر الشديدة الملوحة لا يزال بخطوطه الأولى ، ويحتاج الأمر الى مزيد من أعمال البحث والتطوير للارتقاء بأداء وحدات تحلية مياه البحر بالتناضح العكسي ، وزيادة امكانية الاعتماد عليها .

يقول الدكتور عبد الجواد : « ان هذا البرنامج

● البحث العلمي ... من أجل غد أفضل .

للزراعة ، هذا اذا توفرت المياه التي هي أساس كل شيء حي » .

بهذه المقدمة استهل الدكتور محمد العطار مدير ادارة موارد الغذاء حديثه معنا ، ونحن نسأل عن الانجازات التي حققها معهد الكويت للبحث العلمي في مجال تنمية موارد الغذاء في الكويت .

ومضي الدكتور العطار : « ان مساحة الأرض المزروعة فعلاً بالكويت ، مازالت صغيرة ، لأن الأرض التي خصصت للزراعة ليست مستغلة الاستغلال الكامل ، ثم هناك عامل آخر ، وهو أن طريقة الري في هذه المناطق المروعة ليست هي الطريقة المثلى في منطقة كالكويت ، حيث ترتفع درجة الحرارة في موسم الصيف ارتفاعاً كبيراً ، فنحن للأسف ، مازلنا نلجأ الى طريقة الري عبر القنوات المفتوحة ، وهذه الطريقة لا تناسب جو الكويت ، ولا الأرض التي تجري فيها المياه في القنوات ، لأن نسبة البخر تكون عالية في الصيف ، ولأن طبيعة الأرض الرملية تساعد على تسرب المياه بسرعة ، وتكون النتيجة أن ما يصل من المياه الى حيث نريد ان نستفيد به في ري المحاصيل يكون ضئيلاً . .

« هذا لا يمنع أن نسجل لبعض الاخوة الكويتيين التجاهل الى وسائل الري الحديثة توفيراً للماء ، ومن بين هؤلاء المهندس حسين قبازرد أو « أبو الفراولة » الذي يقوم بزراعة مساحة تزيد على المليون متر مربع في منطقة الوفرة من هذه الفاكهة وغيرها من الفواكه والخضروات ، فالمياه في حقوله وبساتينه تجري داخل أنابيب مغلقة ، حتى تصل الى حيث يريد لها الوصول » . .

والحديث عن الزراعة يجرنا الى حديث أشمل وأعم ، وهو تحقيق الاكتفاء الذاتي في المحاصيل الأساسية على الأقل ، وهنا لا بد أن نتعرض لبعض العوامل المهمة التي يجب توفرها لتحقيق هذا الهدف الذي تسعى اليه كل الأمم .

ويقول مدير ادارة موارد الغذاء : « نحن نعلم ان الكويت بمساحتها الصغيرة وقلة مواردها البشرية ، وافتقارها الى التقنيات الحديثة في الزراعة ، وفي الأيدي العاملة المدربة على استخدام هذه التقنيات ، لا تستطيع أن تحقق اكتفاء ذاتياً في هذه المرحلة من انطلاقتها ...

الجديد للبحث والتطوير الذي تدعمه حكومة دولة الكويت ، ممثلة في وزارة الكهرباء والماء ومعهد الكويت للأبحاث العلمية ، يجري تنفيذه بالاشتراك مع جمهورية ألمانيا الاتحادية ، ممثلة في وزارة البحث العلمي والتقنية ، ولقد بلغ انتاج الماء العذب بعد عام واحد من بداية البحوث ثلاثة آلاف متر مكعب يومياً أو ما يعادل مليون متر مكعب سنوياً .

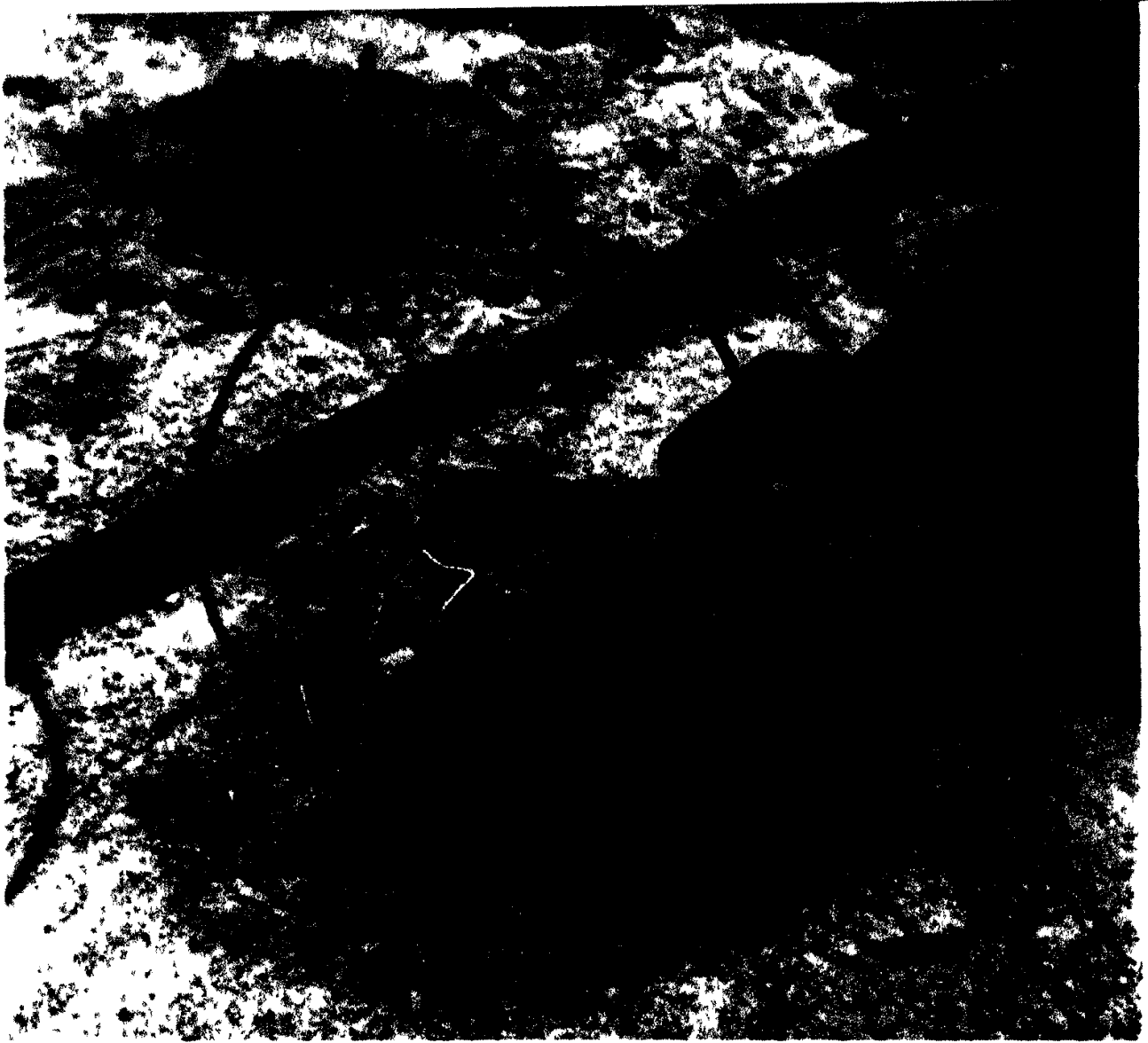
والهدف في هذه المرحلة ليس انتاج المياه ، بقدر ما هو جمع وتقييم وتحليل واستخلاص أفضل النتائج التي يمكن الحصول عليها ، لاستخدامها مستقبلاً في بناء وحدات أكبر ، تعتمد على طريقة التناضح العكسي في تحلية مياه البحر ، وحل مشكلة توفير المياه العذبة بتكلفة أقل في المناطق الصحراوية الجافة المطلة على البحار .

ثمّة حقيقة مزعجة ينقلها الدكتور لطيف حمدان مدير دائرة العلوم الأرضية ، انه يقول : « هل تعلمون كم يبلغ متوسط استهلاك الفرد اليومي من الماء العذب في الكويت ، انها اكبر كمية يستهلكها الفرد في اي بقعة من العالم ، فهي تصل الى ستين جالوناً يومياً » . . بينما لا يزيد متوسط استهلاك الفرد في اوربوا او امريكا عن عشرين جالوناً ، رغم ان الماء عندهم لا يمثل مشكلة ، فالانهار العذبة تجري في اراضيهم !! » .

ومن أجل هذا يستعد المعهد من الآن لاقامة ندوة عالمية في شهر ابريل من العام المقبل ١٩٨٧ ، لبحث وسائل زيادة مصادر المياه الحلوة ، والتقليل من الاستهلاك في المناطق الصحراوية ، حيث تشتد الحاجة الى المياه ، مع التركيز على منطقة شبه الجزيرة العربية ، وسيسشارك في الندوة الادارات التنظيمية والمؤسسات المهمة بالمياه وتوفرها في الخليج العربي .

الزراعة وموارد الغذاء:

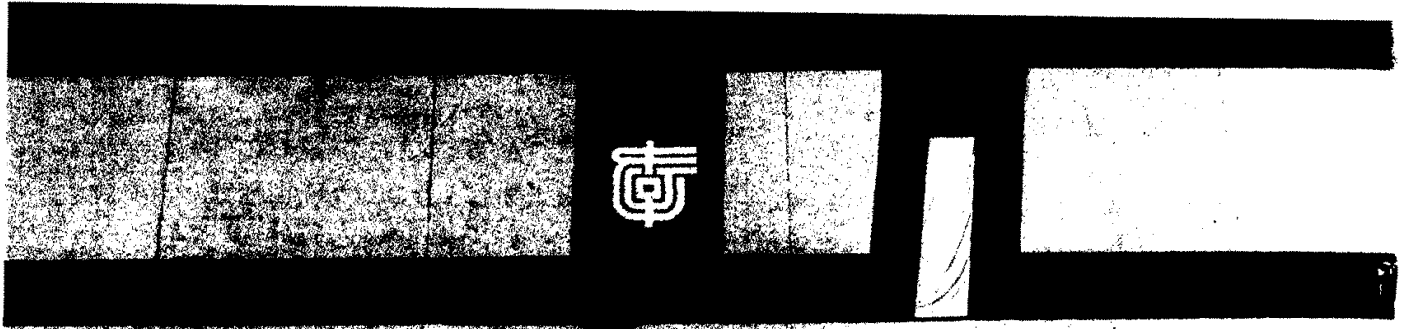
« في القرن العشرين ، ومع توفّر التقنيات الحديثة ، لا نستطيع القول بأن هناك ارضاً صالحة للزراعة واخرى غير صالحة ، وبناء عليه يمكن القول وبكل ثقة بأن كل أراضي الكويت او معظمها صالح



الري بالتنقيط لترشيد استهلاك مياه الري المعبدة في احدى المزارع الخاصة



ونححت التجارب
التي احرمت على زراعة
الخصراوات بأنواعها في
الكويت ، وقامت
شركات خاصة لزراعة
هذه الخصراوات
مستعينة في مسيرها
بنتائج البحوث التي
توصل اليها المعهد
طماطم وقليل وحيار
وبادنجان



المبنى الجديد لمعهد الكويت للابحاث العلمية يوم افتتاحه وعلم الكويت يرفرف بجوار علم المعهد . وفي المدخل
زهور ترسم خريطة الكويت بالوان علمها ..



السيارات لهذه المناطق الرعوية ، أو أية عوامل أخرى تسهم في تعرية التربة . .

وكان لابد أن نرى هذا الذي يحدث على الطبيعة فقصدا الى منطقة الصليبية لنسجل ما يجري فيها بالصورة بعد أن جمعنا كل ما يتصل بها من الرجل الذي يشرف على متابعة كل تفاصيلها ودقاتها حتى يضمن لها الاستمرار والتطور . .

الثروة الحيوانية:

وفي الصليبية وداخل المنطقة المحمية بهذا السياج التي تزيد مساحتها على عشرين كيلو مترا مربعا ، حيث يجري المعهد تجاربه وبحوثه على الأرض والزرع ، كان لنا لقاء بأحد الشبان الكويتيين الذين تخصصوا في تربية الماشية . . انه المهندس الزراعي محمد البحوه . . ولم يكن وحده ، لقد كان يقف وسط مجموعة من الباحثين الذين تخصصوا في تنمية الثروة الحيوانية . . انهم يقومون باجراء التجارب على الأغنام العربية لتحسين انتاجها من اللحوم ، وقد تم انتاجها جميعا وتربيتها فوق ارض الكويت ، وتمكنت من العيش في جوها الحار خلال موسم الصيف ، وقد كانت هذه هي المشكلة الأولى التي تمكن الباحثون في المعهد من حلها ، بفضل البحوث المثمرة على الطبيعة ، وهكذا لم يعد الجو الحار مشكلة تقف في طريقة تنمية الثروة الحيوانية .

ويقول المهندسون الباحثون أن هناك ثلاثة أنواع من الخراف تجرى عليها التجارب وكلها عربية ، وهي النعيمي والنجدي والعربي ، لمعرفة أفضل هذه الأنواع للعيش والتأقلم في جو الكويت الحار . . وقد أسفرت تجاربهم عن نتائج مشجعة .

وفي الصليبية أيضا تجرى تجارب أخرى على الدواجن ، للوصول الى أنواع الغذاء التي تعطي نتائج أفضل . . ولقد كان للبحوث التي قام بها

ولذلك فان أية محاولة تقوم بها الكويت منفردة لن تحقق هذا الهدف ، فلا بد إذن من قيام تعاون بين الاخوة من أبناء مجلس التعاون الخليجي الذين يستطيعون بفضل مساندة الاخوة العرب من الاقطار العربية الشقيقة ، والزراعية منها بصفة خاصة ، أن يضعوا أقدامهم على الطريق نحو إيجاد نوع من التكامل يقودهم الى تحقيق هذا الاكتفاء في بعض المحاصيل الرئيسية .

وقد ثبت من خلال الدراسات المرجعية التي أجراها المعهد أن مخلفات خزانات النفط يمكن استغلالها في استصلاح الأراضي الصحراوية واعدادها للزراعة . . فإذا ما استطعنا أن نسط هذه المخلفات فوق رمال الصحراء ، وتركناها لفترة طويلة تتراوح بين ثمانية أشهر وسنة كاملة ، فسوف يؤدي هذا الى نوع من التفاعل بين البكتيريا الموجودة في التربة ، وبين مخلفات النفط ، وتكون النتيجة حصولنا في النهاية على تربة أكثر نفعا وصلاحيه للزراعة .

ثم لا ننسى بعد هذا أن الكويت كانت دوما غنية بمواردها الطبيعية التي تتمثل في النباتات البرية التي تنمو وتزدهر في موسم الأمطار في الشتاء ، وقد أثبتت التجارب والبحوث التي أجريت عليها أنها غنية بالبروتينات التي تصلح علفا لتربية الأغنام والمواشي وتسمينها ، ولكن الذي حدث بعد اكتشاف النفط في الكويت ، أن أهملت هذه المراعي الطبيعية اهمالا يبعث على الأسف ، وكانت النتيجة أن تضاعفت مساحة الأراضي الصحراوية ، وأعني بها الأرض التي لم تعد تصلح لنمو هذه النباتات التي انقرضت أو كادت .

ومن هنا بدأ المعهد يهتم باحياء هذه النباتات ورعايتها حتى تنمو وتزدهر ، وحتى تتضاعف رقعة الأرض التي تغطيها ، فترك الأغنام ترعى فيها لفترة محدودة ، حتى لا تأتي على جذورها ، وما يتساقط من بذور ثمارها ، ثم نقل هذه الحيوانات الى مناطق أخرى مزروعة بأنواع من الأعلاف مثل البرسيم والشعير . . . وفي الحالات تتم عملية الرعي داخل نطاق سياج حتى نحميها من الرعي الجائر ، او اقتحام

● البحث العلمي . . . من أجل غد أفضل .

ثم انتقلت التجربة بعد ذلك الى الأسماك ، وبدأت تجارب استزراعها بشتى أنواعها وبحشد سبل تطويرها وتنميتها في اقفاص مائية وأحواض . . ومنذ ثلاث سنوات بدأت تجربة جديدة بتمويل من شركة الأسماك الكويتية المتحدة لزراعة السمك السبيطي ، وقد اوشك المشروع على الانتهاء ، وسوف تساعد النتائج التي توصل اليها الباحثون في المعهد على استزراع هذا النوع من الأسماك التي يعيشها سكان الجزيرة العربية بكميات تجارية ، وسيصل الانتاج الى ما يقرب من خمسمائة طن سنويا من هذا النوع . .

وينطبق هذا أيضا على السمك البلطي ، وهو سمك يعيش في مياه الأنهار الحلوة ، وقد استورد من مصر ، وأمكنه زرع في مياه البحر المالحة ، وسوف يصل انتاجه الى ما يقرب من مائتي طن سنويا . . والحديث عن بحوث المعهد لا يمكن إيجازه في هذه الصفحات المعدودة . . ولكننا نكتفي بهذا القدر ، ونترك لغيرنا أن يقول كلمته بعد هذه الرحلة السريعة مع جانب من نشاطات المعهد . .

قالوا :

* ما بين جزيرة فيلكا ، وحقول النفط في الأحدي ، ومختبرات معهد الكويت للأبحاث العلمية ، رأيت كويت الأمل واليوم والمستقبل .

بول لوساكا

رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة
* الخبرة التي اكتسبها معهد الكويت للبحث العلمي ، هي خبرة يمكن توفيرها على نحو مجد للدول الأخرى .

« أحمد مختار أمبو »

منظمة اليونسكو

* ان ما رأيته خلال زيارتي لهذا المركز العلمي يجعلني أثق تماما بأننا لا شك قادرون على اللحاق بركب العلم ، ومواكبة الحضارة بعقول عربية تيرة ، واردة لا تعرف التراجع .

الدكتور عبد الجبار الضحاك
وزير النفط والثروة المعدنية

□ سوريا

المعهد ، ومازال أن تأسست أكثر من شركة لانتاج الدجاج البياض والدجاج اللحم ، واستطاعت هذه الشركات أن تصل بانتاجها من البيض والدجاج الى مرحلة تقترب من تحقيق الاكتفاء الذاتي ، اذا وجدت الحماية الكافية من الدولة للحد من الاستيراد ، وما يقال عن الدواجن يمكن أن يقال أيضا عن تربية الأبقار الحلوب . . فقد انتشرت مزارع تربية الأبقار ، ووصل انتاج الكويت من الألبان الى مائة وعشرين طنا يوميا ، أو ما يقرب من ثلاثين مليون لتر من الحليب سنويا . .

الثروة السمكية:

البحث عن وسائل تنمية الموارد الغذائية هو الشغل الشاغل لمعهد الكويت للأبحاث العلمية ، فهو يجه في قمة برامج منذ انشائه في عام ١٩٦٧ ، ويؤكد

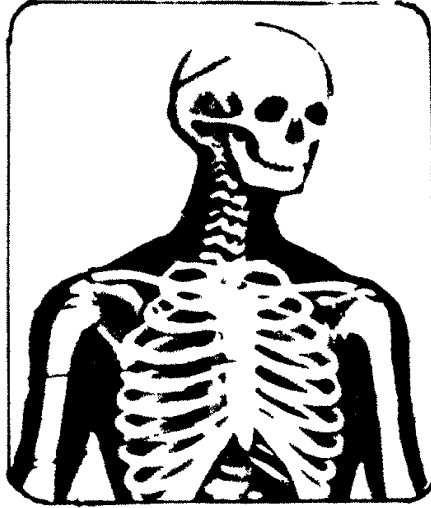
السيد نزار ملا حسين نائب المدير العام ، أن دور المعهد كان ملموسا وبارزا في النجاح الذي حققته شركات تربية الدواجن وتسمين العجول ، وشركات

صناعة الألبان ، وأخيرا شركة صيد الأسماك ، كما أسلفنا ، وذلك من خلال البحوث التي قام بها في أفضل وأنسب الوسائل لتنمية وتطوير هذه الصناعات

والنهوض بها . . صحيح أن بعض هذه الشركات بدأت عملها بعيدا عن أية بحوث ، ولكنها وخلال مسيرتها لتطوير وتنمية انتاجها ، لجأت الى المعهد لدعم هذه المسيرة وتوجيهها على اسس علمية . .

ثم ينتقل السيد نزار الى الحديث عن زراعة الأسماك وتنميتها وتطويرها فيقول : « لقد كانت البداية مع الروبيان منذ أكثر من خمسة عشر عاما ، ونجحت البحوث التي أجراها المعهد في تنمية هذه الثروة الغذائية المائية ، وأصبحت الكويت احدى الدول المصدرة للروبيان .

عظامنا وسنوات العمر



بقلم الدكتورة : فاطمة الغرباوي

الهيكل العظمي هو ركيزة الجسم الذي يحمي أعضائه ، ويحفظ شكله ، وهو جهاز عظيم في خلقه وتكوينه . . فما هي قصته مع سنوات العمر ؟

الجسم وتدعيمه - فان له وظائف أخرى مهمة .
تتأثر عظام الجسم بالخواص الوراثية لحاملها ، وبالظروف الداخلية للجسم نفسه ، وبالظروف الخارجية أيضا ، ولذلك فهي لا تتأثر فقط بالآثار المباشرة للأمراض ، ولكنها تتأثر أيضا بالعوامل الفسيولوجية والمرضية لأعضاء الجسم الأخرى .

العظام وعمر الانسان

فاذا فحصنا عظمة واحدة لشخص ما ، فمن الممكن أن نأخذ فكرة عن صاحبها من حيث العمر ، والجنس ، وطول الجسم ، وشكل البنية ، ودرجة تمتعه بالصحة ، وما هو طعامه ، وما هي عناصره ، وكذلك مكوناته الوراثية ، وهل تعمل غدده الصماء بتناسق واتزان أم لا ، ويمكن التنبؤ أيضا بما إذا كان لديه أية خواص شخصية .

كلمة الهيكل العظمي تعني لغويا كل جزء عظمي في الحيوان ، ولها دالتان : الأولى وهي العظام الداخلية ، والثانية وهي العظام الخارجية ، وهذه في الانسان تعني الشعر والأظافر والأسنان . .

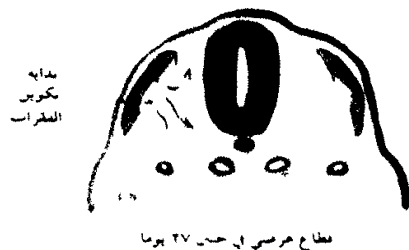
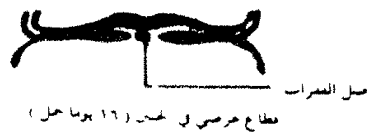
وكلمة Skeleton تنحدر من الكلمة الاغريقية Skeletos ، بمعنى الشيء الجاف الميت من العظام بعد تحضيرها للدرس بطريقة عشوائية وغير متقنة .

أما الحقيقة ، فهي ان عظام الكائن الحي عبارة عن نسيج بلاستيكي الشكل ذي تركيبين ، أحدهما عضوي ، والآخر غير عضوي ، وهذا النسيج قادر على التغير الجذري مع التقدم في السن ، وله هذه الخاصية في الشكل والحجم ، وله القدرة أيضا على التكيف شكلا مع الجنس ، وعلاوة على كل ذلك - وعلى وظيفته الأساسية التي هي المحافظة على قوام

ولا يجب أن ننظر الى الهيكل العظمي على أنه مجموعة من عظام ذات أشكال مختلفة فحسب ، ولكن لأن أعضائه متصلة بعضها ببعض بواسطة المفاصل ، وبطريقة لا تجعله فقط يعمل كجهاز يحمي الأنسجة الرخوة والعضلات ، وإنما يعتبر أيضا مجموعة من الروافع لتلك العضلات والأنسجة الأخرى والجسم ككل .

والعظام في الجسم الحي - هي أيضا عضوي - وهي مزيج ليفي مختلط بمزيج من العناصر المعدنية ، يقاوم الضغط والشد مع الاحتفاظ ببعض المرونة الكافية ، فإذا سحبنا المعادن من عظمة ما ، بوضعها في محلول حامض مخفف ، احتفظت العظمة بشكلها وحجمها ، ولكنها تصبح لينة يمكن ثنيها ولها ، أما إذا احترقت احترق نسيجها الليفى ، واحتفظت بهيكلها العام ، ولكنها تصبح هشة وغير مرنة تنكسر وتفتت بسهولة وبأقل مجهود .

وبقدرة الله وعظمته - سبحانه وتعالى - تشكل كل عظمة حسب وظيفتها واشترائها في تحمل ومقاومة الأعباء الميكانيكية ، وهي دائبة التكيف مع هذه الوظيفة حسباً تتغير الظروف وفي جميع سني العمر ، وأثناء النمو وبعد البلوغ ، فمثلاً نجد أن عظام الفك الأسفل تتغير كثيراً بتقدم العمر ، بينما لا تتغير معظم العظام الأخرى بعد استقرار تكوينها .



الجسم ، شكل (*) ، الا أنه في بعض الأجزاء الأخرى مثل عظام الجمجمة المحيطة بالمخ والترقوة والفك الاسفل ، يتحول النسيج الخلوي الى عظام مباشرة ، وتسمى عظاما غشائية .

غذاء العظام

وتتغذى العظام بالدم خلال أوعية دموية خاصة ، حيث يتوجه الشريان الخاص من خارج العظمة الى نهاية العظمة ، حيث مركز نموها وهو في طريقه اليها ، يتفرع خلال مروره في نخاع العظم الى فروع كثيرة ، كما أن هناك شرايين كثيرة أخرى تغذيها من خارج العظمة وحول رقبته ، وتتصل بالغشاء المغلف لها. وتحتوي العظام على النخاع الأحمر الذي يأخذ على عاتقه عملية تكوين خلايا الدم ، وسرعان ما يحتل النخاع الأبيض مكانه ، حتى اذا ماتم نمو العظام ، أصبح النخاع الأحمر - فقط - في نهايات عظام الذراعين والفخذين ، شكل (*) .

ما الذي يؤثر في نمو العظام ؟

عندما يتم التحام العظام النامية بعضها ببعض ، ليكتسب الهيكل العظمي للانسان حدا معيناً من حيث الطول والسمك والشكل ، تبعاً لعوامل خاصة بكل شخص ، تظل تلك الخواص المكتسبة ثابتة الى أن تتغير بفعل سنوات العمر ، أو بأي عوامل مرضية أخرى .

وهناك عوامل عديدة تتحكم في نمو العظام : منها العوامل الوراثية ، والهرمونية ، والغذائية والميكانيكية ، والعصبية ، وتأثير هذه العوامل أثناء فترة النمو وقبل البلوغ يكون ظاهراً على مواضع النمو فيها ، حيث النشاط السريع في تحول الخلايا من غضروفية غير مرئية الى غضروفية مرئية في صفوف مترابطة ، حيث يترسب عليها عنصر الكالسيوم ، وبعد ذلك تنشط الخلايا العظمية لتكوين النسيج المطلوب ، والشكل العام والقياسات والطول النهائي عادة تحددها عوامل الوراثة .

وهرمونات النمو في الغدة النخامية في المخ لها الأثر الفعال على نضج الخلايا الغضروفية ، وبالتالي على معدل النمو في العظام الطويلة التي تنبغ من النسيج

هدم العظام ، وانما يعتمد على عوامل عامة في الجسم تتعلق بمعدل التمثيل الغذائي ، والتوازن العام بين الهرمونات ، أو اختلال ذلك المعدل لأي سبب من الاسباب .

ونجد أن النسيج العظمي داخل كل عظمة يتخذ اتجاهات محددة حسب ميكانيكية استخدامها ، ولتقريب فهم تلك النقطة نقارن بينها وبين مايتبع في الهندسة الانشائية للمباني ، حيث يتم توزيع أسياخ حديد التسليح في البناء العالي ، وفي القباب بصورة علمية ، لضمان اتزان المبنى ورسوخه على القاعدة الأرضية ، وهناك بعض الأمثلة التوضيحية بالرسم والصورة ، شكل (*) .

كيف تتكون العظام ؟

ينقسم الهيكل العظمي الى قسمين : العظام المحورية وهي الفقرات والأضلاع وعظمة القص والجمجمة . والعظام الطرفية وهي عظام الحوض والاكشاف والأطراف المتصلة بها ، ويصعب الدخول في تفاصيل تكوين العظام في الجنين لكن يمكننا القول بأن الجنين يتطور من مرحلة خلايا تتكاثر الى بداية تطورها الى أنسجة مختلفة ، والجنين مازال طوله لايزيد عن ملليمتر واحد ونصف المليمتر شكل (*) ، وهذه الأنسجة عموماً تنقسم الى ثلاثة أنواع : الخارجي والأوسط والداخلي .

أما العظام فاصلها من النسيج الأوسط المسمى بالميزودرم ، حيث ينقسم مبدئياً الى ٤٢ - ٤٤ زوجاً من الأجزاء التي تنتج عنها الفقرات والأضلاع ، وهذه الخطوة ترى في الجنين بين اليوم التاسع عشر والثاني والثلاثين من الحمل شكل (*) ، ثم تتحول الخلايا في هذه الأجزاء الى نسيج غضروفي في الأسبوع السابع للحمل ، وبداً من الفقرات العليا ، وعند الأسبوع التاسع شكل (*) ، يبدأ ترسيب الكالسيوم ، والتحول الى نسيج عظمي بعد ذلك .

أما عظام الأطراف فتظهر في الأسبوع الرابع للحمل ، على هيئة براعم على جانبي الجسم من نسيج خلوي مغطى بالجلد ، وهما نسيجان يتعاونان بالتبادل - كل لتطور الآخر - حيث يتحول النسيج الخلوي الى نسيج غضروفي ، وهذا بدوره يتحول الى نسيج عظمي ، كما هو الحال في المواقع الأخرى من

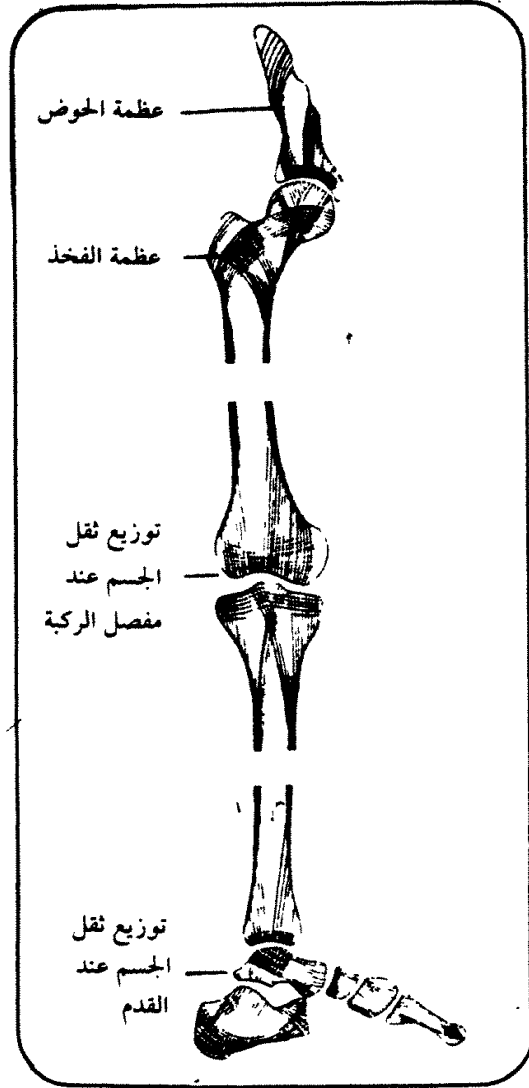
● عظامنا وسنوات العمر .

الدرقية أثر كبير على تطور الخلايا الغضروفية ، فاستئصالها في صغار الحيوانات يجعلها ذات عظام قصيرة ، وزيادة افراز الغدة فوق الدرقية له أثر عاصف على العظام ، فهو ينشط الخلايا المهادمة للعظام ، ويحرك معدن الكالسيوم والفوسفور من العظام ليزيد معدنها في الدم ، ويعمل أيضا على زيادة امتصاص النسيج الهيكلي الليفي والـ Callogen من العظام

وهناك هرمون آخر تفرزه بعض الخلايا الجانبية في الغدة الدرقية ويسمى Calcitonin ، له خاصية مقاومة هدم العظام ، وربما بتأثير ماعلى البروتين الموجود في نسيج الهيكل نفسه ، وبذا ينخفض معدل نسبة الكالسيوم في الدم .

مرض لين العظام

ويعتمد نمو العظام بصفة عامة على وفرة كافية من عناصر الكالسيوم والفوسفور وفيتامين د . الموجود في الطعام ، شريطة أن تكون في الصورة الكيميائية المناسبة للاستفادة منها . وتلك العناصر يعتمد بعضها على بعض من أجل سلامة العظام طول العمر ، فإذا نقصت قل ترسب الكالسيوم في النسيج العظمي ، فتضعف قوته على تحمل ميكانيكية الحركة ، ونلاحظ ان النسيج الغضروفي يكبر نسبيا ، وهو مستمر في النمو ، وباستمرار نقصان الكالسيوم يصبح تضخم الغضاريف واضحا من نهايات العظام اللينة ، بسبب عدم ترسب الكالسيوم فيها ، وهذا هو مرض لين العظام أو الكساح ، وذلك لأن هذه العظام - وقد أصبحت ذات نوعية رديئة - لا تقدر على تحمل الشد والجذب للحركة اليومية للجسم ، وهنا تكون الحاجة ماسة للفيتامين ج حيث انه هو العامل المنشط لبداية تكوين النسيج الاساسي للعظام السليمة ، ونقص هذا الفيتامين يؤدي الى مرض الاسقربوط ، وحتى في أقل درجاته يسبب تأخيرا في التحام كسور العظام ، أما اذا حرم الانسان من فيتامين (أ) فان نمو العظام يصبح غير طبيعي ، فيزيد سمكها ولا تأخذ شكلها الاسطواني المعروف ، ولكن زيادة فيتامين (أ) عن المطلوب يسبب أيضا تآكلا في العظام من خارج محيطها ، أما بعد تمام النمو والتحام مراكزه مع بعضها البعض ، فتبقى خاصية تجدد نسيج العظام من



الغضروفي ، فإذا زاد افراز تلك الهرمونات قبل سن البلوغ أصبح المصاب عملاقا ، أما إذا زاد افرازها بعد البلوغ فان هذا يؤدي الى تضخم العظام الأخرى

الطول والقصر

وعلى النقيض من ذلك ، اذا قلت نسبة هرمونات النمو ظل الفرد قزما ، والتحمت عظامه بعضها ببعض قبل الأوان ، واذا قل افراز هرمون التذكير في الخصيتين قبل سن البلوغ زادت العظام الطويلة في الأطراف طولاً غير متناسق مع باقي الجسم ، كما يحدث « للأغوات » أو الخصيان ، وهرمون الغدة

المطلوب منها ، وقد تضمر اذا لم تتحرك .
 وحين تكسر عظمة ما ، فان الكسر يلتئم بفعل
 نشاط الخلايا البانية للعظام في الغشاء المغلف لها من
 داخل نخاعها ، وامراض العظام كثيرة ومتعددة ،
 فمنها الوراثي ، ومنها المكتسب بكافة أنواعه ، وهناك
 أيضا ما كان نتيجة لطول سنوات العمر .

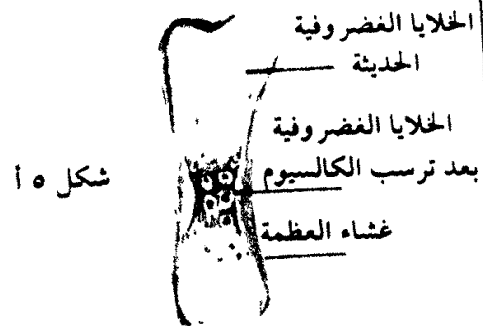
دور العوامل الوراثية

قد يرث الطفل عدم قدرة خلايا العظام على
 تكوين النسيج ، فيولد وعظامه لينة ومشوهة وبها
 كسور متعددة ، وقد يكون الطفل عكس ذلك تماما ،
 فتكون عظامه صماء مليئة بالكالسيوم ، هشة قابلة
 للكسر بدون سبب ، وهؤلاء يعانون من الانيميا
 الشاملة ، لعدم وجود نسيج النخاع في عظامهم ،
 لتكوين خلايا الدم المختلفة ، وقد يصابون بنوع من
 الصمم لخلو عظام أذانهم من التجاويف التي تضخم
 الصوت المسموع للأذن ، وقد يأتون عميانا نتيجة
 لاختناق عصب البصر في عظام الجمجمة ، وهذه
 بعض الأمثلة فقط .

وهناك أمراض عديدة تؤثر على صحة العظام
 نفسها ويمكن تشخيصها من صور الأشعة ، مثل
 أنيميا تكسر الخلايا الحمراء ، والانيميا المنجلية ،
 والانيميا البحرية ، وكذلك أمراض الخلايا البيضاء
 في الدم ، مثل اللوكيميا وأمراض سرطان العظام
 نفسها من ورم حميد وورم خبيث وتآكل العظام ،
 والأورام الثانوية في العظام ، مثل سرطان
 البروستاتا ، والثدي ، والغدة الدرقية ، والرئة
 والشعبيات . . . وهكذا أما التهاب العظام بسبب
 الميكروبات الصديدية والدرنية ، فهذه وإن قل
 انتشارها نسبيا بفضل المضادات الحيوية في السنوات
 الأخيرة ، إلا أنها بدأت في الظهور ثانية ، وذلك ربما
 كان بسبب استعمال المضادات الحيوية بكثرة وبطريقة
 عشوائية ، سواء من قبل المعالجين أو المعالجين ، مما
 أكسب الميكروبات مناعة ضد العقاقير ، كما يمكن
 اكتشاف التسمم بالمعادن والسموم من صور أشعة
 العظام ، مثل تسمم الزرنيخ والفسفور والرصاص
 وغيرها . . .

□

خلايا الغشاء المغلف لها من الخارج ومن داخل
 جدارها عند الحجاج ، وكذلك تستمر عملية
 الامتصاص .
 كذلك يتغير شكل العظام تبعا للحمل والنشاط



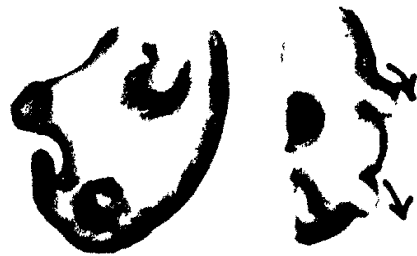
شكل ٥ أ

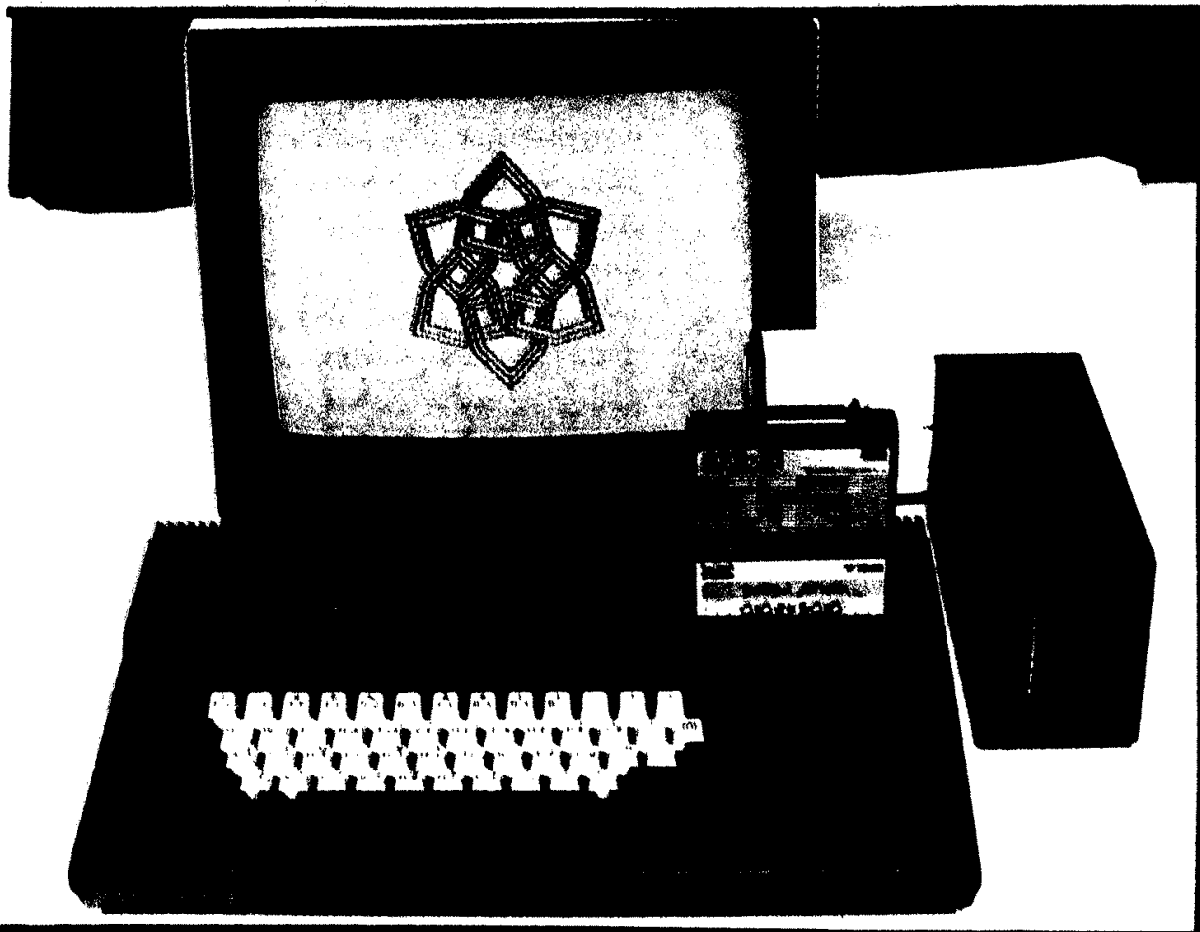
قطاع في عظمة جنين في عمر ٨ أسابيع
 شكل ٤



الجنين في عمر ستة أسابيع تبدأ الاطراف
 تنجح الى أسفل وتبدأ أيضا في الانثناء عند
 الكوع والركبة .

الجنين في عمر خمسة أسابيع ، الاطراف
 وقد برزت مثل الزعانف على جانبي الجسم .





٥٦ قال هربرت ريد « يبدأ الفن عندما ينتهي العلم » وربما قصد بذلك قدرة الفن على تجاوز حدود الواقع ، والتحرر من قيود التفكير أو التعبير المنضبط ، والتخلص من دقة الحسابات وشرطية العلاقات المنطقية ، لينطلق إلى اكتشاف آفاق جديدة تلهم خيال العلماء والفنيين ، وتحثهم على مزيد من التحديات العلمية والتقنية ، ومن الجانب الآخر يسعى العلم جاهدا لاخضاع الابداع الفني لوسائل التحليل والتركيب والتظهير ، ليكسب بذلك مناطق جديدة تدين للتقعيد والتقنين والتنميط .

تتجاوز العلاقة بين الفنون والعلوم رابطة النهاية والابتداء التي طرحها هربرت ريد ، إلى كونها علاقة تبادلية ، وفي إطار هذه العلاقة يقوم العلم بتوفير وسائل مادية للتعبير الفني وإخراجه ونشره ، في حين يحث الفن العلماء على كسر القيود ، واقتحام الجديد ، ويكفي هنا مثلا ما يقال عن أثر روايات الخيال العلمي على برامج غزو الفضاء والاتصالات والكمبيوتر ، وعلى ما يبدو كلما ارتقى العالم وسما الفنان بدت الصلة بينهما أكثر وضوحا ووثوقا ، فلا تتسع ذروة الابداع الانساني لتقسيمات مفتعلة ، كذلك التي بين الابداع العلمي والابداع الفني ، أو بين العلوم والانسانيات ، أو بين الشكل والمضمون .

بين الفنون والعلوم

تاريخ الانجاز البشري حافل بالأمثلة التي تؤكد الصلة الوثيقة بين العلوم والفنون ، سنستعرض هنا بعض هذه الأمثلة التي تؤكد الطبيعة التبادلية لهذه العلاقة .

عندما اكتشف نيوتن نظرية الطيف اللوني التي أثبت من خلالها أن اللون الأبيض هو مزيج من ألوان الطيف السبعة ، هلل الفنانون التأثيريون لهذا الاكتشاف ، وجعلوا من مساحاتهم اللونية نسيجاً من ألوان الطيف المتداخلة التي تعطي هذا النسيج ملمسا خاصا ، يضيف إلى العمل التشكيلي قيمة جديدة ، وكان أبرز هؤلاء الفنانين هو الفنان الفرنسي « سورا » الذي صمم على تحويل جميع بقعه

ومساحاته اللونية إلى مجموعة نقاط ملونة ، تمثل ألوان الطيف المناظرة التي يتم « غزلها » من آلاف النقاط الملونة والمتجاورة ، وهو الأسلوب الذي عرف « بالتنقيطية » . أعطى أسلوب التنقيطية هذا فكرة تكوين الصور على شاشات التليفزيون ، حيث تتكون الصورة من نقطة واحدة تلمس الشاشة عرضيا وطوليا ، مع تغيير لونها في المواقع المختلفة ، وفقا لألوان الصورة المراد اظهارها .

ومع انتشار أساليب التحليل والتركيب العلمي ، خرج لنا بيكاسو وبراك بالتجريدية التحليلية التركيبية ، حيث قاموا بتحليل الأشكال إلى عناصر صغيرة ، وأعادوا تركيبها في صيغ جديدة ، وقد كان هذا مدخلا أساسيا للتجريد التشكيلي البحث الذي تخلص تماما من ارتباطه بموضوع معين ، وعندما ظهرت النظرية النسبية ، أثارت فكرة البعد الرابع « البعد الزمني » خيال الفنانين الذين حاولوا التعبير عنه تشكليا بصور مختلفة ، فها هي متحركات المثال « كالدرا » تخرج النحت من استاتية الكتل الثابتة ، إلى دينامية المكونات التي يتغير شكلها تلقائيا ، تحت فعل الرياح أو تيارات المياه أو حركة الموترات الكهربائية ، أو تحت تأثير الأضواء المسلطة عليها ، حاول مصورون تشكيليون أيضا اضافة بعد الزمن إلى لوحاتهم - رغم التحدي الكبير ، حيث تقيدهم حدود لوحاتهم المسطحة - فزاهم يضجون بالبعد الثالث - فيسقطون المنظور لتصبح أشكالهم مسطحة ، أي ثنائية الأبعاد ، ولكنها تتغير في أوضاعها أو أشكالها ، وفقا لعلاقة منتظمة ومتواترة . يؤدي هذا التغيير المدروس إلى الخداع البصري ، حيث تبدو الأشكال متحركة ومرتعشة بصورة مستمرة . واللوحة الشهيرة لبيكاسو « عن وجه امرأة » اختلط فيه المنظر الجانبي ومنظر الوجه الأمامي ، مثال آخر لمحاولة الفنان التشكيلي لإبراز عنصر الزمن من خلال المزج بين وضعين مختلفين لرؤية الوجه في نفس الوقت .

ومع الثورة الإلكترونية المعاصرة ، كان لا بد أن يلتقي الكمبيوتر ، رمز هذه الثورة التقنية ، مع الفن على جبهات مختلفة خاصة ، في مجال الموسيقى

● الكمبيوتر والزخرفة العربية

(Modularity) . يأتي هذا المفهوم متمشياً مع الخصائص التركيبية لكثير من عناصر الطبيعة ، كتكوين العناصر من ذرات ، والأنسجة من خلايا ، والمركبات من جزيئات وهكذا . وهو يتفق أيضاً مع معمارية الكمبيوتر نفسه الذي تتكون ذاكرته من مجموعة من الخلايا ، تحفظ البيانات بها باستخدام عنصرين أساسيين هما الصفر والواحد . هذا التوافق بين بنية الزخرفة العربية ، ومعمارية الكمبيوتر من جهة ، وإمكانية إخضاع علاقاتها الهندسية للبرمجة الرياضية من جهة أخرى ، جعل منها موضوعاً مثالياً لاستخدام الكمبيوتر في مجال الفن التشكيلي .

يوفر الكمبيوتر إمكانيات هائلة في تصميم الخطوط ، واختيار الألوان ومزجها ، ويوفر بآليته ألواناً من ٢٥٦ لوناً ، تغطي جميع الدرجات اللونية الممكنة ، وهو يشترك في ذلك مع الوسائل اليدوية في الرسم والتلوين ، ولكنه ينفرد في المرونة التامة في تصغير الأشكال وتكبيرها ، وتجزئتها وإعادة تجميعها ، وتحريكها ونقلها ، وكذلك دمجها مع أشكال أخرى ، يضيف هذا عنصر الدينامية لعملية الإبداع التشكيلي نفسها ، ويحرر العمل من أسر استاتية الأوراق واللوحات ، لقد اكتشف أهل السينما هذه الإمكانيات الهائلة ، فتراهم يستخدمون الكمبيوتر ليتحكم في توجيه الكاميرات ، وخلق المؤثرات التصويرية والصوتية ، وبرمجة الرسوم المتحركة .

ربما يرى البعض في ذلك ميكنة لعملية الخلق والابتكار ، وتعارضاً مع أصالة الإبداع ، وإخضاع الفن للتقنين والتقييد ، وفي رأيي ان الموقف هو العكس تماماً ، فإن الأدوات والوسائل التي يتيحها الكمبيوتر ستحرر الفنان من كثير من القيود التي تحد إبداعه ، وتحصره في نطاق تجريبي ضيق ، لقد أثبت الكمبيوتر في جميع مجالات الفكر أنه عنصر مؤازر لتعزيز الابتكار والإبداع .

أما كيف يتعامل الفنان مع آله الجديدة ، فهناك عدة طرق لتصميم الأشكال بواسطة الكمبيوتر ،

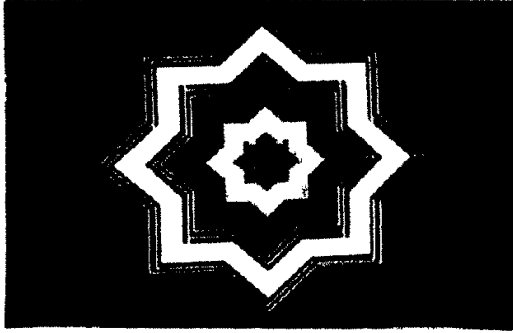
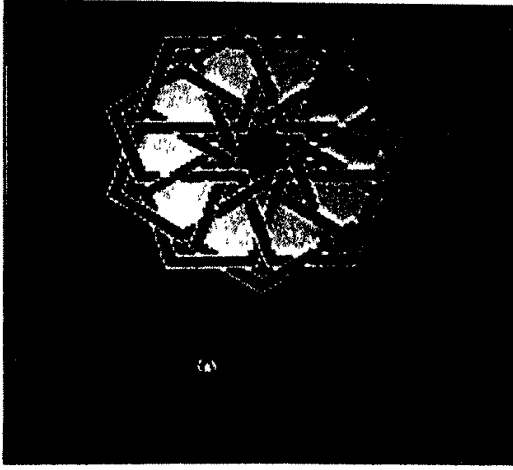
والتشكيل . ففي مجال الموسيقى يستخدم الكمبيوتر لعزف الموسيقى ووضع الألحان ، وقد شهد كاتب هذه السطور في اليابان حفلاً موسيقياً للعزف على البيانو بلا عازف ، حيث قام الكمبيوتر بمهمة العزف ، محرراً أصابع البيانو ومفاتيحه تلقائياً ، وفقاً للبرنامج المخزن في ذاكرته ، وبصورة تتطابق وأداء أمهر العازفين . أما بالنسبة لعلاقة الكمبيوتر بالفن التشكيلي فتبدو الأمور أكثر تعقيداً وتشابكاً ، وسنحاول هنا أن نتناول هذه العلاقة بمزيد من التفصيل ، ومع التركيز على الزخرفة العربية .

الكمبيوتر والفن التشكيلي

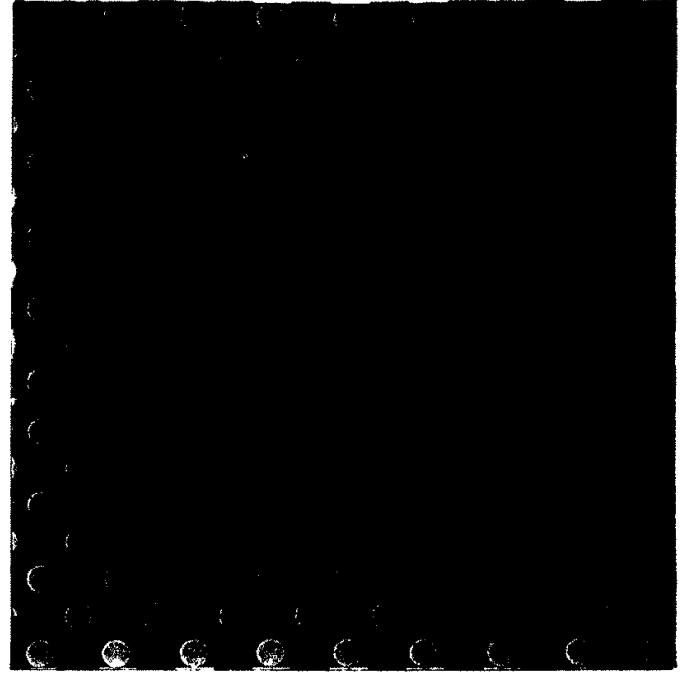
تسمى جميع الفنون إلى أن ترقى إلى درجة النقاوة التي حققها فن الموسيقى ، من حيث كونه فناً صرفاً ، بالغ الصفاء والتجريد ، قائماً بذاته ، لا يستعير من الفنون الأخرى ما يشوب تفرد واستقلاليته . وقد حاول الفنان المجري الشهير (فازاريلي) أن يضع سلماً تشكيمياً ، كالسلم الموسيقي ، بحيث يمكن بواسطته تصميم اللوحات التشكيلية بأسلوب يماثل ذلك الذي يضع به الموسيقار سيمفونيته ، وتمادى فازاريلي في خياله وتصوره في إمكانية وضع هذا السلم التشكيلي في ذاكرة الكمبيوتر ، هادفاً إلى مزج الفن بإمكانيات الكمبيوتر الهائلة ، وحتى تصبح عملية خلق الأشكال مزيداً من البرمجة الذهنية المحددة ، والاحساس التشكيلي المهدف .

وقبل فازاريلي بقرون عدة قدمت الزخرفة العربية مثالاً مثيراً لالتقاء الفن التشكيلي بالمنطق الرياضي والعلاقات الهندسية ، والأهم من ذلك أن الزخرفة العربية اعتمدت في تصميمها على ترديدات نفس الوحدة الأساسية (basic block) وخلق الفنان العربي بذلك أبجدية تشكيلية خاصة به ، أمكن من خلالها صياغة عدد لا نهائي من التكوينات الزخرفية .

يعد بناء التصميمات من وحدة رئيسية متكررة أحد المفاهيم الأساسية للعلوم الحديثة ، وأساساً مهماً في عملية التحليل والتركيب ، وهو الأسلوب الذي يعرفه البعض بأسلوب التجزيئية



- بعض نماذج لأشكال زخرفية تمت برمجتها
بالكمبيوتر



- نموذج من اعمال الفنان فارزيلي يتضح فيه
تأثره بالزخرفة العربية

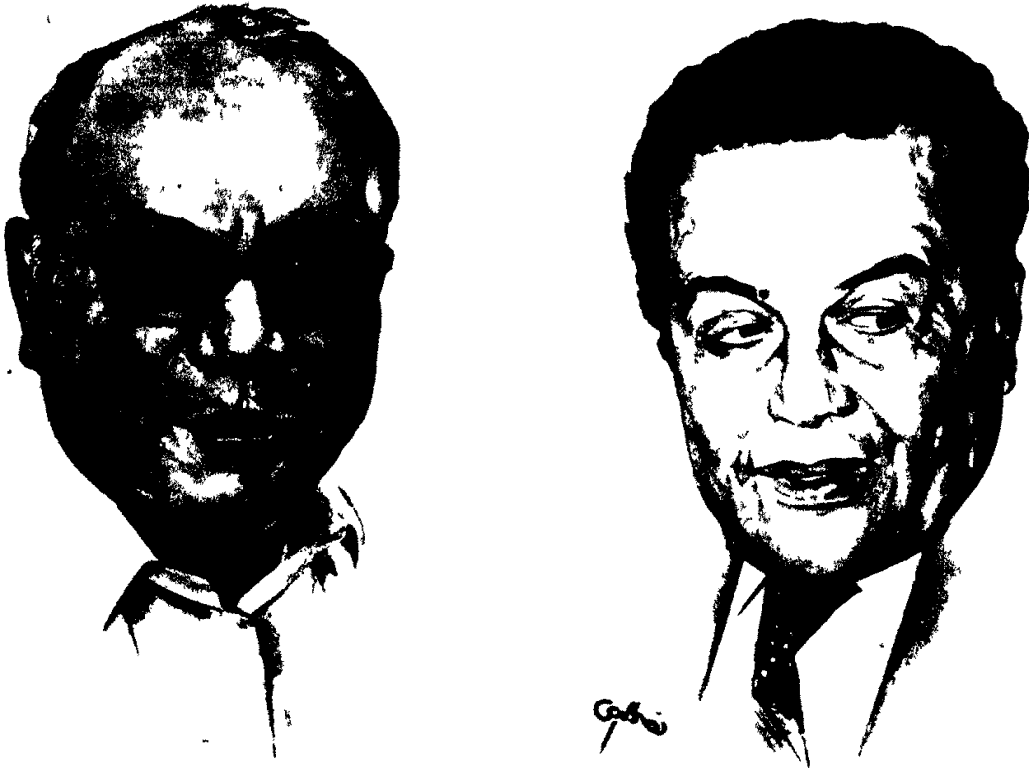
لاستخدم لغة البرمجة العربية المعروفة بأسم (لوجو)
في إنشاء مكتبة للتصميمات الزخرفية باستخدام
الكمبيوتر ، لقد قام فريق البرمجة بتلخيص العلاقات
الهندسية في صورة صيغ رياضية ، تتعامل مع عدة
متغيرات ، بحيث يمكن تغيير نسب الأشكال
وأحجامها وألوانها وعلاقاتها ، بإعطاء قيم مختلفة لهذه
المتغيرات ، تقوم لغة (اللوجو) بتنفيذ الأشكال
الزخرفية ، من خلال قدرتها الفائقة على تكرار
الرسومات ، ومعالجة الألوان ، وتحريك الأشكال
والتحكم فيها ، وقد جاءت النتائج مؤكدة للدور
الكبير الذي يمكن أن يقوم به الكمبيوتر في إبراز
جماليات الزخرفة العربية ، وسبر أغوارها ، وإكسابها
طابع التغير والحركة ، يوفر ذلك مرونة كبيرة
للمصممين في صنع تكوينات زخرفية جديدة ، وبعد
ترجمة عملية للدعوة التي نادى بها كثيرون لتحديث
التراث ، واستخدام التقنيات الحديثة ، في تقديمه
لعرب اليوم صغارا وكبارا . □

فيتمكن للفنان أن يرسم على شاشة الجهاز مباشرة
باستخدام ما يعرف بالقلم الضوئي ، أو يرسم بقلمه
على لوحة رسم موصلة بالكمبيوتر الذي ينقل كل ما
يخطه الفنان على اللوحة إلى شاشة الكمبيوتر مباشرة .
بجانب هذه الأساليب المباشرة هناك أسلوب برمجة
الأشكال ، وهو حتما الأسلوب الأعمق والأعقد ،
حيث يقوم الفنان بإصدار تعليماته للكمبيوتر ،
مستخدما إحدى لغات البرمجة ، كلغة (البيسك)
على سبيل المثال ، ان دور الفنان هنا هو دور مؤلف
الموسيقا الذي يقوم بوضع سيمفونيته في صورة مجموعة
من الرموز والارشادات ، يذكرنا هذا بقولة
(فازاريللي) الشهيرة : « أنا أضع معادلة اللوحة ولا
أرسمها » .

استخدام الكمبيوتر في الزخرفة العربية

أتيت لكاتب هذه السطور معايشة تجربة مثيرة

وجع الوجه



فتحى غانم و أبوالمعاطي أبوالنجا

- * لم تغب المشكلة الاجتماعية عن رواياتي ، ولكنني اقترب منها من خلال التركيبة النفسية للشخصية
- * تأثر عملي كروائي بعمل كـمحقق وصحفي لكن كيف وإلى أي مدى ؟
- * كانت سورة يوسف هي معلمي الأول في بناء الرواية ... !
- * تأثرت بشخصية « هانز كاستروب » في تحديد مصير منصور في الأفيال ،
- * على الأديب أن يواجه الواقع بدرجة من الحياد ليصل إلى الصدق .
- * نعم .. لعمل البراعة الذكية جزء من ذاتي !

الاستاذ فتحي غانم كاتب مصري ، وهو واحد من أهم كتاب الرواية في مصر والوطن العربي ، له بصمة متميزة في أسلوبه ورؤيته الفنية ، عمل في بداية حياته المهنية كمحقق في وزارة التربية والتعليم ، ثم انتقل الى العمل بالصحافة كنائب رئيس تحرير في مجلة آخر ساعة ، ثم شغل عدة مناصب رئيسية كرئيس تحرير ، ورئيس مجلس ادارة لعدد من المؤسسات الصحفية الكبيرة .

من أهم مؤلفاته الروائية والقصصية والأدبية :

تجربة حب ، الجبل ، من أين ؟ ، الساخن والبارد ، الرجل الذي فقد ظله - (رباعية) المطلقة ، تلك الأيام ، الغمي ، الفن في حياتنا ، سور حديد مذهب - مجموعة قصص قصيرة ، زينب والعرش ، حكاية تو ، الافيال ، بنت من شبرا ، قليل من الحب وكثير من العنف .

قدمت ثلاثة من أعماله الروائية في التلفزيون العربي وهي « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » و « الافيال » وحقت زينب والعرش تفوقا كبيرا كمعمل تليفزيوني جماهيري متميز .

أما الزميل أبو المعاطي ابو النجا ، فهو احد محرري المجلة ، والقصصي المعروف .

بين الصحافة والادب



كانت تحتوي على بذرة من بذور رواية « الرجل الذي فقد ظله » ومنها رواية « من أين » حيث أن بطلها صحفي ، وهي وان لم تتناول مهنة الصحافة ، الا أنها تناولت الموضوع الذي كان يقوم الصحفي بتحقيقه ، فإذا انتقلنا الى الجزء الأخير من السؤال عن تأثير عملي الصحفي أو عملي كمحقق في أسلوب كتابتي للرواية ، أو في طريقة بنائها ، فأعتقد أن هذا الجانب يثير قضية جدية بالتأمل والمناقشة ، فمن ناحية ربما كان عملي كمحقق له أثره في طريقي في الاقتراب من الحقيقة في أعمال الروائية ، حيث يتوجب علي أن أبحث عنها عبر قنوات متعددة ، وألا أخذها من مصدر واحد مهما يكن .

وقد ظهر هذا في رواية « الجبل » وفي رواية « الرجل الذي فقد ظله » .

الا أنه من المهم هنا أن أشير إلى أن بذرة هذا الاتجاه قد بدأت عندي في فترة مبكرة في بعض قصصي القصيرة ، كما سبق أن اشرت ، ولكن هذا لا يمنع من أن عملي كمحقق بلور هذا الاتجاه عندي وأنضجه .

ومن ناحية أخرى أرى أن السؤال عن تأثير عملي الصحفي في عملي الأدبي ربما له علاقة بما يقال من أنني متأثر في كتابة الرواية بأسلوب الكتابة الصحفية ،

● يلاحظ القارئ أن فنك الروائي قد تأثر في اختيار موضوعاته بعملك المهني ، سواء في فترة عملك كمحقق أو عملك في الصحافة ، هل تعتقد أن تأثير العمل المهني في فنك قد توقف عند حد اختيار الموضوع ، أم كانت له تأثيرات أخرى في الأسلوب أو في طريقة بناء الرواية ؟ بشكل عام نود أن نحدثنا عن رؤيتك لتأثير العلاقة بين عملك وفنك ؟

- هذه الملاحظة صحيحة بشكل عام ، فقد كانت رواية « الجبل » نتيجة لعمل كمحقق في الأحداث التي وقعت في قرية القرنة « التي بناها المهندس المعروف « حسن فتحي » ثم تعرضت لحادث حريق ، كما كان عملي في الصحافة هو المحرك الأساسي لروايتين من رواياتي الكبيرة « الرجل الذي فقد ظله » و « زينب والعرش » كما أن شخصية الصحفي تكررت في أعمال أخرى منها قصة قصيرة بعنوان « فترة من حياة بهية مسعود » التي أعتقد أنها

● وجهها لوجه : فتحي غانم

أيضا بالصحافة - بأنه يكتب « بكلمات كأنها حصي تراه في غدير ماء صافيه وهم يعنون أنه يكتب بكلمات واضحة جدا محددة جدا ، إلا انها في النهاية من خلال هذا الصفاء وهذه الدقة التي ترسم بها الواقع ، تفجر في داخل القارئ المشاعر الجمالية التي يحس بها الكاتب .

هل يكون الكاتب محايدا ؟

● إذا أذنت لي فلدي تعليق صغير على جزئية في أول حديثك ، ثم توضيح لسؤالي حول النقطة التي تحدثت عنها أخيرا ، فإذا عدنا الى قضية حياد الكاتب بالنسبة للتجربة التي يعايشها ، فلا أظن أن مثل هذا الحياد موجود بالمعنى الدقيق ، فلكل كاتب وربما لكل انسان خلفية تؤثر في طريقة رؤيته للتجربة التي يمر بها في الحاضر وتفاعله معها ، ولعلك تقصد أن على الكاتب أن يخوض نوعا من الجهاد في سبيل ألا يبقى أسيرا لهذه الخلفية ، وهو يعيش تجربته الحية الجديدة ، وأن عليه أن يكون متفتح العقل والقلب ليتمكن من رؤية الجديد الذي قد تحمله هذه التجربة ، والذي يمكن أن يسهم في تغيير خلفيته . . . فهل توافق على اضافة مثل هذا التوضيح . . .

- تماما . . . وأظن أن هذا ما كنت أقصده ، وإن لم يسمح سياق الحديث بتوضيحه بهذه الدرجة .

● أعود اذن الى توضيح آخر لما كان في خاطري حين سألت عن تأثير العمل المهني في أسلوبك في كتابة الرواية وطريقة بنائها ، فقد كان لدى احساس بأن منهجك في بناء العديد من رواياتك أنك تبدأ دائما من لحظة أزمة أو ذروتها ، ثم تقوم بنوع من الرحلة وراء جذور هذه الأزمة في الماضي أو الحاضر متابعاً لفروعها في المستقبل ، وإن هذه الرحلة تشبه من بعض الوجوه رحلة الصحفي الذي يبدأ تحقيقه من ذروة أزمة ثم يتابع الشخصيات والأحداث في مواقع وأزمنة مختلفة ليصل الى نوع من الحقيقة ، وإن مهنة المحقق أيضا ربما كان لها تأثير على طريقتك في عرض موضوع الرواية ، من

وهذا هو الأمر الذي يحتاج الى شيء من المناقشة ، من وجهة نظري ، هناك أوجه للتشابه وأوجه للاختلاف بين العمل الصحفي والعمل الأدبي ، العمل الصحفي يبدأ بمتابعة حدث يقع في الخارج ، ثم يعبر عنه بالكلمة أو بالصورة ، الأديب أيضا يجب أن يبدأ من ملاحظاته لما يقع حوله من أحداث ، عليه أن يواجه الواقع من حوله بنوع من البراءة الكاملة ، أو من الحياد إذا صح التعبير ، لا بد من درجة من البكارة والعذرية ، وربما دهشة الشاعر ، ليكون قادرا على الوصول إلى ما نسميه الصدق أو الحقيقة ، لا أتصور أن الكاتب الذي يبدأ بمسلمات أو بأحكام جاهزة يمكن أن يوصلنا إلى هذا النوع من الصدق ، فهو في العادة يرى في الواقع أو لعله يساق إلى رؤية ما يؤيد وجهة نظره المسبقة ، أو يبرهنها ، وفي رأيي أن ما يقدمه مثل هذا الكاتب ليس أدبا روائيا بالمعنى الذي أرخصه ، وليس معنى هذا أنني أرفض مثل هذا الأدب ، فمن حق كل كاتب أن يكتب بالمنهج الذي يرتضيه لنفسه ، ولكن طريقي أن أبدأ من خلال التجربة التي تغلغلها حواسي ، وهي بعد ذلك توصلني الى نتيجة يمكن أن تكون مختلفة حتى عن توجهاتي المسبقة .

إذا كان العمل الأدبي والعمل الصحفي عندي يتفقان في البدء من ملاحظة الواقع الخارجي ، فإن الاختلاف بينهما يبدأ أيضا بعد ذلك . . . فالصحفي يسجل انطباعاته عن الحدث الذي رآه في الواقع فوراً ، بأسلوب يتسم بالوضوح والبساطة ، أما الأديب فقد يحتاج الى سنوات لتأمل تجربة عاشها في الواقع ، قبل أن يكتبها في عمله الأدبي ، وبالنسبة لي فقد احتجت الى ثماني سنوات لأكتب رواية « الجبل » بعد أن عشت تجربتها في الواقع ، كما أن الأسلوب الأدبي يحتاج الى جهد من نوع خاص في اختيار الكلمات وصياغتها في نسق معين ، قادر على نقل الخبرة التي يتمثلها الكاتب الى القارئ ، والايحاءات التي يريد أن يوحي بها اليه ، هناك تصور أن الأديب الذي يعمل بالصحافة يتأثر أسلوبه الأدبي بالأسلوب الصحفي الذي يؤثر السهولة والوضوح عادة ولكن في الواقع هناك فرق بين السهولة والوضوح اللذين يكتب بهما الصحفي ، واللذين يكتب بهما الأديب ، فقد وصف النقاد أسلوب همنجواي الأدبي - وقد عمل

خلال شخصيات مختلفة ، على النحو الذي أوضحته في حديثك عن « الرجل الذي فقد ظله » .

سورة يوسف هي البداية

- أوافقك الى حد ما على وصف الظاهرة ، ولكني ربما اختلف في تقدير الأسباب والدوافع . . فقد تدهش اذا قلت لك انني لم أمارس العمل الصحفي بالطريقة التي تشير اليها ، فلم أكتب خلال عملي بالصحافة تحقيقات صحفية أو اخبارا صحفية ، لقد كان أول عمل صحفي لي هو العمل ككاتب رئيس تحرير ، وفي الواقع أنني دخلت الصحافة من باب الأدب ، ومع ذلك فأنا أوافقك على وصف طريقي في بناء الرواية ، فأنا أبدأ من لحظة أزمة أو من ذروتها ، وأضيف هنا أنني أحرص على الانتقال من ذروة الى ذروة أخرى ، وهذه فرصة لأحدثك عن بدايات هذا التفكير لدي في بناء الرواية . . وأذكر أن هذه النقطة بالتحديد كانت مجال مناقشات طويلة بيني وبين الصديق الناقد والكاتب الأستاذ بدر الديب في الأربعينيات .

لقد قلت له يوما (وبالمناسبة أنا حفظت القرآن الكريم في طفولتي المبكرة) سأقرأ عليك سورة « يوسف » كما لو كنت أقرأ قصة ثم قلت له : الا ترى أن القصة تبدأ مباشرة بلحظة أزمة : « أولاد يريدون أن يخرجوا مع أخيه والأب خائف » وهذه أزمة ثم يسقط يوسف في البئر ، ذروة أخرى ، ثم « يدخل يوسف على امرأة العزيز في مصر ثم هُتِمَ به وهم بها » ، ذروة أخرى ، ثم دخول السجن ثم الحلم ثم الخروج ثم القحط . . . الخ .

اعتقد أنه من هنا ، من تأثير سورة يوسف بدأ الاهتمام عندي بأن تكون مراحل القصة عبارة عن مجموعة من الذرات التي تشد القارئ ، ثم حدث تأثير آخر في حقبة الخمسينيات ، فقد التقيت بمجموعة من كتاب السيناريو الأمريكيين ، وطلبوا المساعدة في كتابة سيناريو فيلم اسمه (عبد الله الكبير) عن حياة شخصية تشبه شخصية الملك فاروق مع ثورة يوليو ، في أثناء هذا العمل المشترك كانوا يتحدثون معي عن ضرورة أن تعتمد المعالجة السينمائية على أسلوب

الانتقال من ذروة الى ذروة ، بطريقة تحتفظ باهتمام المشاهد ، ومازلت أذكر من أحاديثهم معي : « أكتب على هذا النحو : شخص يسرق ياقوتة بليون جنيه ، ثم يضعها في جيب شخص لا يدري عنها شيئا ، ثم اجعل هذا الشخص الذي يحمل الياقوتة في جيبه يفعل أي شيء ، وتأكد آنذاك أن كل الناس سوف يهتمون بما يفعله هذا الشخص ، ومهما يكن ما يفعله ، لأنك وضعت بذرة الاهتمام بسلوكه منذ البداية .

كانت تلك طريقتهم في الحديث عن أهمية المحافظة على اهتمام المشاهد ، وطبعاً كل كاتب يسعى الى ذلك بطريقته الخاصة ، وأذكر أيضاً في نفس الحقبة أنني نشرت حديثاً في آخر ساعة سنة ١٩٥٤ ، أجريته مع الكاتب الروائي الانجليزي « سمرست موم » وكان وقتها في ذروة مجده الأدبي ، ومن كلماته التي لا أزال أذكرها في هذا الحديث : الرواية أولاً وثانياً وعاشراً رواية أحداث تشد انتباه القارئ .

هذه بعض المؤثرات البارزة القديمة التي أسهمت في تكوين فكري عن طريقة بناء الرواية ، وربما بعد ذلك اثرت المهنة ، سواء في التحقيق أو الصحافة على انضاج هذا الأسلوب أو هذه الطريقة .

بذور الرجل الذي فقد ظله

● قبل أن تترك هذه النقطة تماماً دعني أذكرك بما أشرت اليه في بداية هذا الحديث ، من أنه كانت في بعض قصصك القصيرة المبكرة بذور لرواية « الرجل الذي فقد ظله » ، فلقد كنا نظن دائماً أنك تأثرت في تقنياتها برباعية الاسكندرية « لداريل » أو أنها مهنة المحقق الذي يرى الواقعة الواحدة دائماً من وجهات نظر متعددة بتعدد الشخصيات التي عاشت التجربة الواحدة .

- هذه فرصة أيضاً لأقول لك انني لم أقرأ رباعية « داريل » الشهيرة عن الاسكندرية . . . وان كنت أؤكد هنا ما سبق أن قلته من أن مهنة المحقق بلا شك قد أثرت في طريقة اقترابي من الحقيقة وبلورتها في

● وجهها لوجه : فتحي غانم

القارئ سمة نفسية غالبية تتردد كالنغمة الأساسية مع هذه الشخصيات « البراءة الذكية » وأعني بالبراءة شيئا غير السذاجة ، أو قلة الخبرة ، بل أعني درجة من صفاء العقل ونزاهة التفكير ، والقدرة على رؤية الحقائق بعيدا عن تحيزات الأهواء والأوهام الذاتية .

ودائما تستفز هذه البراءة تحيزات الآخرين ، ربما لأنها تكشف هذه التحيزات وتصطدم بها ، فتحارب وتتهم ، وتدخل في صراعات لا تنتهي ، ما معنى وجود سيطرة هذا الجانب في هذه الشخصية التي يرى البعض انها تمثلك شخصا ؟ أو ربما على الأقل جانباً منك ؟

- حقيقة هذه الشخصية فرضت نفسها على فرضا من خلال نوع من التربية المثالية التي تعرضت لها في طفولتي ، لقد فرض على أن أكون الطفل الطيب المثالي ، ولقد صوّرت جوانب من هذه الشخصية في علاقة « يوسف منصور » بزميل له في المدرسة اسمه « أنفش » ، وقد خرج « أنفش » هذا مع يوسف منصور الى ميدان باب الحديد وعرض عليه أن يدخل أول سيجارة .

ولقد عانيت الكثير في طفولتي وشبابي بسبب هذه التربية ، فلقد كنت أتعرض دائما لسوء الفهم من جانب الأصدقاء ، يفهمون امتناعي عن المشاركة لهم في هو الشباب وعيته ، على أنه نوع من التعالي أو العبط أو البلاهة ، أو عدم الرغبة في الانتماء لطبقتهم .

وكان البعض يرى أنه لا سبيل لاثبات صداقتنا الا بأن نتبادل الشتائم ونشترك في نفس السلوك ، ولم يكن من السهل أن أتجاهل تأثير هذه المرحلة ، ولعلها ساعدتني في مراحل تالية على أن أدرك الكثير من أنواع سوء التفاهم البشري الذي ينجم عن تحيز الأفراد والجماعات لأهوائهم أو لأوضاعهم الخاصة .

وضرورة الوصول الى درجة من الموضوعية ، وربما لهذا صلة بالحياد المطلوب للكاتب الذي بدأت بالحديث عنه ، والقدرة والرغبة في ادراك معطيات التجربة الواقعية بشكل موضوعي .

مجموعة قصص « سور حديد مدبب » قصة قديمة كتبها قبل أن أكتب أيا من أعمال الروائية هي قصة « غروب شمس » وهي تستعرض عدة لقطات لعدة شخصيات ، وهي تمارس حياتها المعتادة في لحظة غروب الشمس التي تشكل الاطار الزمني للقصة ، كما يشكل شاطئ البحر الاطار المكاني لها .

الشخصية الأولى في القصة فتاة انفصل أبوها عن أمها ، وتعرض حياتها لاضطرابات عاطفية كبيرة ، الفتاة تسبح في مياه البحر في لحظة الغروب ، ومع الوهن تتعرض لمشاعر يائسة ، تجعلها تحس برغبة في الغرق ، وتكاد تستسلم لهذه الرغبة ، في اللحظة ذاتها أستاذ في علم الآثار يتمشى على الشاطئ مع صديق له ، ويحدثه عن معنى غروب الشمس عند قدماء المصريين ، وكيف أنها تقوم بنقل أرواح الموتى الى العالم الآخر .

في الوقت نفسه صاحب مقهى يوناني يقف على باب المقهى ، ينتظر الزبائن الذين يبدأ توافدهم على مقهاه كل ليلة بعد غروب الشمس ، لتدب الحياة في المقهى ... الخ ... الخ .

والبنت تكاد تغرق ولا أحد من هؤلاء يشعر بها ، وأود أن أشير هنا أيضا الى أن هذا النوع من البناء القصصي الذي ظهر عندي في فترة مبكرة ويقوم على النقلات السريعة ، يربط تنوع الايقاع فيه في القصة الواحدة مع تنوع الشخصية والموقف . . فمثلا في قصة « خضرة البرسيم » تجد ثلاثة إيقاعات مختلفة مثل الحركات المختلفة في السيمفونية الواحدة ، فهناك الجملة السريعة في بعض أجزاء القصة . ثم الجملة الطويلة في جزء آخر ، ثم الجملة المركبة في جزء آخر . . وقد تطور هذا الاتجاه بوضوح في « الرجل الذي فقد ظله » فالإيقاع في الجزء الثالث الذي بطله ناجي « وتدور أحداثه في باريس ، يتميز بأنه إيقاع سريع حديث ، بخلاف الإيقاع مع « مبروك » الفتاة الريفية الذي يتسم بالبطء والهدوء

البراءة الذكية

● في شخصية « علياء في المدينة » سيناريو تلفزيوني كما في شخصية « يوسف منصور » التي ظهرت في العديد من رواياتك بنفس الاسم ، يلاحظ

الأمم المتحدة العربية

بقلم : سليم سحاب*

تبدو الموسيقى العربية للكثيرين وكأنها نقيض للموسيقى الأوروبية الكلاسيكية .
وبأننا أمام أحد طريقتين : إما الاتجاه « للعالمية » عبر البوابة الأوروبية ، أو البقاء ضمن
الأطر الشرقية المعروفة لدينا منذ زمن بعيد . . فهل من بدائل أخرى ؟

أصحاب الألحان الرائجة حماهيريا ، الى مادة متداولة في الثقافة الشعبية ، أبرز ما فيها - للأسف - انتشار ذلك الاعتقاد الخاطئ انتشارا شعبيا واسعا ، بأن الموسيقى العربية التي لا تستعير آفاق الهارمونية الأوروبية هي موسيقى متخلفة ، بعيدة عن التفكير الموسيقي ، وبالتالي فإن معيار التطور العلمي لأي إنتاج موسيقي عربي معاصر ، هو مدى اقترابه أو عدم اقترابه من صيغ الهارمونية الأوروبية .
ان هذا الرأي الشائع خديعة علمية مكشوفة ،

كان يمكن لموضوع علاقة الهارمونية الأوروبية بالموسيقى العربية أن يظل أسبردوائر المؤتمرات الموسيقية المتخصصة ، والأبحاث الموسيقية الأكاديمية ، لولا أن هذا الموضوع انتقل منذ مدة طويلة من الحيز النظري الى الحيز العملي ، ليس فقط عبر محاولات كثيرة لتطبيق قواعد الهارمونية الأوروبية (البدائية والمتعمقة) في شتى مجالات الموسيقى العربية ، بل ان المسألة تحولت ، بطروحاتها النظرية وتجاربها العملية على يد عدد كبير من الملحنين

* اختصاصي موسيقى من القطر اللبناني ، حاصل على ماجستير في الموسيقى ومحضر لرسالة الدكتوراة ، رئيس فرقة الموسيقى العربية .

سببها ، بالإضافة الى عقد النقص أمام الغرب ، التي تشمل كثيرا من نواحي حياتنا السياسية والثقافية ، عدم التعمق الكافي في التعرف العلمي بكل الأعماق النظرية للهارموني الأوروبية من جهة ، وللمقومات النظرية للمقامات العربية ومكوناتها من جهة أخرى . ان عقد النقص أمام العلم الأوروبي شوشت كثيرا احتمالات الاستفادة من العلوم الموسيقية الأوروبية ، فأصبح استعمال « الكليشيهات » الهارمونية الطابع المشترك لكل من أراد استعمال الهارموني في التوزيع الموسيقي ، دون الأخذ بالحسبان أن الهارموني الأوروبية وضعت لتلائم طبيعة اللحن الأوروبي ، البعيد كل البعد عن طبيعة اللحن العربي .

تعدد الأصوات

كيف ظهر تعدد الأصوات في الموسيقى ؟ المعروف أن أول نشاط موسيقي قام به الانسان هو الغناء ، فهو النشاط الموسيقي الوحيد الذي لا يحتاج الى تصنيع آلة موسيقية ، فآلة الغناء هي الخنجرة ، والمعروف تاريخيا أن التصنيع ظهر كنشاط انساني بعد مدة طويلة من ظهور المجتمعات الانسانية البدائية ، أما ظهور الغناء المتعدد الأصوات فتقول نظرية موسيقية أوروبية ، ان سببه قد يكون ظهور النشاط الغنائي الجماعي ، واذا لم يكن الغناء الفردي مشكلة لأن المغني كان يختار الطبقة المريحة والمناسبة لصوته ، فان الغناء الجماعي خلق مشكلة كبيرة هي عدم ملاءمة الطبقة الواحدة لجميع الأصوات المشتركة في الغناء ، من هنا ظهر النشاز ، أي الخروج عن اللحن لعدم امكان الغناء الصحيح ، ونلاحظ الظاهرة نفسها حين نسمع غناء مجموعة غير مدربة من الأطفال ، ومع الوقت اتجه النشاط الموسيقي الغنائي نحو تنظيم الأصوات الناشئة في الغناء الجماعي ، الخارجة عن اللحن الأحادي الأساسي ، والاستفادة من اختلاف طبقات الأصوات المؤدية ، وهكذا ظهر حسب هذه النظرية الموسيقية تعدد الأصوات في الغناء الجماعي ، هذه الظاهرة تفتشت في الموسيقى الشعبية لدى شعوب أوروبا وإفريقيا ، كشعب الكونغو مثلا ، وغيره من الشعوب الإفريقية . ويلاحظ عدم انتشارها عند الشعوب الشرقية .

وربما كان السبب في عدم وجود النشاز في الغناء في

الشرق هو أن الشعوب الشرقية عرفت الآلات الموسيقية ، وتفننت في صناعتها قبل ظهور هذه الآلات وصناعتها في أوروبا بمدة طويلة جدا تقدر ببضعة آلاف من السنين . فأصبح النشاط الموسيقي عند شعوب الشرق مقسما بين الغناء والعزف ومصاحبة الغناء ، فيما انحصر النشاط الموسيقي في أوروبا القديمة وإفريقيا بالغناء فقط لعدم ظهور الآلات الموسيقية لمدة طويلة ، فيما عدا الآلات الإيقاعية في إفريقيا . لذا تطور الغناء عند هذه الشعوب حتى وصل الى تعدد الأصوات .

وهنا لابد من الحديث عن بعض النظريات الموسيقية لتنجلي الرؤية : ان اللغة الجديدة ، الهارمونية ، التي احتلت مكان « البوليفونيا » ، اخذت مع الوقت تشكل نظاما مستقلا من العلاقات الداخلية بين درجات السلم الموسيقي الواحد « توناليتي » وأصبح في وسط محور هذه العلاقات علاقة الدرجة الرابعة بالثالثة هبوطا ، وعلاقة الدرجة السابعة بالثامنة صعودا .

هذه العلاقات أوجدت مع الوقت نظاما صارما للتحرك النغمي . إن في اللحن الأساسي أو في التجانسات اللحنية الهارمونية ، وسمي هذا النظام : الوظيفة الهارمونية ، وظهرت الوظيفة الهارمونية الأساسية في النظام الهارموني الكلاسيكي الغربي المبني على التتابع النغمي التالي : الدرجة الأولى - الرابعة - الخامسة - الأولى . وفيما كانت العلاقة مهمة في البدء في التجانسات العمودية فقط ، أصبحت فيما بعد مهمة أيضا في اللحن الأفقي ، فأصبح من الضروري في الغناء أو العزف ، لدى أداء الدرجة الرابعة ، أن تكون متوترة ومشدودة نحو الدرجة الثالثة هبوطا بما يذكرك بهذه العلاقة ، كذلك الدرجة السابعة وأداؤها مشدودة صعودا نحو الدرجة الثامنة ، جواب الدرجة الأساسية في السلم الموسيقي ، وبذلك تأتي السابعة متوترة لتوقها الى الحل ، أي الى الاستراحة على أساس السلم الموسيقي ، لذا صنفنا الدرجة الرابعة على رأس الأصوات غير الثابتة ، وسميت السابعة بالحساس حسب النظريات الموسيقية الفرنسية ، وبالصوت الجاذب أو القائد بنظريات موسيقية أخرى .

اذا عدنا الى النظام الهارموني وحللناه ، نرى أهمية

قفلة موشح « ملا الكاسات » لمحمد عثمان أو قفلات دور « أحب اشوفك » لمحمد عبدالوهاب .

وتلخيصا للفوارق النظرية بين السلم الموسيقي الغربي والمقام الشرقي نقول ان في السلم الموسيقي الأوروبي درجتين تتقاسمان تجاذب باقي درجات السلم : الثالثة لجذب الدرجات نزولا من خلال الرابعة ، والأولى أو جوابها ، لجذب الدرجات صعودا من خلال السابعة (الحساس) ، وفي المقام الشرقي درجة واحدة تشكل محور التجاذب الوحيد ، وهي الدرجة الأولى الأساسية أو جوابها في المقام .

ولكن هل هذه الفروقات « البسيطة » على ما يبدو تكفي لأن تكون فوارق مبدئية تحول دون استعمال الهارموني الأوروبية الكلاسيكية في الموسيقى العربية ؟ أم أنها « حجة » فقط يتخذها « المتعصبون » للموسيقا العربية « صد » الموسيقى الأوروبية والعلم الأوروبي ؟

السلم الموسيقي والمقام

في سنة ١٩٥٨ ظهر كتاب للموسيقي النمساوي ، اليوغوسلافي المولد والأمريكي الجنسية رودولف ريتي تحت عنوان المقامية ، اللامقامية والمقامية الشاملة وفي الطبعة الثانية سنة ١٩٦٢ ظهر تحت عنوان جديد : « السلم الموسيقي في الموسيقى المعاصرة » . وقد ورد في هذا الكتاب مقطع في منتهى الخطورة فيما يتعلق بالفوارق المبدئية بين السلم الموسيقي الأوروبي الكلاسيكي ، وبين السلم الموسيقي الشرقي ، نوره حرقيا نظرا لأهميته ولارتباطه الشديد بموضوعنا :

« . . . منذ نحو مائة عام اصطدم الموسيقيون الأوروبيون الذين وجهوا اهتمامهم الى الألحان الشرقية « الغربية » ، بواقع صاعق لا شك فيه : ان هذه الألحان المذكورة لم تكن في غنى عن المصاحبة الهارمونية وحسب ، بل انها كانت تقاوم هذه الهارمونية . وقد باءت بالفشل الذريع كل المحاولات لجعل هذه الألحان مقبولة للأذن الأوروبية ، أو الباسها هارمونيا جميلة ، أو سكبها في القوالب الهارمونية المستعملة ، وقد ظهرت استحالة ذلك تقنيا بدون تغيير أصوات هذه الألحان ، أو بدون تغيير الجملة اللحنية ، وكان أي تغيير يشوه طبيعة اللحن ، نازعا عنه جماله ولونه الخاص ، ونزيد على ذلك ، كما علمنا تاريخ الموسيقى ، أن الألحان ذات الطابع

ظهور العلاقة اللحنية بين الدرجة الرابعة والثالثة هبوطا والسابعة والثامنة صعودا ، وهذا ما يثبت ان السلم الموسيقي الأوروبي (توناليتي) سبك سبكا لكي يتلاءم مع الوظيفة الهارمونية : أولى - رابعة - خامسة - أولى . هذه الوظيفة الهارمونية أصبحت الهيكل الذي قامت عليه المدرسة الأوروبية الكلاسيكية ، وما لحقها حتى القرن العشرين ، وبلغ هذا النظام الوظائف الهارموني حدا من الصرامة جعل أي خروج على هذا التسلسل التجانسي هرطقة موسيقية ، وأعظم هذه الهرطقات استعمال تجانس الدرجة الرابعة بعد تجانس الدرجة الخامسة بدلا من العكس .

ومع ترسيخ اللغة الموسيقية الجديدة التي استحدثتها الوظائف الهارمونية ، أصبح اللحن القريب من الطابع الشعبي الصرف يتعارض مع اللغة الجديدة ، من هنا أصبحت الحاجة ملحة لاستحداث نظام لحن جديد ، يتناسب مع اللغة الهارمونية الجديدة ، فكان ظهور السلم الموسيقي الأوروبي الحديث « توناليتي » ، ولن أسميها مقاما ، وذلك للفارق النظري الكبير بينهما كما سنرى لاحقا .

السلم الشرقي

ماذا عن السلم الموسيقي القديم ؟ هل اختفى من الاستعمال الموسيقي ؟ كلا ! انه السلم الموسيقي للموسيقا الشعبية في كل العالم ، وهو أساس الموسيقى الشرقية وبالأذات الموسيقى العربية ، محور اهتمامنا ، فما هو الطابع الأساسي للمقامات الشرقية عموما والعربية خصوصا ، وهل فيها علاقات خاصة بين درجاتها ؟ نعم ، هناك علاقة مهمة تشكل التركيب الأساسي للمقامات الشرقية ، وتتلخص في علاقة جميع درجات المقام من جهة والدرجة الأساسية للمقام من جهة ثانية ، أي أن الدرجة الأساسية تشكل نقطة الثقل والجذب في المقام الذي تؤول اليه كل الدرجات الأخرى ، وهذا ما يفسر أهمية القفلة في الموسيقى العربية . فهي تشكل المحطة الأساسية في صلب الملحنين أو الغناء أو التقاسيم ، ولندكر قفلة « ياريتني عمري ما حبيت » من أغنية أم كلثوم « أنا في انتظارك » أو قفلة موشح « وجهك مشرق بالأنوار » أو

● الموسيقى العربية و « الهارموني »

الموسيقية ، بينما اضطر الموسيقيون الأوروبيون الكلاسيكيون الى ذلك ، كي يتلاءم السلم الموسيقي الميلودي للألحان الشعبية المستعملة في موسيقاهم مع النظام الهارموني الكلاسيكي الذي كان سائدا ، وعلى رأس هؤلاء بيتهوفن ، والأمثلة على ذلك بالعشرات ، خصوصا في سمفونيته السادسة المعروفة بالريفية ، حيث تغيرت كل الألحان الشعبية المستعملة فيها على كثرتها ، لتتلاءم مع النظام الهارموني المستعمل لمعالجة هذه الألحان ، واللحن الشعبي الوحيد في هذه السمفونية الذي لم يخضع الى التغير الميلودي هو لحن رقصة الفلاحين في الحركة الثالثة ، قبل العاصفة وذلك لأنه استعمل بدون أية معالجة هارمونية وقد استخدمه لحنيا فقط . وفي مثال موح آخر فان علينكا ، مؤسس المدرسة الموسيقية الروسية القومية الكلاسيكية بعد عودته من دراسته في ايطاليا وألمانيا ، وكتابه سمفونيته « تاراس بولبا » وهي السمفونية الروسية الأولى ، على أساس ألحان شعبية روسية جمعها لهذا الهدف ، مزق سمفونيته هذه بالرغم من الألحان الشعبية ، كونه وجد ان الهارموني الكلاسيكية الأوروبية ، التي استخدمها ، لم تنسجم مع الألحان الروسية الشعبية التي عالجتها ، كذلك لم يتقيد شوبان ، عبقرى الهارموني ، بالوظيفة الهارمونية الكلاسيكية في معالجته للألحان الشعبية البولونية التي استعملها في موسيقاه ، وهذا هو السبب الذي جعل عبقرى آخر مثل فرانز ليست لا يفهم عبقرية شوبان .

بكلام آخر : ان الهارموني الأوروبية الكلاسيكية التي كانت تستخدم لمعالجة الألحان المبنية على « السلم الموسيقي الهارموني » لم تصلح لمعالجة الألحان ذات الطابع الشعبي الروسي والبولوني المبنية على « السلم الموسيقي اللحني » .

ان اللغة الهارمونية الجديدة لمعالجة المادة الموسيقية ذات الطابع اللحني وصلت الى ذروتها في الموسيقى الروسية مع موسورغسكي ، وقد لفتت لغته الهارمونية الجديدة نظر أهم موسيقيي فرنسا المخضرمين ، كلود ديبوسي الذي ما ان عاد الى فرنسا من روسيا ، بعهد ان تعرف الى موسيقا موسورغسكي ، حتى انكب على دراسة الموسيقى الشعبية الفرنسية القديمة ، فوجد الدلائل نفسها : ان الموسيقى الشعبية الفرنسية مبنية على « السلم الموسيقي

الهارموني ، لم تكن تستطيع أن تشارك في صنع الحضارة الموسيقية قبل ظهور التفكير الموسيقي الهارموني (الهارموني بالذات وليس البوليفوني) ، ولذلك سمينا هذا النوع من السلالم الموسيقية : « السلم الموسيقي الهارموني » .

وبالتالي فاذا كانت الألحان الدائرة حول المركز المقامي تقاوم الهارموني في حال ، وفي حال آخر لا تنتشر موسيقيا الا اذا اقترنت بالهارموني ، فان هذه الظاهرة تشكل دليلا لا يقبل الجدل على وجود نوعين من السلالم الموسيقية ، ومن المنطقي حتما ان الموسيقى ذات الطابع اللحني اختفت من الاستعمال في فترة سيطرة التفكير الهارموني في الموسيقى ، وكان من المحال ظهور هذه الموسيقى اللحنية الطابع قبل « الخلاص » من السلم الموسيقي الهارموني ، وقد حدث هذا في نهاية القرن الماضي مع ظهور الموسيقى المعاصرة ، ومن الطبيعي أن فكرة « السلم الموسيقي اللحني » ظهرت عندئذ » .

وهذا دليل موسيقي من جهة أخرى على الاختلاف الجذري بين طبيعة « السلم الموسيقي الهارموني » في الموسيقى الكلاسيكية الأوروبية ، الذي لا تقوم له قائمة بدون الهارموني الكلاسيكية ، وبين « السلم الموسيقي اللحني » في الموسيقى الشعبية أينما وجدت .

اللحني والهارموني

عند تصنيف الموسيقى الأوروبية سين كلاسيكية ورومانسية ومعاصرة ، لم يخطر على بال احد أن يسأل لماذا لم تدخل الى هذه التصنيفات الأسماء التالية : غلينكا ، تشايكوفسكي ، بورودين ، ريمسكي - كورساكوف ، موسورغسكي ورحمانينوف ، وهل هم كلاسيكيون أم رومانسيون ؟ ان هؤلاء العباقرة الذين يشكلون المدرسة القومية الروسية الكلاسيكية لدى استعمالهم الألحان الروسية الشعبية ، أولدى كتابتهم ألحانا تحتوي على جميع خصائص الموسيقى الشعبية الروسية ، لم يعالجوا هذه الألحان بالهارموني الكلاسيكية الأوروبية ، بل أوجدوا لغة هارمونية جديدة تتلاءم مع « السلم الموسيقي اللحني » للموسيقى الروسية ، لذلك لم يضطر الموسيقيون الروس الكبار الى تغيير التركيب اللحني للألحان الشعبية الروسية التي استعملوها في أعمالهم

العباقرة دون سواهم في الامساك بجميع أسرار السكك والتلويحات المقيامة ، وطرق العودة الى المقام الأساسي ، وهذه السكك المقيامة تقوم بدور التلويح الموسيقي والانفعالي الذي تؤديه الهارموني في الموسيقى الأوروبية . اما اذا اردنا استعمال الهارموني ، فان ادخال « كليشيات » هارمونية كلاسيكية أوروبية درسناها في سنة أو سنتين هو استخفاف كبير بالموسيقى العربية ، وبالموسيقى الغربية والهارموني الغربية .

ان المدرسة الموسيقية الروسية ابدعت لغة هارمونية جديدة تتناسب مع طبيعة اللحن الروسي ، ولم تلق بالا الى ان هذه اللغة الهارمونية تتناقض مع قواعد الهارموني الأوروبية الغربية الكلاسيكية أو لا تتناقض ، فلمهم عندهم كان الا تتناقض مع روح الموسيقى الروسية ، كذلك ديبوسي الذي استنبط بعد دراسته للحن الشعبي الفرنسي هارموني جديدة تتناسب مع اللحن الفرنسي ، وشوبان البولوني عند معالجته للحن الشعبي البولوني ، ان الكسل وعدم المعرفة وعقد النقص يجعل بعض موسيقيينا يستعملون القليل الذي تعلموه مفضلين « سكب » ألحان في هذه القوالب الهارمونية الجاهزة ، على الجهد لاستنباط لغة هارمونية جديدة من طبيعة اللحن العربي نفسه .

هذا للأسف ما يحصل ، ولذلك نرى اللحن العربي وبالأخص اللبناني الحالي مشوها ، وفي أحسن أحواله يشبه الألحان الأوروبية في الأغنيات الخفيفة الراقصة . فهل هذه هي طريقة تطوير الموسيقى العربية ؟ وهل هكذا ندخل « التفكير الموسيقي » الى الموسيقى العربية ، كما يحلوا لبعض الموسيقيين الجدد أن يقولوا ، وكأنها كانت خلوا من التفكير قبلهم ؟

نحن مع تطوير موسيقانا ، ولكن التطوير يجب أن ينبع من طبيعتها ، فإذا أردناها هارموني ، فليكن ! ولكن شرط أن نستنبطها من طبيعة موسيقانا ، فنكون خاضعة لطبيعة اللحن العربي ، وتساعد على تعميقه ، لا أن يخضع اللحن العربي لها فتشوه معالمة . ولنا مثال كبير على الجهد في استنباط الهارموني من طبيعة اللحن العربي كتجربتي زكي ناصيف وتوفيق الباشا في لبنان .

□

اللحني » ، ولا يجوز اطلاقا استعمال الهارموني الكلاسيكية في معالجتها . من هنا ظهرت المدرسة الجديدة في الموسيقى الفرنسية : الموسيقى الانطباعية ، وما تبعها ، المبنية أساسا على لغة هارمونية جديدة ، وضعت خصيصا لتلائم مع طابع الموسيقى القومية الفرنسية .

الموسيقى العربية والهارموني

ابن الموسيقى العربية من كل هذه المشكلات ؟ ان الموسيقى العربية موسيقا لحنية قائمة على المقام ، وهذا ما أسماه ريبي « السلم الموسيقي اللحني » . وعليه فان استعمال الهارموني الأوروبية الكلاسيكية لا يتناسب مطلقا مع طبيعة هذه الموسيقى اللحنية ، ويشهد على ذلك غلينكا وموسورغسكي وشوبان وديبوسي وبيتهوفن مدعومين بنظرية ريبي في كتابه المذكور ، ان استعمال هذه الهارموني بدون تغيير يؤدي حتما ، كما حصل في التجربة التي رواها ريبي ، الى ضرورة تغيير الطبيعة الداخلية للحن العربي ، حتى تتناسب مع التسلسل الهارموني الكلاسيكي . ويلاحظ ذلك في تراث الاخوين رحباني اللذين أخذت ألحانها مع الوقت وبسبب الابتعاد عن الخط اللحني الاصيل تفقد من جمالها وعرض جملها اللحنية ، وأخذت تتعد شيئا فشيئا عن المقامات العربية لأن هاجسها الأول وهو الهارموني والتوزيع الأوركسترا لا يلائمها ، الى أن اختفت من أعمالها هذه المقامات العربية . . . ومع الوقت أتبعَت الحملة اللحنية بالتوزيع الغربي ، فراحت تنغرب الى ان فقدت نهائيا صلتها بالتراث العربي ، واتجهت نهائيا الى الغرب

البديل الموسيقي

إن الموسيقى العربية وجدت لنفسها طريقة تطوير لا تقل عن الهارموني خلقا وابداعا وتلويح ، هذه الطريقة هي ما نسميها في التلحين العربي « السكك المقيامة » ، المبنية على طبيعة اللحن العربي المرتكز على « السلم المقامي اللحني » . وليس صدفة أن الفارق بين عباقرة التلحين العرب من جهة ، وبين الملحنين العاديين من جهة أخرى هو بشكل أساسي تعمق

دلالات الرمز في رواية

الأرض المحتلة

بقلم : وليد أبوبكر

عندما يحكم اغلاق الطوق ويرى الكاتب نفسه وجها لوجه أمام القمع والمصادرة

فإنه يلجأ مهتديا بحسه الوطني الثاقب الى طرق وأساليب جديدة في التعبير - منها الرمز .

فما هي دلالات الرمز في روايات الكتاب الذين دهمتهم هجمة الاحتلال في أرض

فلسطين العربية . . وأبوا الا أن يقارعوها بكل ما يستطيعون ؟

الأسماء ، بحيث توحى بسلوكها داخل العمل الروائي ، وقد برع اميل حبيبي في هذا الاختيار وتميز ، فكان سعيد أبو النحس « المتشائل » في الرواية التي حملت اسمه يتصرف بما يشبه الاسم تفاؤلا وتشاؤما ، وكذلك كان إسم (يعاد) واسم (باقية) واسم (ولاء) في الرواية ذاتها ، أما في (إخطية) فان اسم عباس يقدم اختصارا لتاريخ حيفا ، المدينة ، وجغرافيتها ، بينما يوحي اسم (سرورة) بالارتفاع والقدرة على البقا ويقدم اسم (إخطية) دلالات مركبة .

الايحاء

لكن رواية الأرض المحتلة لم تكتف بالاسم الموحى - وانما تجاوزته الى بعض الشخصيات الموحية أيضا ، وإذا

في رواية (إخطية) يقول اميل حبيبي ان محامي الشعب حنا نقارة هو الذي علمهم فضل الرمز على المزج ، حين كان يهمس للفلاح المهذد بمصادرة أرضه بكلمة واحدة : « خشَب » ، فيفهم الفلاح أن عليه أن يصمت ، وأن يترك الحديث للمحامي ، بينما لا يفهم الضباط والضابطون شيئا ، وان تظاهروا بغير ذلك .

وإذا كانت للرمز فضيلة في الحياة العامة ، فإن من الطبيعي أن يلجأ اليه الأدب ، حين يكتب في ظل قهر الاحتلال ، وبالرغم من أن الاتجاه الواقعي هو الأسلوب الذي اختارته رواية الأرض المحتلة في معظم انتاجاتها ، الا أن ذلك لم يمنع الكتاب من اللجوء الى الرمز الجزئي ، أو الشامل ، في بعض الأحيان ، داخل هذا الاطار الواقعي ، ولعل أبسط ما يمكن أن يشار اليه في هذا المجال هو اختيار كثير من

وليكشف عن أن كساحه كان مؤقتا ، كما كان موته مؤقتا كذلك ، فهذا الكساح جاء بسبب ضعف الامكانيات ، بعد أن استخدم الناس بنادقهم القديمة في مواجهة القوة الكبيرة للعدو ، فنفذ الرصاص ، ولم يعد بإمكانهم أن يقاوموا ، فكان الكساح فترة استعداد للمواجهة القادمة .

والكساح - أو العجر - ليس غريبا على الرواية في الأرض المحتلة ، عندما نتحدث عن فترة ما بعد الاحتلال ، بالنسبة لمن ظلوا في أراضيهم ، وجدوا أنفسهم أقلية مسحوقة فيها ، فوالدة (حنية) التي بقيت في الأرض بعد رحيل ابتها عجز ، في (سداسية الأيام الستة) وأم الروابكيا ، في الرواية نفسها بقيت مع والدتها الكسيح ، وشغلت نفسها بجمع ذكريات من رحلوا والمحافظة عليها ، حتى تظل لها حصصيتها ، ولا تندمج مع الاحتلال .

وفد حاءت (اخطية) استكمالا لرمز الكساح ، وعميقا كيرا للدور الذي قامت به أم الروابكيا لدى اميل حبيبي في روايته السابقة ، ثم اتسعت دلالات الرمز عبرها ، حتى أصبحت من أبرر الشخصيات الموحية في رواية الأرض المحتلة ، لتؤكد دور العرب هناك ، في الصمود الواعي في مواجهة الاحتلال ، انتظارا للخطوة التالية التي توصلت الى الكفاح المسلح عند حسن الكسيح .

مفاتيح « اخطية »

وتبدو شخصية (اخطية) محيرة في دلالاتها أول الامر ، ولكن الرواية تقدم مفاتيح هذه الشخصية بالتدريج ، حتى تبدو واضحة في النهاية .

اخطية هي سليمة عائلة عبدالكريم ، العائلة الوحيدة التي نجت من مذبحه الصليبيين في حيفا ، فكان سكان حيفا بعد ذلك هم نسلها ، والعائلة من أصول قروية فلاحية ، وقد حافظت على طباعها الأساسية في الجراة ، كما تعرفت على الفكر الذي يناسبها ، فانسجت بالوعي .

وكانت (اخطية) - الفتاة - محبوبة الجميع ، يتذكرونها الجميع لأنهم عشقوها حتى التلف ، وتلقوا رسائلها وتمنوا أن يلتقوا بها وجها لوجه ، كما فعل أحدهم ، عندما قفزت من شرفة بيتها فوق صخرة

كان رجل الفضاء في (المنشائل) رمز للقناعات الغيبية مثلا ، يلجأ اليه الانسان حين تضيق به السبل أو يعجز عن مواجهة واقعة ، أو يجبن عن ذلك ، فان رجل الفضاء هذا ، مع المزيد من الوعي ، وتجربة النضال يتحول في (اخطية) الى فلسطيني مسلح ملثم ، ينشر الرعب في كيان العدو ويشل حركته ، حتى وان كان الأمر كله متوهما ، حتى « الرامزور » اشارة المرور - التي تقع عندها « جلطة المواصلات » تتحول الى شيء موح ، يشير الى أن حركة العدو لا يمكنها ظرف واقعي ، وانما هي طارئة ، قابلة لأن تتوقف في أية لحظة ، رغم استمرار عمل « الرامزور » - التقنية .

وحين يتحدث اميل حبيبي عن « الكثر » الذي يملكه بعض الناس ، فيصبحون قادرين على مواجهة العدو ، يكشف بعد ذلك انه كنز من الفكر أو الوعي ، الذي يخلق الثقة في قلوب الناس وينزع منها الخوف ، أما سميح القاسم في روايته (الى الجحيم أيها الليلك) فقد اختار اللون ليوحى به ، فالليلك ، الذي ارتدته صديقة طفولته (دنيا) - وهو اسم موح - يوم هاجرت بعد أن هدم العدو بيت أهلها ، صار يعني عدم وضوح أي لون آخر . لأنه يغمر كل الألوان ، وهذا الوضوح لم يعد الى العين الا بعد أن وصح فعل المقاومة في عملياتها ضد العدو ، ودنيا هي ذلك الجزء من شعب فلسطين الذي هاجر تحت ضغط العدو ، وعودة الوضوح الى الألوان تعني عودة دنيا ، وعودة الوحدة الى الشعب العربي الفلسطيني الذي تشتت ، أو عودة الأمل في هذه الوحدة - التحرير .

الكسيح يتنفذ

والفدائي الذي أعاد وضوح الألوان في الرواية هو (حسن الكسيح) الذي يرمز الى من بقي من شعب فلسطين على أرضها تحت نير الاحتلال ، وهو صبي كسيح ، تركه الراحلون الى الشمال ، بين يدي من لم يرحلوا ، وقد وجد أول الأمر عناية تامة من الكبار ، بردت حتى انتهت ، فأخذ الصغار ، يتلهون به ، تعذبا الى دويجة الموت ، لكن حسن الكسيح ينهض في آخر الرواية لينفذ عملية فدائية في وسط تل أبيب ،

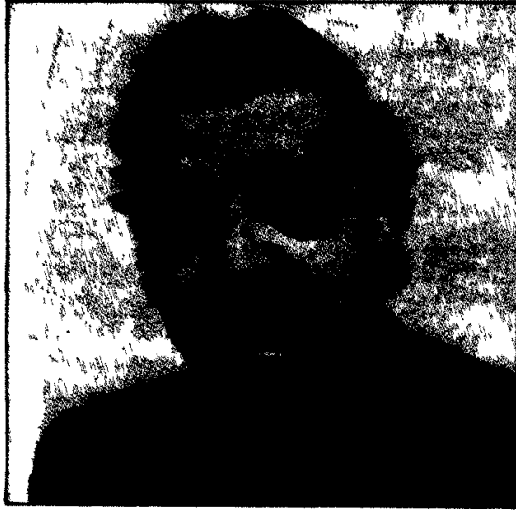


(اخطفة) اليها ، الا انهم جميعا جنوا عن ذلك .
لكن العائلة كانت تضم من يعرف سر
(اخطفة) ، وكانت (سرورة) نموذجاً لشجاعة هذه
العائلة وجراتها ووعيها ، وقد حاولت أن تدفع الناس
الى الارتفاع - الى قمة شجرة الكينا ، حيث تبلغ ،
حتى يعرفوا سر (اخطفة) ، لكن أحدا منهم لم يملك
الجرأة ليصل ، وحين سقطت (سرورة) وهي تحاول
أن تحت الناس ، عن الشجرة (في النكبة) ، أقفر
من اهله شارع عباس ، وذهبت سرورة واخوتها ، كما
ذهبت من قبلها ، (اخطفة) ولم يبق أمام الناس ، الا
ما هو خاص بهم ، خصوصية تأنيب الضمير حين
ينادون (اخطفة) بصوت يقطع القلوب ، وهو البكاء
على ما فات ، بسبب النكبة .

هل ذهبت (اخطفة) حقاً ؟ هل ماتت مع الموت
الجرىء السرورة أم هاجرت كما هاجر أحد أخوتها
يلف ويدور : شارع عباس طرابلس الشام ، بيروت
السعودية ، نيويورك ، ديترويت ، شارع عباس ،
حيننا ، في النهاية الى العودة ، ولكن كزائر امريكاني
رفض الامريكيين - ابنته وزوجته - لأنها أصرت على
أن اسم فلسطين هو « ازرائيل » ؟ عبد الله
عبد الكريم هو الجزء الذي هاجر من شعب
فلسطين ، وحمل فصار الاجانب يعطونه اسم
« اباس » . وقد قاده الحنين للزيارة ، لكن عودته

من صحور الدراجات الصحرية ، قبل نصف قرن من
الرمس ، فتلقاها بذراعيه (لتكشف الرواية بعد ذلك
أن الذي تلقاها كان أخاها) .

ثم اختفت (اخطفة) سنة ، وفجأة عادت ،
وظهرت وهي تحمل طفلة بين يديها ، وسحابة من
حزن في عينيها ، فقيل انها ارتكبت (الخطيئة) ولدت
سفاحاً ، (اخطفة) اذن هي جزء من حيفا ، من أهل
حيفا ، وهي بالنسبة لجزء من فلسطين وأهل
فلسطين ، وكانت قفرتها - حين نحسب - عام
١٩٣٥ ، فهل عنت تلك القفزة ، ثورة عز الدين
القسام ، الريفية التي تشكلت في حيفا ، قبل أن
تنفجر وتذوى بسرعة ، في أحراش يعبد ؟ وهل كانت
الطفلة ، التي حملتها ، وعادت تنادي الناس بعينيها
الحزيتين ، هي ثورة ١٩٣٦ ، التي اجهضت ؟ أم أن
كل شيء كان مرتبطاً بخشخشة الانتداب ، وعواء
ثعالب الهجرة اليهودية المكثفة التي شهدتها حيفا ،
كميناء ، والتي تمت عبر « الهبل الشامل » الذي خلق
لدى الجميع هما ممضاً حط عليهم من « موجة بحر
عالية ، طلعت على شارعنا طلوع الموت الفجائي ولم
تنحسر ، وذلك حين ترامت الى مسامعنا خشخشة أو
عواء عن فضيحة ألت بالفتاة - المليحة - التي سطا
عليها غول » . ورغم أن جميع من أحبوا - وهم
الجميع - تمنوا أن يعترفوا بأبوة الطفلة ليردوا شرف



أميل حبيبي

شاب ، عبر الوسائل السرية المتاحة ، من مشط عظمي أو خشبي يفوح برائحة بيتية ، الى أعشاش برج الحمام الزاجل في صندوق « شوكلاتة » صغير .
واخطية اذن شيء يتوهج ، فكر يتوهج ، حس ثوري مقاوم يتوهج ، فلا تخبوه النار ، ويحتاج الى علو في الوعي - حتى يصل الانسان الى سره ، فمن أراد أن يعرف سر (اخطية) عليه ان يرتفع ويعلو ، وهذا الحس الثوري يحمى من الخوف من صياح الثعالب الجائعة في الليل ، وهو الذي يصير على عدم الاندماج مع واقع العدو ، فلا يزور ولا يزار ، ولا يسلم ولا يسلم عليه ، ويحافظ على غرفة الجلوس - الوطن - أنيقة نظيفة ، تعبق برائحة الماضي ، كما لو أن نوافذها لم تفتح على الشمس أربعين عاما . وهي مكتظة بالمقاعد ذات الطراز العتيق ، وقد علتها مسحة من غبار ، لو كان النسيان غبارا لكانه .
(اخطية) اذن - كاسم - ليست من الخطأ الذي ارتكبه ولا الخطيئة ، ولكنها اللفظة الشعبية التي تعني (الحرام) ، لأن هذه المرأة قد ظلمت عندما اتهمت بالخطيئة .

ولقد ظلم ذلك الجزء الذي بقي من شعبنا في الأرض ، بعد الاحتلال الأول ، واتهم بأنه لم يرفع في وجه العدو صوتا ، ثم ثبت أن هذا الاتهام ظالم ، فمجرد الصمود فوق الأرض الغنى حلم الصهيونية « بدولة عبرية نقية » . كما أن هذا الصمود كان يناضل بالوسائل المتاحة ، عبر الأحزاب والنقابات

كزائر ، لم تدم ، فقد تم ترحيله ، ومنع من دخوله الى البلاد - زائرا - مرة أخرى ، وإن كانت هذه العودة قد كشفت حينئذ لايموت - الى الوطن ، والى (اخطية) ، فأين كانت (اخطية) كل هذا الوقت ؟

لقد ظلت (اخطية) في حيفا ، (باقية) في أقدم البيوت في شارع عباس ، أقدم الشوارع ، وكان وجودها واضحا وضوح الشيء الذي يتعود عليه الانسان ، حتى لا يعود يراه ، الا اذا وقف وتأمل وانتبه جيدا الى مرور عامل الزمن « وكان فطينا » حتى يستطيع أن « يرى »

هذه الفطنة ، وبعد أن أصبح عامل الزمن هو الحياة كلها ، أوصلت الى التعرف على ما هو واضح أصلا ، وما يراه كل يوم ، ممثلا بواحد من أبناء عبدالكريم ، يسمى بالرجل البندول ، لأنه يرسم خريطة حيفا مرتين كل يوم ، وهو يطوف شوارعها خارجا من منزله عائدا اليه ، لا يزار ، ولا يسلم فلا يسلم عليه .

وهو طويل القامة ، منتصب الفرع ، لم يتغير ، ولم يؤثر عليه مرور الزمن . وهو من أب مسلم ، وأم نصرانية ، يرتدي الثياب السوداء الرسمية . ويستقبل من رأى وهو يقول : ستة وثلاثون عاما وأنا انتظر هذه الصحوة ، هي بالطبع عمر الاحتلال .

الباقى

ان (عبدالرحمن عبدالكريم) هو الجزء الباقي من العائلة ، وهو أكثر أفرادها وعيا ، فقد كان عاملا - كسائق قطار - وكان يتحدث عن ثورات التحرر في العالم ، وتكشف الرواية انه كان يحمل رسائل (اخطية) الى من يحبونها بعد أن ذهبت (سرورة) ، قبل ان تبلغ قصر الغول ، وتحمر (اخطية) من سجنها ، وقد أصر على البقاء في الأرض ، بانتظار هذه الصحوة ، وقد امتزجت فيه الأديان ، وتشبع بروح الثورة .

فمن تكون (اخطية) بالنسبة له ؟
أشارت الرواية الى انها كانت « أختا » له يرعاها ، حتى صارت « سمراء ملتربة » كما النار ، في حلة حمراء ، ثوب من الحرير الأحمر اللعوب ، وقلادة حول عنقها من العقيق الأحمر ، فصارت معشوقة كل انسان ، وصارت ترسل الرسائل الى كل

● دلالات الرموز في رواية الأرض المحتلة .

(دنيا) ولكن من موقف نقيض ، فدنيا رحلت وخطية بقيت ، فهما - معا توحيان بالحنين المتبادل بين من هاجر ومن بقي ، لكن (خطية) ، وهي النقيض التام لشخصية (سعيد أبي النحس المتشائل) موقعا وسلوكا الى الحد الذي يمكن اعتبار رسالة كل منهما واحدة ، حين ندرك أن ما تريد رواية (الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل) أن توصله ، هو عكس ما يفعله المتشائل تماما ، وهو يتفق مع رسالة خطية ، خصوصا وان المتشائل في حقيقة سلوكه قد اختار أن يتكيف مع واقع الاحتلال حتى وان كان « الحق » قد أوصله الى هذا الاختيار : فهو متسلل الى الوطن بعد هجرة ، ومع عشيق اخته بالتحديد ، وقد تسلل مع توصية من والده للعدو ، حتى يكمل الولد رسالة الوالد في التعاون مع هذا العدو وكل ما واجهه المتشائل بعد ذلك ، كان نتيجة لاختياره الأحمق ، ومحصلته - بالطبع - تدين هذا الاختيار وتدعو الى نقيضه ، فالمتشائل - كشخصية في الرواية ، يشير الى ذلك الجزء الانتهازي والغبي في الوقت ذاته ، من الشعب العربي الذي يعيش تحت الاحتلال ، وهو الجزء الذي يحاول أن يتكيف ، وأن يندمج منطلقا في قناعاته من غياب الوعي ، الذي يظل غائبا حتى يكشف أن ظروف الاحتلال وممارساته ، لاتسمح حتى لمثل هذه النوعية بأن تبقى ، فان يبقى الانسان في وطنه ، يعني أن يملك الاصرار ، والوعي مثل خطية وعبدالرحمن عبدالكريم راعيها ومحركها ، وان يعود الانسان الى وطنه ، لا يعني ان يعود متسللا وهو يحمل توصية ، ولا أن يعود زائرا ، وانما ان يعود عبر طريق التحرير ، وقد خطت (خطية) سطورا أول في صفحة التحرير كان الوعي ملخصه ، كما خطت (الى الجحيم أيها الليلك) سطورا أخيرا ، كان الكفاح المسلح ملخصه ، وهذا ما فعلته سحر خليفة بأسلوب واقعي في روايتها (الصبار وعباد الشمس) وما فعله سليمان ناطور في روايته (أنت القاتل يا شيخ) وما فعله غريب عسقلاني في (الطوق) وعلى الخليلي في (المفاتيح تدور في الاقفال) وهو ما يفعله كل الأدب ، في الأرض المحتلة شعرا ، وقصة قصيرة ، ومقالة ومسرحية ، سواء واجه العدو بشكل واقعي أو توسل بالرمز الى هذه المواجهة . □

وما لديها من قدرات على المقاومة ، وما لديها من صحن حافظت على اللغة العربية ، حتى اعترف سميح القاسم في روايته (الصورة الأخيرة في الألبوم) ، بأنه لولا الجيل الطليعي الواعي الذي بقي من شعب فلسطين في الأرض المحتلة لتشرد كل من بقي ، وبأن السلطة غاضبة لأن الناس ، مع هذه الطليعة ، وبها رفضوا الرحيل والمذلة ، وتصدوا لمؤامرات التهديد والتجهيل .

هذه الطليعة ، الفكرية ، التي تمثلها (خطية) ، لماذا اختفت كل هذا الوقت ؟

تجيب الرواية بوضوح : ولدت خطية كسيحا . لكن هذا الكساح كان مختلفا عن كساح حسن الكسيح ، الذي تخلى الناس عنه دون مبرر فني أو موضوعي - بينما ظلت سرورة عند (خطية) تحمل صوتها الى الناس - وهي خرساء - وظل عبدالرحمن عبدالكريم يتحرك بدلا منها ، (خطية) اذن ، هي ذلك الفكر الثوري الواثق من نفسه الذي لا يخاف من عدوه ، حتى وان خاف بعض الناس من الارتباط به ، من تلك الظواهر الكونية التي وجدت ليعترف الناس بها ، لا ان تعترف بهم دغلة في الكرمل ، استعصت على اسفلت عليقة مجدورة في جنينة عباس ، باحة منسية وراء فرن وادي السناس . . نصب قبر منسي في حيفا العتيقة . . لاتذهب عنكم ، بل تذهبون عنها ، ولا يأخذونها منكم ، بل يأخذونكم منها ، يرحلون عنها ولا يعودون ، أما هي ، فلا تعود ، لانها لا ترحل .

خطية هي الثابت من الارض ، الثابت من الفكر ، الذي لايتنازل عن القاعدة ، ويسمح بالاجتهاد ، من خلالها حتى تكون لكل انسان خطيته التي يسأل عنها كيف تركها ولماذا تركها ، وكيف حالها من بعده ، في وحدة وطنية ، لها ثوابتها الفكرية التي تتفق عليها ، ولها هدفها الذي تعرف طريقه .

تواصل الأجيال

خطية ، اذن تلخيص لكل الشخصيات الموحية في الروايات التي صدرت من قبل ، توازيا مع هذه الشخصيات ، واستكمالا لها ، أو تناقضا معها ، وهي حسن الكسيح ، محسنا بالوعي ، وهي أم الروبالبكيا واعية لما تفعل ، وهي اجمل البنات ، مثل

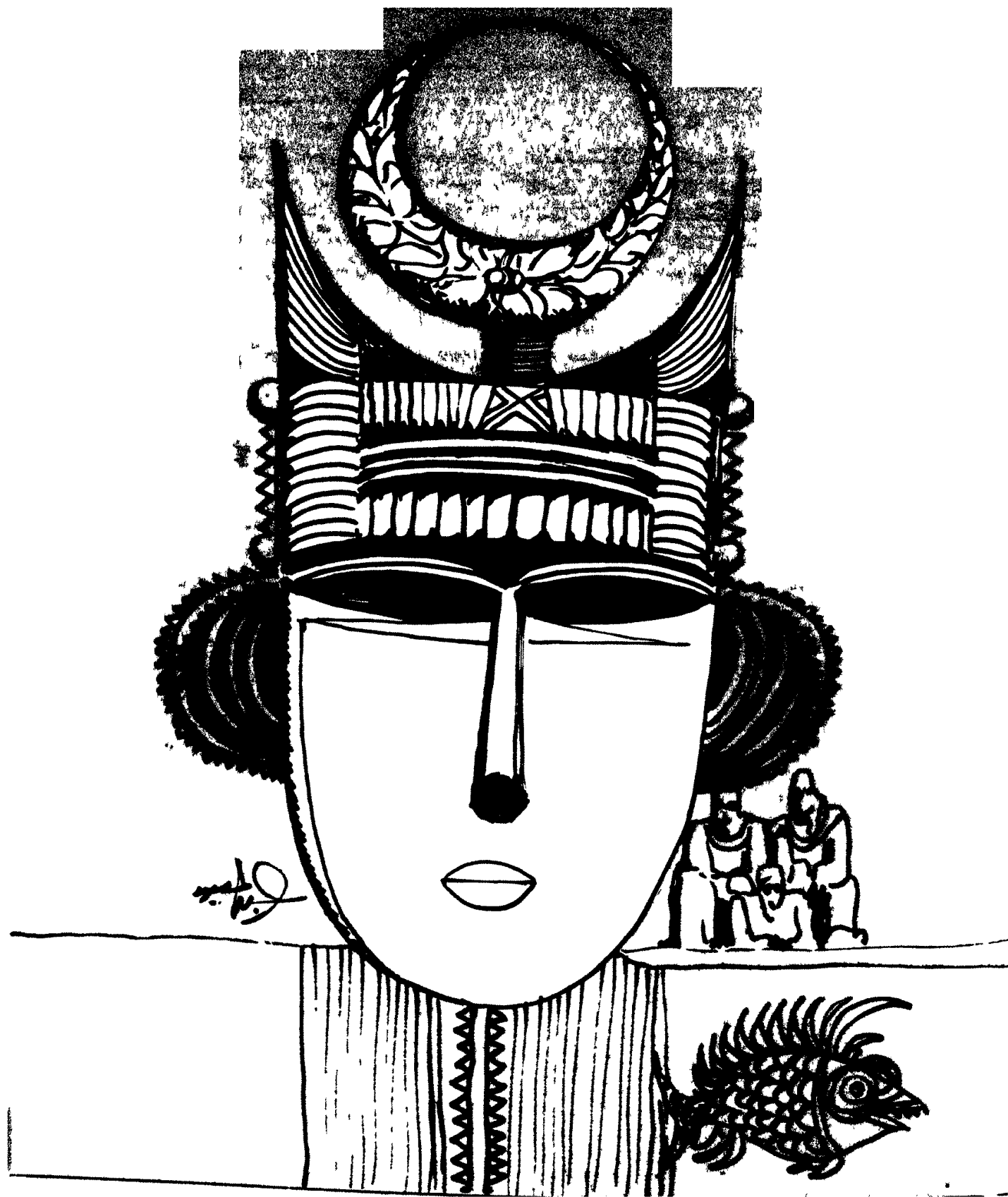
ملحة عن الكاتب : لويس بورخيس

لويس بورخيس : ولد في ١٨٩٩ ، وهو من أشهر كتاب أمريكا اللاتينية المعاصرين ، وقد ألف عددا غير قليل من المجموعات الشعرية والقصصية التي نال عليها عدة جوائز أدبية ، وهو معروف بأسلوبه الغرائبي ، ضمن اطار الواقعية السحرية التي يشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية ، والكاتب متأثر بأسلوب ألف ليلة وليلة ، وبالثقافة العربية الاسلامية عموما ، ولعل القصة التالية تفصح عن شيء من هذا التأثير .

لويس بورخيس : ولد في ١٨٩٩ ، وهو من أشهر كتاب أمريكا اللاتينية المعاصرين ، وقد ألف عددا غير قليل من المجموعات الشعرية والقصصية التي نال عليها عدة جوائز أدبية ، وهو معروف بأسلوبه الغرائبي ، ضمن اطار الواقعية السحرية التي يشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية ، والكاتب متأثر بأسلوب ألف ليلة وليلة ، وبالثقافة العربية الاسلامية عموما ، ولعل القصة التالية تفصح عن شيء من هذا التأثير .



لويس بورخيس : ولد في ١٨٩٩ ، وهو من أشهر كتاب أمريكا اللاتينية المعاصرين ، وقد ألف عددا غير قليل من المجموعات الشعرية والقصصية التي نال عليها عدة جوائز أدبية ، وهو معروف بأسلوبه الغرائبي ، ضمن اطار الواقعية السحرية التي يشتهر بها كتاب أمريكا اللاتينية ، والكاتب متأثر بأسلوب ألف ليلة وليلة ، وبالثقافة العربية الاسلامية عموما ، ولعل القصة التالية تفصح عن شيء من هذا التأثير .



الكلاسيكيون : فالعرب هي الشوك الجذاب للرجال ، والدم هو الماء الذي ينهل منه السيف ، البحر له آهته ، والسحب تنبأ بالمستقبل ، لقد جسدت بحذقك : القافية ، الجناس ، السجع ، النسب ، روائع علم البيان ، التنويع الحكيم في بحور الشعر ، وإذا كان لأدب إيرلندا كله أن يخفى من الوجود - لا قدر الله - فإن بالامكان إعادة بنائه دون خسارة ، انطلاقاً من قصيدتك الكلاسيكية هذه ، لذلك سيقوم ثلاثون ناسخاً بنسخها اثنتي عشرة مرة لكل واحد منهم .

خيم صمت ، ثم أكمل الملك : « كل هذا حسن ، ومع ذلك فلم يحدث شيء ، فالدم لم يجر سريعا في عروقنا ، لم تبحث أيدنا عن القوس ، ولم يعثر الشحوب أحدا منا ، لم يطلق أحد صيحة حرب ، ولم يعرض أحد صدره لمواجهة القراصنة ، قبل نفاذ العام أيها الشاعر ، سوف نصفق لقصيدة أخرى ، وتعبيرا عن استحساننا فإليك هذه المرأة المصنوعة من الفضة » .

قال الشاعر : « ان اتقدم بالشكر » ، ولقد وعيت المطلوب » .

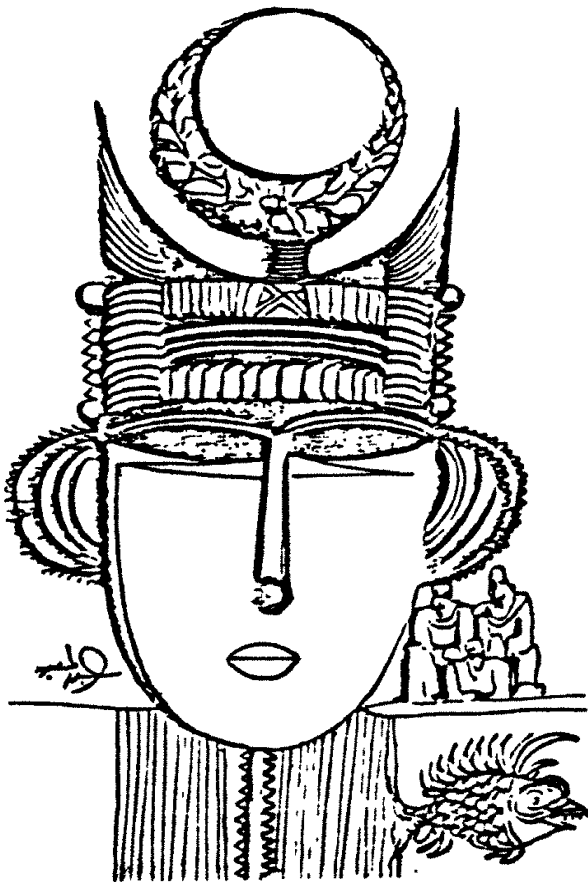
امتلكت سر الكتابة التي نحمي قننا من العيون غير المتبصرة لجمهور الدهماء ، أستطيع أن أعبد الحب ، لصوص الأنعام ، الأسفار والحروب ، أعرف الانساب الأسطورية لكل البيوت الفخمة في إيرلندا ، أستحوذ على معرفة بعلم التنجيم الشرعي ، الرياضيات ، القانون الكنسي ، وأهنة النباتات ، هزمت المنافسين في مباريات عامة ، أصبحت حاذقا في الهجاء الذي يوهن الجلد ، ويؤدي إلى الإصابة بالجذام ، أعرف كيف أستخدم السيف ببراعة ، وقد أثبت ذلك في معركتك التي خضتها ، أنا أجهل شيئا واحدا فقط : كيف أشكرك على هذا الشرف الذي منحته لي .

والملك الذي يتعب بسهولة من الخطابات الطويلة ، وبخاصة خطابات الآخرين ، قال باختصار : « أعرف هذه الأشياء تماما ، لقد نبئت أن العنديل غنى حديثا في إنجلترا ، وحينما ينقضي فصل الأمطار والثلوج ، ويعود العنديل من أصقاعه الجنوبية ، فسوف تغني مدائحك الشعرية أمام رجال البلاط ومدرسة الشعراء ، ان أمتحك سنة كاملة ، عليك أن تهذب كل كلمة وكل حرف ، واعلم منذ الآن ، أن الجائزة لن تكون أقل من مألوف عادت الملكية ، ولا من ليالي الهامك المسهدة » .

قال الشاعر الذي كان من رجال البلاط أيضا : « يامليكي ، أية جائزة أعظم من رؤية وجهك ؟؟ ثم انحنى وانسحب خارجا وفي ذهنه يتلامح بيت أو بيتان من الشعر .

حينما انتهت السنة - وفي زمن الأوبئة والثورات - جاء الشاعر بقصيدته ، ألقاها ببطء وثقة ، دون أن ينظر إلى الورق الذي بين يديه ، أبدى الملك استحسانه للقصيدة بايماء من رأسه ، والجميع قلدوا الملك ، حتى أولئك الذين احتشدوا على الأبواب ، دون أن يحق لهم التذوق بكلمة واحدة ، أخيرا تكلم الملك وقال :

« ان أقبل صنيعك ، فهو انتصار آخر ، لقد أعطيت لكل كلمة معناها الحقيقي ، ولكل اسم وصفه الذي أسبغه عليه قدامى الشعراء ، وفي قصيدتك كلها لا توجد صورة واحدة لم يطرقتها



● المرأة والقناع .

- ألم تدون القصيدة ؟
 أجاب الشاعر بحزن :
 - نعم ، لعله سيدنا المسيح هو الذي منعني من ذلك .
 - هل بوسعك أن تردها .
 - لا أجرؤ .
 قال الملك :
 - ان امنحك الشجاعة التي تحتاجها لذلك .
 تلا الشاعر القصيدة التي يتألف من سطر واحد ، دون أن يجازف في ترديدها بصوت عال ، تمنع الشاعر ومليكه فيها كما لو أنها صلاة سرية ، أو فعل من أفعال التجديف ، امتلا الملك بالرهبة وخور العزيمة ، كما هو حال الشاعر ، وتبادل الاثنان النظرات وهما شاحبان . قال الملك :
 - في شبابي أبهرت نحو مغرب الشمس ، وفي احدي الجزر رأيت كلاب الصيد ذات اللون الفضي تجلب الموت للخنازير البرية ذات اللون الذهبي ، وفي جزيرة أخرى اغتدينا عبر التفاح السحري ، في جزيرة ثالثة رأيت أسوارا من نار ، وفي الجزيرة الابعد من كل الجزر الأخرى ، ثمة نهر معلق ذو قناطر ، يقطع عرض السماء ، وفي مياهه تعوم الأسماك والقوارب ، هذه كلها عجائب ، لاتقارن بقصيدتك ، فهي على نحو من الانحاء تشتمل على هذه الأشياء جميعا ، أية قوة سحرية وهبتها لك .
 قال الشاعر :
 - مع القجر استيقظت وأنا أتلفظ بكلمات لم أفهمها في البدء ، كانت تلك الكلمات قصيدة ، شعرت أنني اقترفت خطيئة ربما لن يغفرها لي الله .
 قال الملك هامسا
 - الشيء الذي نشترك فيه نحن الاثنان الآن : هو خطيئة إدراكنا للجمال ، وهو الهبة التي يحرم منها الرجال ، الآن يتوجب علينا أن نكفر عن ذلك . أعطيتك مرآة وقناعا ذهبيا . وهذه هي هديتي الثالثة والأخيرة اليك .
 وضع الملك في يد الشاعر اليمنى خنجرا .
 قتل الشاعر نفسه حالما غادر القصر ، أما الملك فقد أصبح شحاذا يتجول في طول ايرلندا وعرضها ، تلك البلاد التي كانت ذات مرة مملكته ، أما القصيدة فلم يعد الى ترديدها بتاتا . □

مضت نجوم السماء في مدارها المتألق ، غنى العندليب مرة أخرى في غابات سكسونيا ، وعاد الشاعر يتأبط قصيدته التي بدت أقصر من القصيدة السالفة ، لم يرددها من الذاكرة بل انه قرأها ، كان يادى التردد ، وقد حذف بعض المقاطع كما لو أنه هو نفسه لا يفهمها تماما ، أو لأنه لم يرغب في انتهاك حرمتها . كانت القصيدة غريبة ، لم تكن وصفا للمعركة ، بل كانت هي المعركة ، ففي تشوشها الشبيه بجو المعركة اصطرع معا : آلهة ايرلندا الوثنية ، واولئك الذين بوسعهم أن يشنوا حربا بعد مئات السنين على بداية (ايذا) الكبيرة . ولم يكن شكل القصيدة أقل غرابة : فالاسم المفرد فاعل لفعل بصيغة الجمع ، وحروف الجر تستخدم على نحو مبتذل ، الخشونة تتداخل مع العذوية ، والاستعارات مقحمة أو هكذا هي تبدو .

تبادل الملك كلمات قليلة مع رجال الأدب الذين وقفوا من حوله ، ثم قال للشاعر : « أستطيع القول ان قصيدتك الأولى كانت بجدارة خلاصة وافية لكل الأغاني التي رددتها ايرلندا ، اما هذه القصيدة فهي تفوق بل هي تجعل كل ماسبقها وكأنه لاشيء البتة ، انها مذهلة باهرة تستثير الدهشة ، سوف ينظر اليها الجاهلة بدون اكتراث ، اما المتعلمون النخبة فلن يكون موقفهم كذلك ، سوف تحفظ النسخة الوحيدة منها في علبة من العاج ، والبراع الذي دبح عملا متفوقا كهذا ، نتوقع منه عملا أكثر نبلا وشموخا » اضاف وهو يبتسم : « نحن أبناء الأسطورة ، وجدير بنا التذكر أن الرقم ثلاثة ينتصر في الأساطير » .

أكمل الملك : « تعبيرا عن استحساننا ، اليك هذا القناع الذهبي » قال الشاعر : « ان أتقدم بالشكر ، ولقد وعيت المطلوب :

حلت ذكرى المعركة مرة أخرى لاحظ حراس القصر أن الشاعر لا يتأبط قصيدته ، نظر اليه الملك في ذهول ، بدا الشاعر كأنه شخص آخر ، فلقد تغضنت ملامحه ، وتبدلت بفعل شيء آخر عدا الزمن ، بدت عيناه محدقتين نحو البعيد كما لو أنه أعمى ، توسل الشاعر أن يسمح له الملك بوضع كلمات يقولها له . غادر الخدم الحجرة ، سأل الملك :

كاي تتخلص من نظارتك



بقلم : الدكتورة سري فايز سبع العيش

معظم الانجازات الطبية الرائعة بدأت من ملاحظة بسيطة من عين فاحصة ، أو نظرية صغيرة في عقل مفكر ، فلما جُربت وحُسنت كانت شعلة لحقائق اسدل عليها الستار ، وناذرة على العالم المليء بالاسرار . وهذه احدى القصص الطبية الحديثة لفتح جراحي رائد في معالجة قصر البصر .

أمهات الكتب ومختلف المحلات والدوريات الطبية ، وتحقق لديه أن العالم الياباني ساتو كان أول من فكر بتحفيف قصر البصر عن طريق اجراء قطوع في القرنية عسر سطحها الخلفي ، ثم زاوج ذلك مع قطوع في سطح القرنية الأمامي ، وكان ذلك عام ١٩٥٠ ، عندما فكر في معالجة القرنية المخروطية جراحيا ، نظرا لصعوبة ترقيع القرنية في اليابان ، لأن الديانة لديهم تحرم نقل الأعضاء والأنسجة الانسانية ، ولأنه لم تكن العدسات اللاصقة قد وصلت في ذلك الحين لدرجة من التقنية بحيث

كان ذلك عام ١٩٧٢ عندما قدم شاب روسي  عمره ستة عشر عاما الى حراح العيون المعروف فيدوروف ، لاسعاف عينيه اللتين أصيبتا بجروح قرنية سطحية متعددة ، نتيجة تهشم زجاج نظارته الطبية وتطايرها على وجهه وعينيه إثر عراك مع أقرانه . وقد لاحظ الطبيب الأستاذ فيدوروف بعد شفاء الحروح أن قصر البصر العالمي ، الذي كان عند الفتى قبل اصابته بجروح القرنية ، قد قل كثيرا ، فأصبحت العدسة المصححة أقل قوة واخف سماكة من السابق ، فما كان من فيدوروف الا أن راجع



- العالم سابو اول من ادرك ان قطع القرنية الشعاعي
بحس قصر الصر

جراحي العيون ضدها . وترفض شركات التأمين أن
تعتبرها عملية ضرورية ، فلا تتكلف بدفع نفقاتها
الباهظة .

كيف تجري العملية

تسمى هذه العملية قطع القرنية الشعاعي لانه
يجرى على القرنية قطوع أو جروح سطحية ،
باتجاهات نصف قطرية أي مشعة عن المركز .
انها عملية بسيطة سهلة الاجراء ، لمن اكتسب
خبرة بها ولا تتطلب أكثر من تحذير موضعي سطحي
للعين ، ويجب اجراؤها تحت المجهر الجراحي لما
تتطلبه القطوع من دقة ويمكن اجراؤها في غرفة
العمليات في أحد المستشفيات أو حتى في العيادة اذا
كانت مجهزة بغرفة عمليات ومجهر جراحي عيني لأن
العملية لا تتطلب استشفاء ورفودا في المستشفى .
تقطع القرنية اما ٣٢ ، أو ١٦ أو حتى ٨ قطوع
مشعة عن منطقة مركزية دائرية حول المحور
البصري في القرنية ، تترك دون أن تطاها القطوع
بقطر يتراوح بين ٣ - ٥ ملم ، وتمتد القطوع من

يستطاع تثبيتها على القرنية المخروطية ولكن
للأسف كانت معظم عمليات قطع القرنية التي
أجراها ساتو فاشلة ، وكان نصيب العين العمى .
لأن قطع القرنية الخلفي - أي عر الطقة الطانية من
القرنية - يسب أذى للطقة الطانية المرهقة وما
يصاحب ذلك من اضطراب وتورم في القرنية ثم
تكتف فيها ، ونشوء العروق الدموية عليها ، وزوال
رقيقها

تجارب جديدة

والذي قام به فيدوروف هو أنه عدل أسلوب ساتو
بقصره قطوع القرنية على السطح الأمامي منها ، وقد
أحرى لمدة سنتين عمليات قطع القرنية السطحي على
عيون الحيوانات ، فاكسب خبرة جراحية كبرى ،
وبدأ عملياته على عيون البشر عام ١٩٧٤ .
ولقد تحلت عملية فيدوروف بوضعه أسسا
حساسة يعتمد عليها في تقدير واستقراء نتيجة العملية
الجراحية ، تعتمد على سماكة القرنية ، وصمل العلة
العينية وقطر التحدب القوي ودرجة حسر الصر .
وقد أحرى العملية لعدة آلاف من الناس ، توافدوا
عليه ويتوافدون عليه يوميا للتخلص من قصر الصر
والاستعلاء عن العدسات المصححة ، وقد استطاع
أن يحقق نتائج عالية من النجاح كما أبدى في أبحاثه ،
بحيث لا تتأثر « فلسجة » القرنية ، ولا يختل تعداد
الخلايا في الطبقة البطانية ، ولا تصيب الساحة
البصرية ، ولا تتأثر حساسية القرنية ، ولا تنقص
شفافيتها ، ولا تقل درجة المطابقة الصوتية فيها ، ولا
يختل التخطيط الكهربائي ، ولا يضطرب الوهج
كثيرا .

وفقد سنويا الى معهد العيون في موسكو عشرات
من اخصائيي العيون من انحاء العالم ، يدفعهم حب
الاستطلاع لكشف حقيقة هذه العملية ، وتعلمها
رأسا من رئيس المعهد الاستاذ الطبيب فيدوروف ،
ثم يعودون الى بلادهم ، وقد اكتسبوا خبرة ومعرفه
باجراء تلك العملية .

أما في الغرب فلا تزال عملية قطع القرنية
الشعاعي تصنف في قائمة العمليات التجريبية ، التي
لم تثبت بعد فوائدها ومضارها ، ويقف الكثير من

تصحيح قصر البصر

أما كيف تصحح هذه العتلية قصر البصر فيفسر كالتالي : أن القرنية أشبه بعدسة مقربة - أى محدبة ، فكلما ازداد تحدبها أى صغر نصف قطر انحنائها الخلفى وازداد تكورها كلما كانت قوية الانكسار والتقريب ، وأحدثت خيال الشيء المرئي في منطقة بينها وبين الشبكية ، وكانت العين حسيرة البصر ولذلك فإن احداث قطع سطحية في عمقها يؤدي الى تفلطحها وتمطط سطحها فيقل تحدبها ويزداد نصف قطر انحنائها الخلفي فتقل قدرتها الكاسرة ، ويتشكل الخيال على الشبكية أو قريبا جدا منه فيقل قصر البصر .

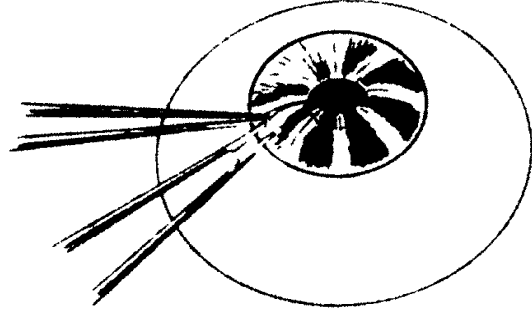
هذا ولا تزال عملية قطع القرنية الشعاعي تتراوح بين مؤيدين قلة في العالم يصرون على اجرائها ، ومنتقدين كثر يرون فيها تداخلا غير ضروري على العين الطبيعية ، يمكن الاستغناء عنه بالنظارة أو العدسة اللاصقة ، دون تعريض القرنية للجراحة ، وعلى كل فالكل متفق على عدم اجرائها لمن هم دون العشرين من العمر . ولا يجوز اجرائها للعيون المريضة المصابة بالتهابات حادة أو مزمنة أو بارتفاع ضغط العين ، أو بتكشف العدسة البلورية ، أو اذا كان هنالك أذى في الشبكية ، وهي لا تفيد في حالة القرنية المخروطية ، ولا تغني عن النظارة في قصر البصر العالي .

تبرير قطع القرنية الشعاعي :

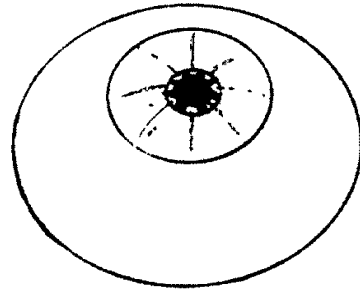
يبرر احراء هذه العملية للأسباب التالية : أسباب وظيفية ، وبصرية وتجميلية وشخصية نفسية . فالوظيفية تتعلق بطبيعة العمل ، أعمال كثيرة يتعذر فيها قبول النظارات أو لبس العدسات اللاصقة كما عند الطيارين ورجال الشرطة ورجال المطافي والحراس ، وبعض العسكريين والغواصين . وهنالك بعض حسيرو البصر الذين هم في خوف دائم أن يفقدوا نظاراتهم ، لثلا يصيبهم الضياع بدونها في حالات الحريق وحوادث السيارات ، فيمكن لهذه العملية أن تدعهم أقل اعتمادا على النظارة وأقل حسرا للبصر ، لأن هذه العملية للأسف لن تفيد كثيرا في حالات حسر البصر العالي

محيط المنطقة المركزية ، حتى قيل منطقة الحوف القرني الصليبي ، أي نهاية القرنية ، بحيث تتجه القطوع باتجاه نصف قطري ، وبأبعاد منتظمة متساوية فيما بينها ويكون عمق الجرح متناسبا مع كثافة القرنية ، فالعمق الذي يفيض به الجرح القرني يتراوح بين ٨٥٪ - ٩٥٪ من كثافة القرنية ، أي أن القطوع لا يجوز أن تكون نافذة تخترق كل طبقات القرنية ، والا فان ذلك سوف يخل بفلسجة القرنية وصفائها ودرجة سماكتها واحتوائها على الماء ويؤدي لفقدائها الكثير من البصر .

وكلما كان الجرح أعمق كانت نتيجة التصحيح أكثر ايجابية ، وكلما صغرت المنطقة المركزية البصرية استحصل على عدد أكبر من الكسيرات المصححة ، وقد وجد أيضا أن تجاوز القطوع حد الحوف القرني يقلل من ايجابية التصحيح الانكساري ، لما يرافق ذلك من تليفات ونشوء عروق دموية وحدوث آلام وتحدد في تفلطح القرنية .

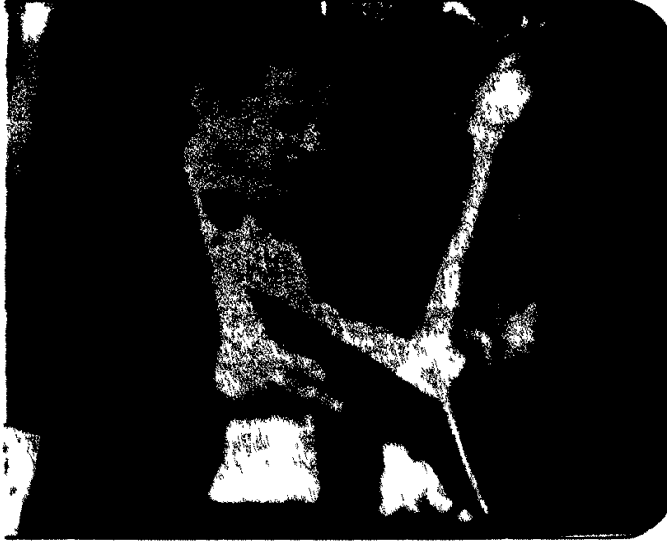


- صورة تخطيطية تبيّن شكل القرنية رأسا بعد اجراء ٨ قطوع عليها



- صورة تخطيطية تبدى ندبا طفيفا تبدو تحت المجهر

● كي تتخلص من نظارتك .



- العالم الطبيب السوفياني الاستاد فيدروف الذي روج
عملية قطع القرنية الشعاعي لمعالجة قصر البصر

العيني ، ففي الصباح يكون الضغط العيني بحدوده العليا ، فيوتر القرنية ، وتبلغ هذه غايتها من التفلطح ، وفي المساء يكون ضغط العين في حدوده الصغرى ، فتعود القرنية الى تكورها الأول ، وهكذا تصبح أكثر حسرا للبصر .

وعلى كل فتماوج الرؤية وتغيرها اليومي يخف تدريجيا ، وقد يستقر بعد عام أو عامين من اجراء العملية .

اذن فالعملية ليست مضمونة النتائج ، فهناك عدد من المعالجين بها سيعودون لاستعمال نظاراتهم ، حيث أخفقت العملية في تخليصهم منها ، وفي ذلك خيبة أمل كبرى ، ناهيك عما قد تخلفه لهم من اختلاطات حتى لو كانت طفيفة .

وأضافة لما ذكر هنالك حقيقة لا بد من اعتبارها ، وهي أن المصاب بحسر البصر البسيط يحتاج للنظارة عندما ينظر للبعيد ، ولكنه يستطيع أن يقرأ بدون نظارة عندما يقارب الأربعين ويتجاوزها الى الخمسين ، وقد يقرأ طوال حياته بدون نظارة . فاذا أجريت له تلك العملية فقد تغنيه عن لبس النظارة للرؤية البعيدة ، ولكنه سيضطر لاستعمال النظارة عند القراءة . □

الدرجات ، لان حسر البصر في تلك الحالات لايعتمد فقط على انحناء القرنية ، وانما على فرط طول المحور الأمامي الخلفي للعين ، ولما كانت درجة التبسط الناتجة عن اجراء قطوع شعاعية في القرنية محدودة بتحدد انحنائها الخلفي وسماكتها ، لذلك تتراوح درجة التصحيح عادة بين - ١,٥ الى - ٦ كسيرات ، وقد تصل الى - ٦ كسيرات ، ومع هذا فان المصاب بحسر البصر العالي يجد سعادة في انقاص درجة عجزه البصري . دون عدسات طبية .

ومع أن بعض الناس قد نجح في لبس العدسات اللاصقة التي قل أن يلاحظها الناس من حوله ، ولكن لاعتبارات نفسية شخصية يجب أن يكون حرا بلا قيد نظارة أو عدسات ، فيلجأ لطلب تلك العملية .

أما نتائج تلك العملية ففي الواقع الاحصائي العملي تبين أنه كلما كان قصر النظر قليلا كانت نتيجة العملية أفضل ، فمثلا يتوقع أن تكون نسبة النجاح (أي أن يرى المريض ٦/٦ بعد العملية) لدى ٨٥٪ ممن لديهم قصر بصر يتراوح بين - ١,٥ الى ٣ كسيرات ، وأن نسبة النجاح ٨٠٪ لمن يتراوح قصر البصر لديهم بين ٣,٢٥ الى - ٤,٥ كسيرة ، وأن نسبة النجاح هي ٥٠٪ أو دون ذلك لمن كان حسر البصر لديهم يتراوح بين - ٤,٧٥ الى - ٦ كسيرات أي كلما ازدادت درجة حسر البصر نقصت نسبة النجاح وزادت خيبة الأمل .

عراقيل العملية واختلاطاتها :

أن أكثر المعالجين بهذه العملية حظا في النجاح هم الذين يتراوح قصر البصر لديهم بين - ١,٥ الى - ٤,٥ كسيرة ، وكلما ازدادت درجة حسر البصر قلت نسبة النتيجة المتوخاة وهي مخيبة للأمال في الدرجات العالية من حسر البصر .

المزعج في هذه العملية أن المريض يعاني بعد اجرائها من الوهج الضوئي وتبعثر الضياء لفترة قد تتجاوز ستة شهور بعد العملية ، وغالبية الذين تجرى لهم هذه العملية يشكون من تغير الرؤية وتماوجها بين الصباح والمساء ، فهي قد تكون حسنة جدا في الساعات الأولى من الصباح ثم تعود فتتغير وتخفت عند المساء ، ولعل ذلك راجع لتأرجع وتماوج الضغط

قاموس العربي ض

ضريبة

العامّة للدولة ، ويقوم الممول بسداد الضريبة بصفته عضواً في المجتمع ، وعليه أن يساهم في النفقات العامة ، دون النظر إلى حساب مدى الفائدة التي تعود عليه شخصياً .

والضرائب تنقسم إلى نوعين أساسيين هما : ضرائب مباشرة أو ضرائب غير مباشرة .

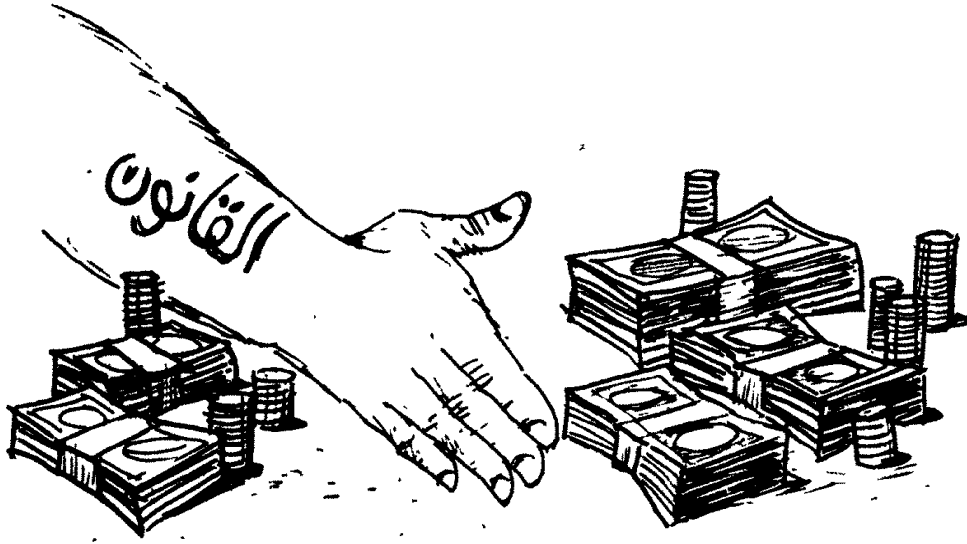
وتفرض الضرائب المباشرة على إجمالي الدخل العام للأفراد ، أو على رأس المال .

أما الضرائب غير المباشرة فتأخذ أشكالاً كثيرة ، مثل ضرائب الانتاج ، وهي تمثل نسبة مئوية من تكلفة انتاج سلعة ما (كالمسحوق) وهي تُحَصَّل عن كل ما تنتجه المنشأة من هذه السلع التي يتحمل ثمنها دائماً المستهلك : إذا أن المنتج يقوم بإضافة هذه الضريبة إلى ثمن البيع أو رسم ضريبة الاستهلاك ، أو ضريبة البيع ، وهي التي تفرض على بيع السلعة أو شرائها ، وتمثل في نسبة مئوية من الثمن ، أو في الرسوم الجمركية . . . الخ . . .

وتختلف المدارس الاقتصادية والدول بالتالي في كيفية احتساب الضريبة ، ومنشأ هذا الاختلاف هو تباین النظر إلى الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية للضريبة ، فالإقتصاديون الكلاسيكيون يرون أن الضريبة هي اسهام المواطنين في تمويل الخزنة العامة للدولة ، لتمكينها من أداء بعض الخدمات ،

عرف المجتمع الانساني الضريبة منذ فجر التاريخ ، فمع أول تجمع بشري فرض الأقوى امتيازاً ما لصالحه ، ومع تعقد شكل الحياة ونموها تطور شكل الامتياز فأصبح حيناً حصصاً عينية من الانتاج ، أو ساعات عمل بلا أجر أو نقود ، بعدما عرف المجتمع الانساني النقود وشاع استعمالها ، وبعد أن نشأت الدولة واستقر معناها واستقرت ، استمر فرض الضريبة حقاً مطلقاً للحاكم . . . إذ كانت هذه الضرائب جزءاً من دخل الحاكم ، وكانت سلطة الحاكم مطلقة في تحديد الضريبة زمنياً وكماً ونوعاً ، حتى استطاع البرلمان الانجليزي لأول مرة في تاريخ الفكر الانساني انتزاع حق فرض الضريبة من الملك ، وقصر هذا الحق على البرلمان (ممثلي الشعب) واستقرت عنده قاعدة دستورية ، وهي لاضريبة بلا قانون ، وأصبح فرض الضريبة محكوماً بقواعد وقوانين وأسباب .

والضريبة ببساطة هي مبلغ من المال ، محدد سلفاً وبشكل معلّن وعام ، يسدده الممول إلى السلطة العامة ، ممثلة في أحد أجهزتها التي تحددها هي ، وتصبح بذلك هي صاحبة الحق الوحيدة في تحصيل الضريبة ، وتمثل مجموع الضرائب في مجتمع ما مورد من الموارد السيادية للدولة (التي تحصلها إعمالاً بسيادتها) ويستخدم هذا المورد في تغطية النفقات



حساب ما يسمى بالضريبة التصاعدية ، وهي تعني زيادة معدل الضريبة ، كلما ارتفع حجم الدخل الخاضع للضريبة .

ومن الضرائب التي تطبق في معظم دول العالم بالإضافة الى ماسبق ، ما يعرف بضريبة التركات ، وتستند هذه الضريبة الى تقرير قانوني شرعه وزير مالية بريطانيا في عام ١٨٩٤ ، بقوله ان الطبيعة لا تمنح الفرد على امواله الا حقا مؤقتا محدودا بحياته ، وتحصل غالبية النظم الاقتصادية رسما بمثل نسبة مئوية من اجمالي تركة المتوفى ، قبل أن يتم توزيع الأنصبة على الورثة ، ويمثل هذا الخصم دين امتياز ، مثله مثل الضرائب العامة التي يكون المتوفى قد تأخر في سدادها ، فتخصم من اجمالي التركة وفاء لحق الدولة والمجتمع الذي عمل فيه ، وأتاح له الفرصة للثراء والرخاء . □

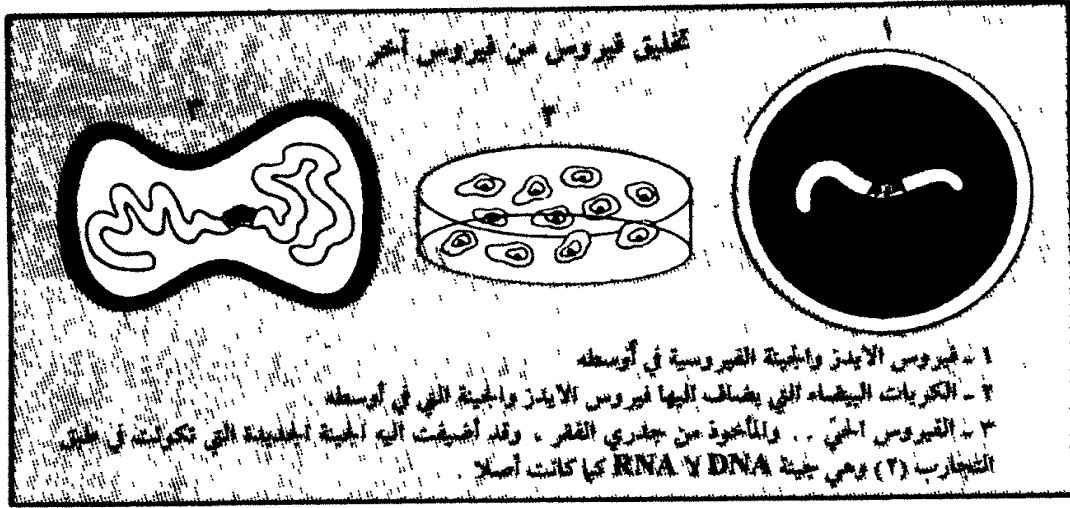
لاتجاهات الحديثة ترى أن الضرائب هي واحدة من أدوات الدولة في إعادة توزيع الدخل القومي . . وهكذا تختلف وجهات النظر ، وبالتالي يتباين الأسلوب الضريبي المتبع .

ولكن النظم جميعها تتفق على أنه هناك - فيما يتعلق بضريبة الدخل - حد للاعفاء وهذا الحد ليس مطلقا ولا موحدا لجميع طبقات وفتات المجتمع ، فالقاعدة أن يكبر حد الاعفاء كلما صغر الدخل . . ويتحدد هذا الحد وفق أسعار تكلفة المعيشة ونفقات الحياة في المتوسط العام للأسعار ، وفي اطار شرائح الدخل . . فقال مثلا ان ضريبة الدخل تحصل من الدخل التي تتراوح بين ١٢٠٠ - ٣٠٠٠ دينار في العام بنسبة كذا . . فان معنى هذا أن كل الذين يتقاضون راتبا شهريا مائة دينار فأقل ، يتمتعون بإعفاء نهائي من ضريبة الدخل . . ومن هذه القاعدة العامة في الحساب الضريبي تم استخلاص طريقة

يقول الشعبي : جالسوا العلماء ، فإتكم إن أحسستم حمدوكم ، وإن أسأتم تأولوا لكم وعذروكم ، وإن أخطأتم لم يعنفوكم ، وإن جهلتم علموكم ، وإن شهدوا لكم نفعوكم .

جالسوا العلماء

144



تشبه الكبير بفيروس الأيدز .. شكلاً ومسلماً ، فانه لا يبطش بخلايا المناعة (خلايا T المساعدة) كما يفعل نظيره القتال ..

وتحلت هذه الخاصة في التحرة التي أحروها على بضع عشرات من الناس ، حميين على وجه التحديد .. فقد لقح هؤلاء بالفيروس الجديد .. ولكن أعراض الأيدز لم تظهر على أى منهم ، ومضت سنة أو تزيد والقائمون بالتجربة وهم من الفريق الأول ، يواصلون مراقبة الذين كانوا موضع تلك التجربة .. بل ثلاثين منهم بالتدقيق .. فلم يظهر على أى من هؤلاء أى من أعراض المرض الثالث .

من هنا أصبح لدى العلماء أصل في أن يطوروا من الفيروس الجديد لقاحاً فعالاً ، يكسب الإنسان مناعة ضد الإصابة بمرض الأيدز الخطير .. وثمة أمل آخر هو أن يتمكنوا بواسطة الهندسة البيولوجية من اكتشاف الجينة (gene) المسؤولة عن أضرار الأيدز ، فيتمكنوا بالتالي من عزل تلك الجينة عن الفيروس ، والقضاء بذلك على مرض الأيدز نهائياً ... □

السغاليات .. وتبين ان هذا الفيروس الوثيق الصلة بفيروس الأيدز هو أوثق صلة بفيروس آخر يصيب بعض القرود الافريقية ، وقال الدكتور (اسكس) الذى أعلن اكتشافه هذا في اجتماع للجمعية الأمريكية للميكروبيولوجيا في واشنطن .. قال نعتقد أننا اكتشفنا الحلقة المفقودة التي تسلط الأصواء على ما حمى أو غمص من أصل فيروس الأيدز .. وأما الاكتشاف الثانى ، وهو يعزى الى باحثين فرنسيين وبرتغاليين ، فيبدو كبير الشبه بالاكتشاف الأول .. فقد أعلن الدكتور لوك مونتاجنير أحد الباحثين في معهد باستور في باريس ... أعلن في المؤتمر الخاص الذى عقد في لشبونة بالبرتغال انه تسنى له اكتشاف الحلقة المفقودة في قصة تطور فيروس الأيدز .. وان الفيروس المكتشف أقرب إلى فيروس (سيميان) منه الى فيروس الأيدز البشرى المعروف ... أما عينات الدم التي عثروا فيها على الفيروس الجديد ، فكانت في دم رجلين من أهالى غينيا - بساو في أواسط افريقيا القريبة من السنغال . ولعل أهم ما يذكر عن فيروس الأيدز الجديد هو أنه غير فتاك ، فبالرغم من

مكتشفون ومخترعون

ألفرد نوبل : مخترع الديناميت

١٨٣٣ - ١٨٩٦

سنة ١٨٥٩ ، حين أفلس المصنع وتوقف عن العمل .

وما أسرع ما أسس ألفرد مصنعا خاصا به لانتاج النيتروجلسرين ، ذلك المتفجر السائل الخطير ، ولكن مصنعه هذا مالبت أن تفجر سنة ١٨٦٤ ، فأودى بحياة خمس رجال ، كان أحدهم أخوه الأصغر أميل . وحاول ألفرد انشاء مصنع ثان بلا طائل فقد حالت السلطات السويدية دون ذلك ، نظرا لخطورة صنع المتفجر السائل ، وحماية لأرواح المواطنين . وماكانت تلك الاجراءات لتمنع ألفرد عن ممارسة صناعة استأثرت بجوارحه ، حتى أصبح يعرف بالعالم المجنون . فواصل أعماله وتجاربه على مركب عائم في مياه النهر ، وركز تجاربه تلك على ايجاد طريقة تضمن « ترويض » النيتروجلسرين والتحكم فيه . فقد كان المادة الخطرة المتمردة التي استعصت على كل محاولات السيطرة ، وتسببت بكثير من القتل والدمار ، منذ أن اكتشفها العالم الايطالي (سوبريرو) سنة ١٨٤٦

ومضت ثلاث سنوات قبل أن ينبجح نوبل صدقة بتحويل سيولة النيتروجلسرين الى جفاف ، والحد بذلك من مخاطرها أو القضاء عليها . . .

وقد تسنى له ذلك بواسطة مادة تغليف عضوية . كالقمح النباتي مثلا ، تمتص النيتروجلسرين ولا تسمح بتفجيرها الا بواسطة كبسولة خاصة بتفجيرها ، ورحبت السلطات المعنية في بريطانيا والولايات المتحدة باختراع نوبل ، فسجلته له سنة ١٨٦٧ ، وسنة ١٨٦٨ على التوالي . .

ومضى نوبل في تجاربه حتى طور الجلوتين المتفجر القوي من الديناميت ، ثم صنع البالسيت المسحوق النيتروجلسريني المتفجر الفعال ، الذي لايتصاعد

كان عالم كيمياء ومهندسا ورجل صناعة . . وكان فوق ذلك كله رجل سلام . . ولعل جوائز نوبل التي توزع على المتفوقين من علماء العالم في أواخر كل عام حققت لمخترع الديناميت من الشهرة ما لم يحظ به غيره من العلماء . . .

ولد ألفرد في استكهلم في الواحد والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٣٣ ، وكان أبوه (عمانويل نوبل) مهندسا ، ومبالا الى الاختراع بالفطرة . . وقد ورث عنه ألفرد النزعة الى الابتكار ، وتشرب الكثير من مبادئ الهندسة . . وقل مثل ذلك في أحد أجداده لأمه ، أولسوف رودبك ، مكتشف الأوعية اللمفية . . فقد استلهم ألفرد ذكرى ذلك الجد العالم .

ولم يطل بقاء عائلة نوبل في استكهلم ، وقد اضطرت الى التوجه الى لينتجراد (سان بطرسبورغ في تلك الأيام) والاستقرار فيها ، وذلك بسبب أعمال الأب . . كان ذلك سنة ١٨٤٢ ، حين كان ألفرد تلميذا صغيرا ، ولم يجاوز التاسعة من العمر . . غير أنه تتلمذ على مدرسين خاصين ، ولم يعتمد على الدراسة النظامية في المدارس . . وبلغ من مواهبه وكفاءاته أن أتقن خمس لغات وأصبح عالم كيمياء وهو في السادسة عشرة من عمره ، ثم توجه الى باريس سنة ١٨٥٠ ، وأمضى فيها سنة كاملة . . قضاها في أحد مختبراتها حيث تابع دراسة الكيمياء . . .

وذهب نوبل بعد ذلك الى العالم الجديد ، الى الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث عمل تحت اشراف المهندس الأمريكي - السويدي المعروف ، جون أريكسون ، وهو الذي عهد اليه ببناء السفينة الحربية المصفحة بالحديد (مونيتور) . . وعاد بعد أربع سنوات الى بلده ، للعمل في مصنع أبيه حتى



في التحكم في مادة النيتروجلسرين (الديناميت) والسيطرة على مخاطرها ، يؤدي حتيا الى التحكم في الحروب والقضاء على أهوالها . . . ولكن نظرته الى الطبيعة البشرية وتقصيه حقيقة سلوك الدول ونواياها ، مالبث أن أشعره بسذاجة معتقداته الأولى وتمنياته . . . من هنا كان اقدامه على التوصية بتخصيص مايعادل مليوني جنيه استرليني من ثرواته الكبيرة لتوظف على النحو اللائق وتمود بالمردود اللائق لمكافأة المتفوقين من علماء العالم سنة بعد سنة . . . وهكذا ظهرت جوائز نوبل العالمية الشهيرة سنة ١٩٠١ ، وقد كانت في خمسة مجالات في بادية الأمر : (الفيزياء والكيمياء والأدب والطب أو الفسيولوجيا . . .) وأضيف اليها فيما بعد مجالات السلم العالمي والاقتصاد .

بقي أن نذكر أن نوبل العالم كان ذا ميول أدبية قوية ، وأنه بقي أعزب حتى لاقته المنية سنة ١٨٩٦ ، عن عمر يناهز ٦٣ عاما . □

منه دخان . . . وتجدر الإشارة هنا الى مادة الكوردايت البالغة التفجير . . . فقد اعتقد نوبل أن اختراعه البالسيتات يخوله صنع هذه المادة أيضا . . . وعارضته الحكومة البريطانية في ذلك ، فكانت القضية التي نظرت فيها المحاكم سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ والتي خسرها نوبل ولعل أطرف ما يذكر عن نوبل اعتقاده بأن نجاحه

حرص الاسلام على طلب العلم

حرص القرآن الكريم والرسول ﷺ على حض المسلمين على طلب العلم ، فقال الله تعالى : « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » وقال عز وجل « وقل رب زدني علما » وقال رسول الله ﷺ « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » كما قال : « ولأن تغدو فتتعلم باباً من العلم خير من أن تصلي مائة ركعة » وقال : « حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة ، وعيادة ألف مريض ، وشهود ألف جنازة فقيل : يا رسول الله ، ومن قراءة القرآن ؟ فقال : وهل ينفع القرآن الا بالعلم ؟ وكانت فدية أسرى بدر أن يعلموا أطفال المسلمين القراءة والكتابة .



سلامة البشرية في سلامة البيئة



مؤتمر قمة . . للسيدات

وضم مؤتمر القمة النسائي فيمن ضم سيدة البرتغال الأولى رمالو ايانس . . وقد تحدثت عن رسالة المصحات الخاصة بمكافحة الادمان ، وعن الثمرات الطبية التي جناها الكثيرون من تلك المصحات .

وتحدثت أيضا سيدة اليونان الأولى مارجريشا باباندريو ، فدعت الى إنشاء برنامج أوروبي لمكافحة الادمان على شتى المستويات ، وتسوى العمل به مجموعة الدول الأوروبية .

وكانت البيجوم شفيق ضياء الحق - زوجة الرئيس الباكستاني من بين المتحدثات . . وقد أشارت الى أن عدد المدمنين في الباكستان أخذ في التزايد حتى بلغ في السنوات الأخيرة ٢٠٠,٠٠٠ نسمة . . وأكدت البيجوم أن المؤتمر قد فتح عينها على المخاطر الخلقية والاجتماعية الكبيرة التي تتهدد المجتمعات بسبب الادمان . .

وتجدر الإشارة الى أن مؤتمر القمة هذا تناول موضوع الادمان من أكثر من جانب . . وسلط الضوء على المصحات الخاصة التي تعالج الادمان باعتباره مرضا أو آفة فسيولوجية ونفسية . . والتي غالبا ما تحتاج الى شهور أو أكثر لمساعدة المدمن على التخلص من ادمانه .

□

كانت مناسبة طيبة لعقد مؤتمر قمة . . حين توافد رؤساء الدول وزوجاتهم على نيويورك ليشاركوا في احتفالات الأمم المتحدة ببلوغها الأربعين . . كان ذلك في أواخر السنة الماضية ، وفي مدينة نيويورك مقر المنظمة الدولية . .

الا أن القمة التي ارتقت تلك المناسبة كانت قمة فريدة . . وتختلف عن سائر مؤتمرات القمة التي سبقتها . . ذلك أن المؤتمرين لم يكونوا من رؤساء الدول والملوك . . ولا كان موضوع البحث قضية نزاع السلاح أو ما يها من القضايا السياسية والعسكرية . .

بدأت القصة بالدعوة التي وجهتها نانسي ريغان زوجة الرئيس الأمريكي ، الى عدد من السيدات الأوليات . . زوجات الرؤساء اللواتي رافقن أزواجهن لحضور احتفالات المنظمة الدولية . . دعتهم الى اجتماع يبحث فيه مشكلة الادمان على المخدرات . . وقد بدت لها فكرة هذا الاجتماع أفضل بكثير من التجول في أسواق نيويورك . . وهو ما تعمد اليه النساء في الغالب . . سواء كن من السيدات الأوليات أو من عامة الشعب . .

أطفال جيل ذكاء محدود

بقلم : الدكتور محمد نبهان سويلم

مشكلات التصحر والجفاف والجوع ليست مشكلات مرحلية تنتهي يوم تحف
حدة المأساة ، بل انها تؤثر على البناء العام والمقدرة الذهنية والقدرة الاستيعابية والتعليمية
وأجيال قادمة ، وباختصار شديد فالنتيجة أطفال جوعى .. ذكاء محدود ... اليوم وغدا
وبعد غد ...

الثقافة والاشارة والجمال والتعاطف والأمن
الاجتماعي .

وحدة الموضوع وخطورته تستدعي نظرة عامة على
نتائج تجارب ودراسات وبحوث متقنة ومؤصلة
أجراها العلماء على محورين ، اتخذ الاول حيوانات
التجارب من فئران وخنازير حقلا لدراساتهم في محاولة
لابعاد الواقع الاجتماعي والسيكولوجي والاقتصادي
عن المساس بمحاورة التجربة ، فالحيوانات ليس لها
عقل يتدبر أو نفسية تتأثر مما يجعلها - أي الحيوانات -
اطارا مرجعيا للقياس والخروج من الدراسات بنتائج
مؤكدة ، في حين اتخذ الاتجاه الثاني نتائج بحوث
علماء الاتجاه الاول لتحججه القياس على الانسان ذاته
في الدول الفقيرة سيان منها ما اصيب بواقع فيزيقي
مثل امتناع الامطار وغور الماء ، أو الفقر كمحصلة

يجمع الناس عموما على الاقرار بأن الجوع 
وسوء التغذية من المشكلات العويصة التي
تواجه الناس في أكثر من ثلثي العالم سكانا ، وأن
التصدى لاسبابها الأساسية ، يتطلب تحسين الأوضاع
الاقتصادية والاجتماعية لأشد طبقات المجتمع
عوزا ، وعلى الرغم من الجهود الضخمة التي تبذل في
البلاد النامية ، وحزام الدول الفقيرة لتنشيط الانتاج
الزراعي والتنمية الريفية ، إلا أن سوء التغذية ونقص
كمياتها لايزال يصيب نسبة عالية من السكان ،
ولاسيما الاطفال زهور المستقبل وشبابه وأمله ، وبذا
تصاب أجيال المستقبل على مستويين : مستوى البيئة
الداخلية التي تتمثل في الصحة البيولوجية وملكة
الابداع والنمو العقلي ، والبيئة الخارجية التي تتمثل في

سوء الادارة والاقتصاد وهبوط الدافع وانعدام الثقة في كل ما يذاع أو ينشر في بلده ، لندرة المثل الأعلى في معظم هذه الدول حيث لا يعلن عن المأساة رسميا الا عندما تبلغ من التعقد والحدة مبلغا كبيرا .

في ميدان التجارب

ونلقي دلونا في ميدان تجارب الحيوان علنا نأتي بشيء نافع ومفيد ، فعلى فئران صغيرة تم فطامها بعد ثلاثة اسابيع من ولادتها جرى تعريضها للجوع لفترة زمنية قصيرة فاذا بخلايا المخ تنقلص بشكل حاد ، كذلك اصبحت صغار الخنازير والعجول بعض هذه الاعراض ، وحاول العلماء بعدها درء الخطر عنها باعطائها وجبات مكثفة لفترة طويلة ، تحتوي على كل المواد الغذائية والفيتامينات والاملاح ، وتحت اشراف علمي وطبي مكثف . . . لكن لقد افلت الرمام ولم تستطع أحسام هذه الحيوانات جميعا تجاوز الخطر ، وظل عقلها اصغر ححا من نظيراتها التي نالت القدر المناسب دون جوع أو تسح ، وهنا طس العلماء أنهم ظلموا الحيوانات فأرادوا أن يروا زيادة السسل فقط دون جوع فوضعت ثمانية عشر فأرا صغيرا سويا في مهد زود بقدر كاف من الغداء فيها مثل ريادة في عدد الفئران لاتتعدى عشرين بالمائة . . . وكاست النتيجة مذهلة وان كانت غير محيرة أو مركبة ، فقد اصبحت الفئران بالهزال بنسبة ٢٥٪ من وزن الجسم العادي لذات الفترة الزمنية ، وتحت دات المؤثرات البيئية وتقلص حجم محها بسسة تعدت الخمس عشرة بالمائة .

معنى هذا بوضوح شديد أن المخ أكثر أجزاء جسم الكائن الحي تأثرا بالجوع أو الحرمان ، واطخر من ذلك ماثبت لدى العلماء بالدليل القاطع والبرهان الدماغ والثابت أن الخلل ليس في حجم المخ فقط بقدر ما هو في سوء توزيع الخلايا العصبية في منطقة حساسة منه ، حيث يتكون غلاف ضيق بالخلايا يجعل في حركتها صعوبة ، ويقلل تدفق الدم صوبها وبذا تقل قدرتها على الاستجابة ، ونجد الاشارات العصبية صعوبة عند انطلاقتها خلال قنوات الاتصال ، ويستمر الغلاف الضاغط أو هذا الستار الحديدي يحيط بالخلايا حتى لو التهم الجائع الصغير



* عندما سلط الضوء القوي على جمجمة الطفل المزيبل بدت وكأنها فارغة لانحامل مخا

● أضد جياع . . ذكاء محدود ! .

الغذاء البروتيني المتكامل قد لا يؤثر على ذكاء الجيل الأول وقدرته على حل مشكلات حياته اليومية في اطار قدراته كرضيع وذلك باجراء قياسات ذكاء خاصة ، اذ يختفى اثر الجوع فجأة وكأن لم يحدث حرمان أو جوع . لكن يوم تابع العلماء أبناء واحفاد جياع الامس وجدوا هبوطا حادا في نسبة ذكايتهم رغم امداد الابناء والاحفاد بوجبات صحية متكاملة من حيث العناصر الغذائية الاساسية مما دعا علماء أكاديمية الغذاء والتغذية في تشيكوسلوفاكيا فور اطلاعهم على بحوث اقرانهم بامريكا اللاتينية الى محاولة فهم التأثير التركيبي والتراكمي للمؤثرات المباشرة على جياع الرضع وآثارها اللاحقة في اطار دراسة تعتبر من أعظم واروع الدراسات التي جرت في الكتلة الشرقية عن اثار الجوع والحرمان .

وندع أحد علماء تشيكوسلوفاكيا يحدثنا باختصار عن مخططهم العلمي - فاذا بنا امام تجارب مكثفة على فئران عديدة ، وضعت تحت عيون العلماء وفوق مشارح المعامل قرابة سنة كاملة ، جرى خلالها وضع نظام تغذية خاص لبعضها وحرمان الآخر وتنشيط البعض وإهمال الاخرى ، ووضع البعض في اطار حياة جماعية وحرمان البعض الاخر من عوامل البيئة الخارجية المناسبة ، تجارب معقدة وطريفة في ذات الوقت اكدت لهم قانونا طبيعيا من أروع القوانين . . ان كلا من البيئة الصالحة والغذاء المتكامل ضروري لنمو كل الاحياء حتى الفئران .

بعد هذه الجولة الاستطلاعية التي امتدت قليلا في عالم الحيوان دعونا نلقي نظرة على دنيا الانسان - أئمن واغلى ما خلق الله سبحانه وتعالى - والمكرم بتسخير ما في البر والبحر والجو لخدمته - وننطلق مع دراسة جادة تمت تحت سقف معامل جامعة شيبي بستيلاجو حيث يلتقي الجوع والشبع حتى التخممة فاذا بالانسان لا يختلف في كثير أو قليل عما أثبتته تجارب الفئران . . نفس الظروف ونفس النتائج . . تقلص خلايا المخ وتأثير على القدرة الذهنية والعصبية وشطط وانفعال سريع وعصبية زائدة وضعف بالغ يصل الى حد الهزال والموت .

لكن العالم فرناندو مونكبرج أراد ان يقدم للناس اعلاما مباشرا يفهمه المتخصص وغير المتخصص ، حتى القارئ الذي يكتفي من المجلة او الصحيفة

كميات هائلة من الأطعمة المتكاملة في الأيام القابلة . ويحدثنا علماء مركز البحوث الوطني الطبي البريطاني في لندن مؤكدين ما أسلفنا من عرض وقول ، بل ان علماء جامعة كورنل الامريكية - من اشهر الجامعات الامريكية في بحوث الكون والخلايا - اكدوا أن كمية الحامض الحيوي D . . ن . أ . . N . A - الذي يعتبر بمثابة مؤشر علمي مؤكد على عدد الخلايا لكل نوع من الكائنات الحية - تقل بشدة اذا تعرض الكائن الحي للجوع ، ويزداد نقصه في خلايا المخ عن باقي اعضاء الكائن الحي مما يؤثر بالضرورة على كفاءة أداء أهم وأخطر قطاع من بين قطاعات الكائن الحي .

وهنا أيضا الأنيميا والهزال وتنجمان عن نقص مركبات خاصة خلال فترة الرضاعة ، والمراحل الاولى من تكون العظام ، فالحيوانات التي شاء لها قدرها ، التعرض للحرمان والجوع القارص ، أصابها الكساح والعرج ، وكانت تمشي باضطراب وارتباك ولا تقوي أرجلها على حملها ، وبقياس طوبوغرافية عقلها كهربيا وجد أن سرعة استجاباتها للإشارات بطيئة كما انها تعاني اضطرابا وتشوشا مما يجعلها تستهلك كميات أكبر من المواد السكرية والنشوية الباعثة للطاقة ، نتيجة سرعة اجهادها وحاجتها الى طاقة تعويضية عن استهلاك كمية من البروتينات المسئولة عن بناء الخلايا .

ولعل أهم مظاهر ما سبق من تجارب متوقف نمو الرضع ، وما ان تمر ثلاثة شهور حتى تبدو رؤوسها ضامرة مهتزة وأرجلها متيبسة وحركتها بطيئة ، ولا تشترك في الحياة الاجتماعية للأصحاء من حركة ولعب ، ومع زيادة نقص البروتينات ابان مرحلة التجريب ازدادت مظاهر رعشة وارتجاف الحركة وعدم ثبات الخطوات ، وشبه استحالة القدرة على القفز أو الجري برغم امدادهم بوجبات متكاملة فيها بعد ولدد طويلة .

مشكلات الحياة اليومية

يجرنا الحديث الى تجارب مماثلة قام بها علماء من البرازيل والمكسيك وبعض دول امريكا اللاتينية ، على فئران تجارب ، أثبتت أن حرمان الفئران من

الإنسان والحيوان

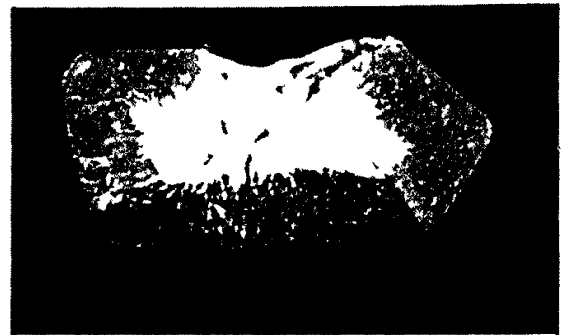




رغم تساوي السن والطرف السنه تبدو الطفل سار
الصورة اطول ورأسه اكبر لانه ساول وحاح مخامله



قد ان تعرض للجمع واحدا من فئات هيرتله معه
مهده



منقطع من رعب حذ عدم الترويض اعلى الصورة
واحر في رعب تعديل يورع على الخرعى وفق برامج
المعونه الدهنه

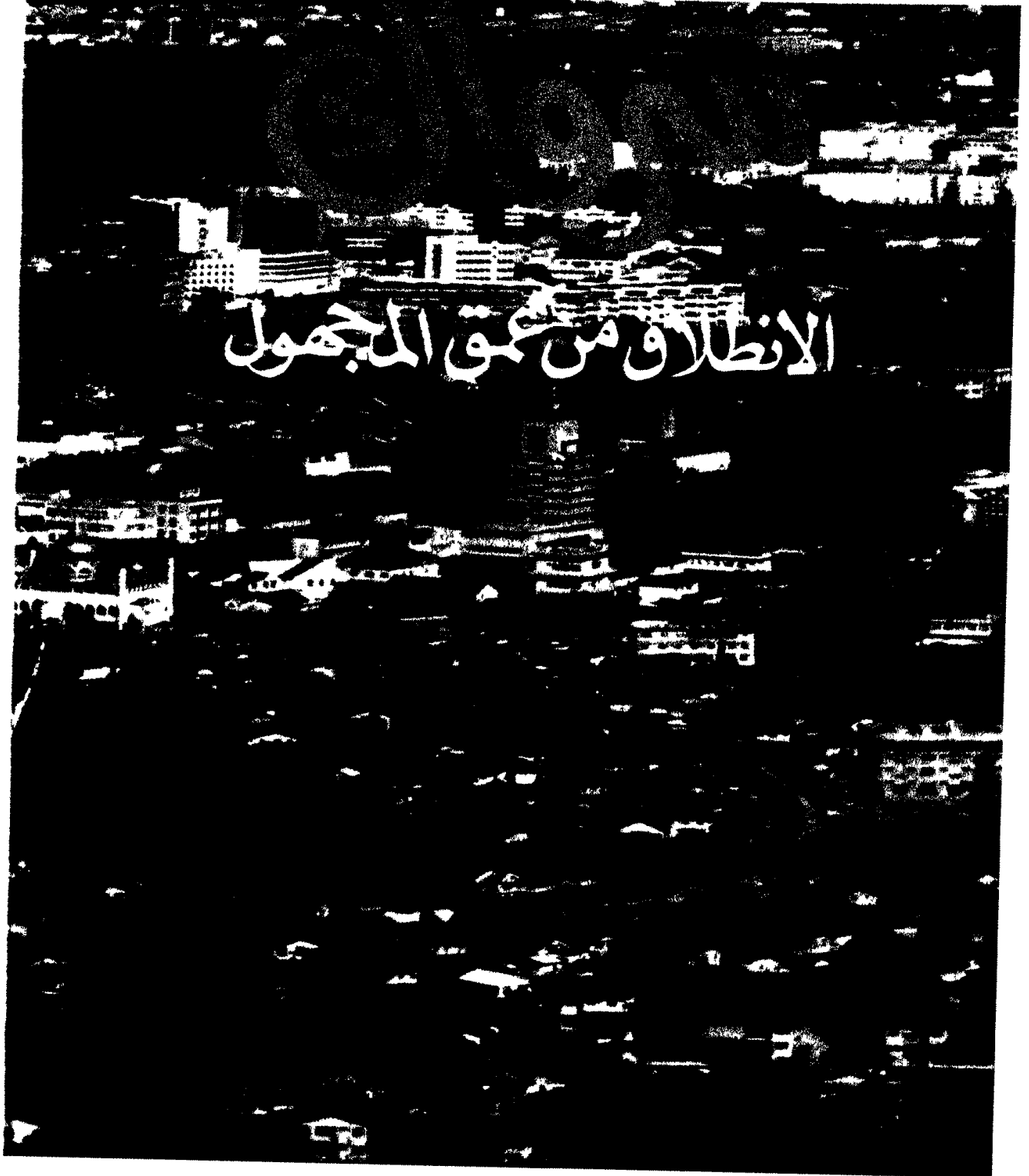


فماس عمته السيل الضمى على و اق ساء الدهنه
محاولة لرباده احاصلات الى اعنه

العربية
عيوننا
على العالم



الانطلاق من عمق المجهول



سید علی حسینیان مطهر
سید علی حسینیان مطهر



هل تصورت نفسك يوما وأنت تتسلق قصبة من « البامبو » طولها سبعون مترا ولا
يزيد عرضها عن عشرين سنتيمترا ، لتصل الى سقف كهف ضخم ، عاش فيه الانسان
قبل أربعين ألف سنة ، وترك جماجمه وهياكله العظمية مدفونة في أرضه . . كل ذلك لأنك
تبني الاستيلاء على عدد من أعشاش الطيور ، دون أن تعبا بآلاف الخفافيش وهي تضرب
وجهمك بأجنحتها ، ودون أن تهتم بما يمكن أن يحدث لو سقطت من هذا الارتفاع
الكبير . . ١٩

إذا لم تكن تجرؤ على ذلك ، وخطر ببالك أن تشهد سواك وهو يفعلها . . فتعال معنا
الى « سرواك » . .

أعشاش الطيور من السقوف في مهارة وحذق يشيرا
الاستغراب . .
وقفنا - أنا وزميلي المصور - نتأمل في دهشة ما يحيط
بنا . واقترب منا واحد من « أهل الكهف » وسألناه
عن مهمة جامعي أعشاش الطيور فقال :
هي مغامرة خطيرة لا يجزؤ على ممارستها الا أفراد
معينون تمرسوا على هذا العمل . وهم يتسلقون في
فراغ الكهف على أعواد البامبو مع المحافظة خلال
التسلق على توازنهم حيث ان السقوط من هذا
الارتفاع يعني الموت .

ان جامعي الأعشاش يحافظون على أسرار مهنتهم
التجارية في غيرة شديدة ولا يورثونها الا لأبنائهم .
ويتوارث هؤلاء الأبناء أيضا المناطق التي يعمل فيها
أباؤهم في الكهف ويعتبرونها ملكا خاصا لا يجوز
الاعتداء عليه . وقد تمتلئ المنطقة بآلاف الأعشاش
في بعض الأيام ، وقد يقل العدد فلا يتجاوز
العشرات . . كل ونصيبه . ويعتبر جامعو الأعشاش
أنهم « أصحاب الكهف » وحدهم ، وهم يعيشون في
قرى قرية أو في بيوت طويلة . وخلال مواسم جمع
الأعشاش التي تتراوح بين مرتين أو ثلاثة في السنة ،
يشركون معهم كل أفراد عائلاتهم للمساعدة في جمع
ما يحصلون عليه من هذه الثروة المباركة . . كما
يجمعون أيضا ما يخصهم من سماد « الجوانو » الذي
يحملونه في أكياس على ظهورهم ، ثماسا كما فعل
أجدادهم طوال آلاف ومئات السنين .

قد يكون الاسم غريبا عنك . . ولكن
« سرواك » في الحقيقة دولة تشغل مساحة تصل
الى ١٢٥ ألف كم^٢ وتقع في الثلث الشمالي الغربي من
جزيرة بورنيو ، القابعة في قلب بحر الصين الجنوبي
الى الشرق من شبه جزيرة الملايو ، وهي تشكل مع
دولة صباح - بعد أن تحولنا الى ولايتين في نطاق الاتحاد
الفيدرالي الماليزي - ما يسمى بماليزيا الشرقية .
وغير بعيد من ركن الساحل الجنوبي لسرواك . .
تستطيع أن تجد كهوف « نياه » . .

الكهوف هي أحد أشهر المعالم الأثرية في العالم .
وأبرز هذه الكهوف كهف كبير الاتساع تبلغ مساحة
فراغه مائة كيلو متر مربع . أما سكانه فعدة ملايين
من الخفافيش والطيور الصغيرة التي تترك كميات
هائلة من الفضلات التي تستخدم للتسميد (الجوانو)
على أرضية الكهف ، كما تترك على حفر السقوف
عددا كبيرا آخر من الأعشاش التي تعتبر بمحتوياتها
الجيلاتينية حساء وطعاما لذيذا لأهالي بورنيو
والصين . .

أهل الكهف

مشهد الكهف من الداخل مثير غريب . . خاصة
حين تتأمل هؤلاء الرجال الذين يتسلقون أعواد
البامبو الخالية من أي نتوءات ، ويدلون الاعتماد على
أي حبال ، فتجدهم في لحظات قد بلغوا أعلى العود
الذي يرفعهم الى سبعين مترا ، وبدأوا يجمعون

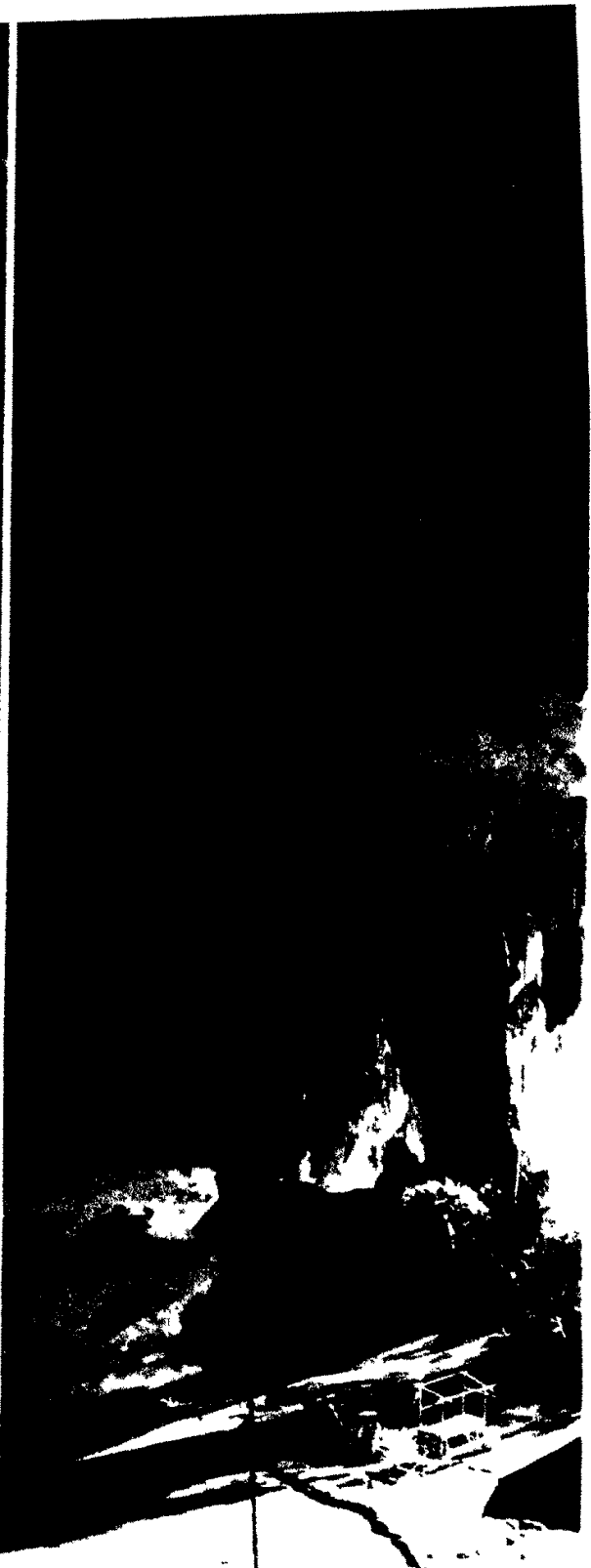
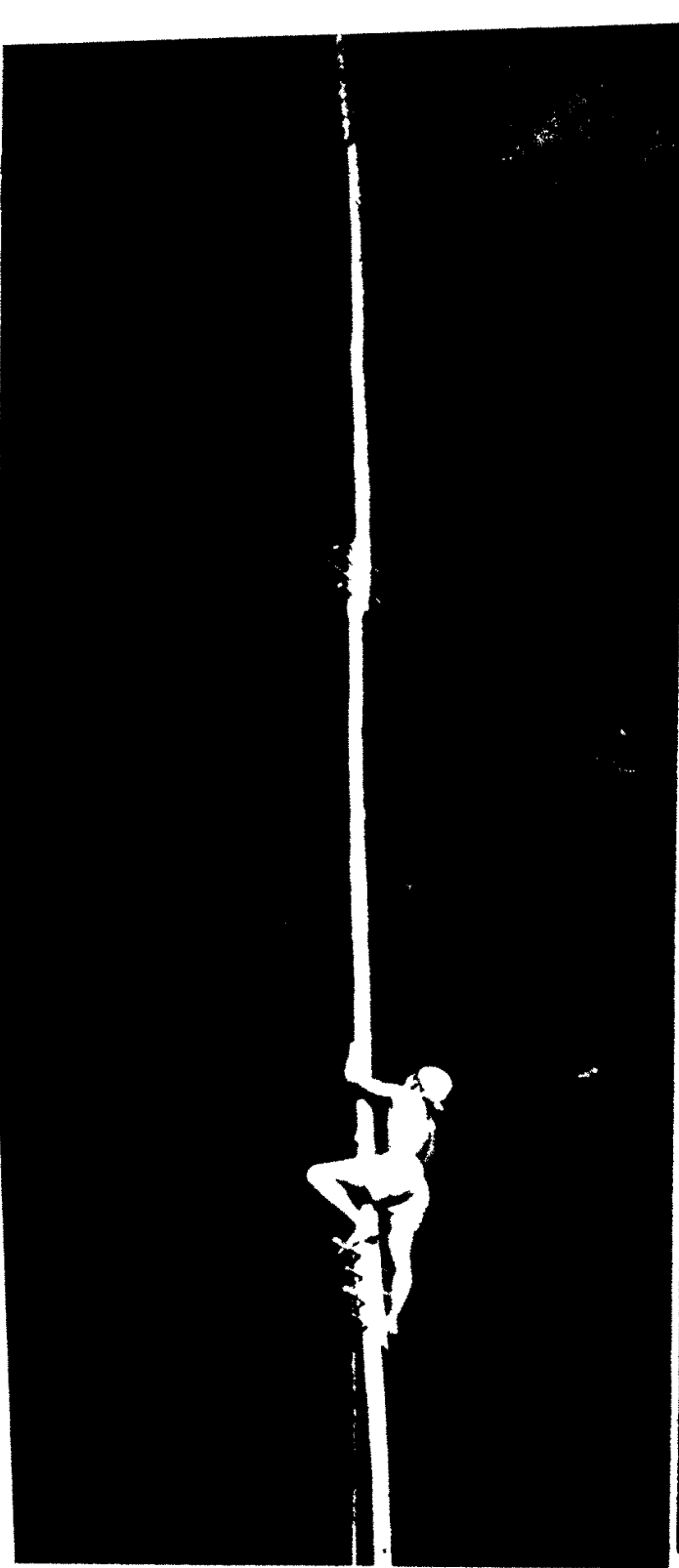
٤٠ ألف سنة

ومد عام ١٩٤٧ بدأ المتحف الوطني بحفري حفرياته الاثرية في كهوف « بياه » . وكانت نتائج موسمين من الحفريات بالغه الاهمية ، مما جعل شهرة الكهوف تنتشر في كل مكان بعد أن أمكن العثور على آثار من عصور تمتد الى أكثر من أربعين ألف سنة . ومازالت الحفريات مستمرة وتخرج كل موسم آثارا جديدة تمثل مختلف مراحل التاريخ .

وقد عثر على جمجمة لانسان « الهوموسايبان » الذي عاش في الكهوف منذ ٣٥ ألف سنة ، بالإضافة الى أقدم آثار الانسان الحديث . فمنذ حوالي ٤٠ ألف سنة كان سكان كهوف « نيا » يستخدمون الأدوات الحجرية ، ولكن منذ ١٠ آلاف سنة بدأوا يستخدمون أدوات من العظام أو المحارات والاصدف . . وحتى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد كانوا يحفرون القوارب في سيقان الاخشاب ، ثم بدءوا يرسمون على جدران الكهوف نماذج لسفن الموت . وفي القرن السابع أخذ « أهل الكهف » يشتغلون بتجارة عاج رؤس طائر « أبي منقار » ، وأعاشاش الطيور ، فكانوا يقايضون الصينيين بها مقابل أواني البورسلين وعقود الخرز



مدخل الكهف الرئيسي وسبع مساحة فراعده مده كنوم
مربع ونصره صله للمشرف على كهوف ساه



جامع احساس الطيور يستقر نفسه الناسو الى منع طوفنا سنعن
من القليل الى سبب الكهف

قصة سرواك

الآن . . تعال بنا نتعرف على قصة سرواك الحديثة خلال الأعوام المائة والخمسين الأخيرة .

تبدأ القصة مع مغامرة قام بها البحار الانجليزي جيمس بروك ، الذي أرسنه مغامرته على سواحل سرواك عام ١٨٣٩ . كانت المنطقة كلها في ذلك الوقت أحد أقاليم سلطنة بروناي العظمى التي كانت تحكم كل جزيرة بورنيو . وكان حاكم الاقليم يسمى « بنجيران ماکوتا » . وكان الاقليم في ذلك الوقت يعاني من حركة معارضة عنيفة قام بها السكان من قبائل الداياك « الايبانز » ضد الحاكم شهنبر محمد صالح . ومن أجل إقرار الأمور أرسل السلطان نائباً عنه عمه « مودا هاشم » للتفاهم مع الثوار ، ولكنه فشل في مهمته وعجز عن إعادة النظام ، مما جعله يلجأ الى دعوة المغامر الانجليزي لمساعدته . وكمكافأة له على تعاونه واسهامه في تهدئة الثوار وعده مودا هاشم بمنحه قطعة من الأرض في سرواك .

وحين تم القضاء على حركة التمرد بدأ بروك يطالب الحاكم بالوفاء بوعده . وعندما حاول مودا هاشم التخلي عن الوعد لجأ بروك الى التلويح بقوته العسكرية ، واضطر مودا هاشم نيابة عن السلطان الى تنصيب بروك حاكماً على اقليم سرواك بدلا من شهنبر محمد صالح الذي عاد مغضباً الى بروناي . ولم تمض سنوات قليلة حتى كان مودا هاشم قد قتل مع أسرته على يد مجموعة من المناهضين لبروك . . !

وأثار مصرع مودا هاشم غضب حاكم سرواك الانجليزي . وأبحر على رأس مجموعة من سفنه الحربية الى بروناي حيث أنزل الهزيمة بقواتها انتقاماً لصديقه . . ثم أعلن انسلاخه عن السلطنة . وهكذا بدأ حكم الراجات البيض لسرواك منذ عهد جيمس بروك ليصبح الأمر إرثاً تولته أسرته من بعده لمدة تقرب من المائة عام . . استطاعت خلالها أن تسليخ مساحات أخرى كبيرة من الاراضي المحيطة التابعة للسلطنة ، حتى استقرت حدودها على مساحة ١٢٥ ألف كيلومتر مربع تشمل المنطقة الشمالية الغربية من جزيرة بورنيو .

خلال فترة حكم الراجات البيض من عائلة بروك ، استطاعوا الامساك بزمام الأمور في البلاد التي تعرضت أكثر من مرة لاعتداءات القراصنة ، ولحركات المقاومة المسلحة في الداخل ، وخاصة من المواطنين الايبان (الداياك البحريين) الذين رفضوا

ترك أراضيهم والتزوج الى الداخل .

استمرت عائلة بروك تحكم سرواك وأقرت مجموعة من القوانين لاجراء الكثير من التغييرات في حياة القبائل وعاداتهم وتطوير أنماط هذه الحياة التي كانوا يعيشونها والتي كان من بينها إبطال تقاليد الايبان في صيد الرؤوس .

وفي عام ١٨٨٠ وضعت سرواك تحت الحماية البريطانية . ولم تتخلص سرواك من التبعية للتاج البريطاني . الا بعد انضمامها الى اتحاد ماليزيا الفيدرالي عام ١٩٦٣ خلال فترة حكم رئيس الوزراء الاتحادي تنكو عبدالرحمن .

القبائل والسكان

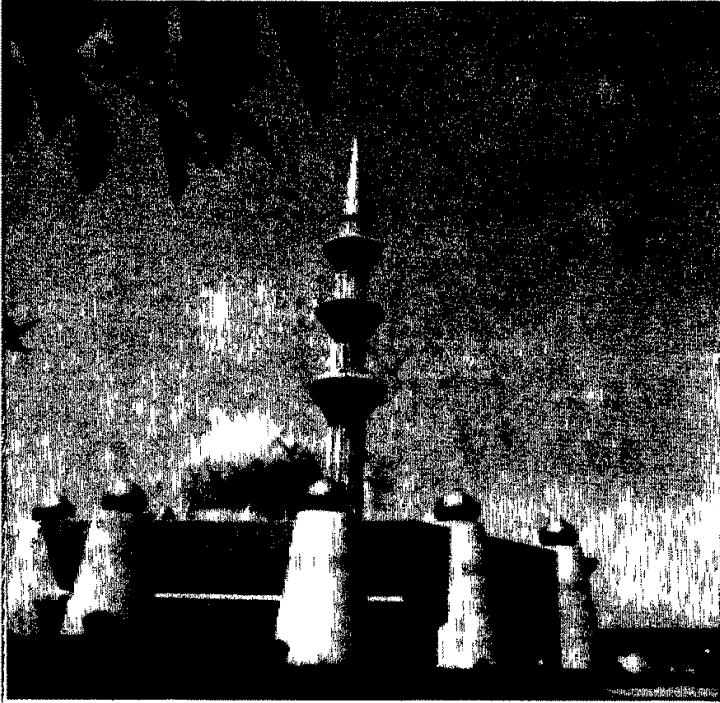
بلغ مجموع سكان سرواك حسب اخر احصاء مليون و٣٠٨ آلاف نسمة ، ويتشكلون من مجموعات متباينة من الجماعات العرقية . أغلبية السكان من قبائل الايبان الداياك البحريين (٣٠,٣٪) والصينيين (٢٩,٥٪) والملاويين (١٩,٧٪) والبيدايو (الداياك البريين ٨,٢٪) والميلانو (٥,٧٪) وجماعات بدائية أخرى (٥,٣٪) بالإضافة الى أعراق أخرى تشكل بقية السكان (١,٣٪) .

ويدين السكان بعقائد وديانات متباينة ، وهم يمارسون عباداتهم في حرية كاملة . فالاسلام وهودين الدولة الرسمي يدين به الملاويون والكيدياك وعدد كبير من الميلانو . أما المسيحية وتشكل أغلبية ثانية فيدين بها أغلب الداياك والصينيون الذين يعتنق عدد كبير منهم البوذية . أما الباقيون بعد ذلك فهم بدائيون أولادينيون يعبدون الأوثان ويقدمون الأرواح والاسلاف . وسكان المناطق الداخلية في أدغال

سرواك - الايبان والداياك البريون - يعيشون في البيوت الطويلة بجوار الانهار الكبيرة التي تخرق أراضي الادغال وتشق بداخلها طرقاً مائية متعددة لمواصلاتهم . وكثير من هؤلاء قد تركوا الصيد وأزالوا مساحات من الغابات المحيطة بهم ليزرعوا الأرز والفلفل .

أما قبائل البونان الذين يعيشون في أقاصي أدغال سرواك ، فما زالوا يمارسون حياتهم التقليدية البدائية . . ولكن بدلا من الصيد بأنابيب النفع أصبحوا الآن يمارسون الصيد بالبنادق .

الايان وبيوتهم الطويلة



مسجد بيسار في قلب العاصمة كوتشينج
بقبابه المطلية بالذهب

الوظائف الحكومية بالمدينة .. كما اجتذب المبشرون عددا آخر منهم الى المسيحية وفتحوا لهم الكنائس والمدارس ... الا أن عاداتهم وتقاليدهم مازالت ترتبط بالعقائد والعادات التي توارثوها عن الاسلاف .

وتتوقف عند أحد البيوت الطويلة ..

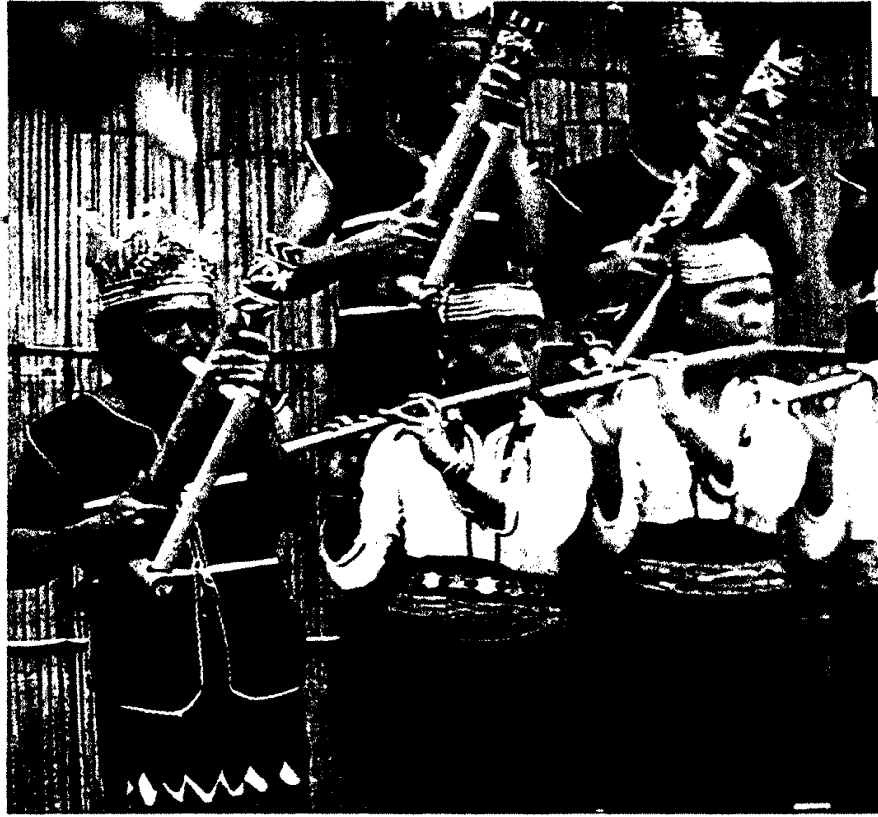
البيت ليس بيتا بالمعنى المعروف ، إنما هو مجموعة متصلة من البيوت أو الأكواخ تضم حوالي ثمانين عائلة .. وهي تقوم الى جانب النهر على مساحة مكشوفة ، حيث تباعدت أشجار الغابة أو أزيلت . الأكواخ مبنية من خشب الأشجار وقصب البامبو ، وتغطي سقفها بجداول من سعف أشجار جوز الهند وزيت النخيل .. ويرتفع البيت الطويل عن الارض على أعمدة لا يقل ارتفاعها عن خمسة أمتار تاركة أسفلها مساحات لممر مياه الفيضانات ولتربية طيورهم الداجنة وكلاهم وقططهم . وتتصل الأكواخ بعضها ببعض بواسطة ممر يمتد بطول المجموعة كلها ، ويشكل مساحة الملتقى الاجتماعي والاحتفالي في أمسيات العائلات التي تقيم فيها . ويهبط عند مدخل الممر ونهايته درج عبارة عن ساق خشبي ضخمة حفرت عليه الدرجات باتقان ، والساق مثبت في مكانه ، بحيث يرفع الى أعلى عندما يجيء الليل

الفرصة التي أتاحت لنا لاخترق الادغال بشكل مباشر في سرواك كانت من الجو .. حيث طارت بنا الطائرة الهليكوبتر التي أمر باعدادها لنا رئيس الوزراء داتو عبدالطيب محمود للذهاب الى « بنتالو » .. القلعة الصناعية والبتروولية الجديدة ، وهي فرصة كان لابد منها لالقاء نظرة شاملة على سرواك لضيق الوقت المتاح لنا لزيارة معالمها .

وخلال رحلة الهليكوبتر التي استغرقت بنا تسع ساعات على مرحلتين مررنا فوق أكبر مناطق الادغال الداخلية اتساعا في سرواك . ومن الجو وعلى مستوى منخفض يكاد يلامس رؤوس أشجار الغابة ، شاهدنا تفاصيل تلك الحياة الغريبة في الغابات .. الناس .. والحيوانات .. والأشجار الكثيفة .. والأراضي التي أزيلت غاباتها الاستوائية لتتحول الى أرض صالحة لزراعة الارز .. ذلك بالإضافة الى سلاسل الجبال والمحدرات والوديان الضيقة والسهول الواسعة .. والأنهار التي تجري وهي تتلوى بين السفوح والسهول .. والقرى المائية القائمة فوق الأنهار .. والمستنقعات .. والبيوت الطويلة التي تمتد على جانبي النهر أو عند أقرب نقطة اليه .. وكذلك الأكواخ المتناثرة للفلاحين والصيادين ، كلما أتاحت لهم فرصة إقامة كوخ .. ثم الأمطار الموسمية التي تسقط بغزارة وهي تضرب طائرتنا وتضفي جوا نديا رطبا فوق الغابة العذراء .

أما المشاهدة الثانية فكانت مع انطلاقنا لاخترق الغابات نفسها عبر طريق ضيق تحيط به الأشجار الكثيفة من الجانبين حتى لا تكاد أشعة الشمس تخترقها على الإطلاق .. كما يمر الطريق في بعض الأحيان على جانب نهر راجانج أو بجوار مستنقع كبير .. حيث تقوم مجموعات من البيوت الطويلة التي يسكنها الاييان (الداياك النهريون) .. وخلال المسيرة نلمح أنواعا كثيرة من الطيور الاستوائية البديعة الألوان والقروء والثعابين .. والقليل من الحيوانات المتوحشة التي لا تقترب من السيارة خلال انطلاقها .

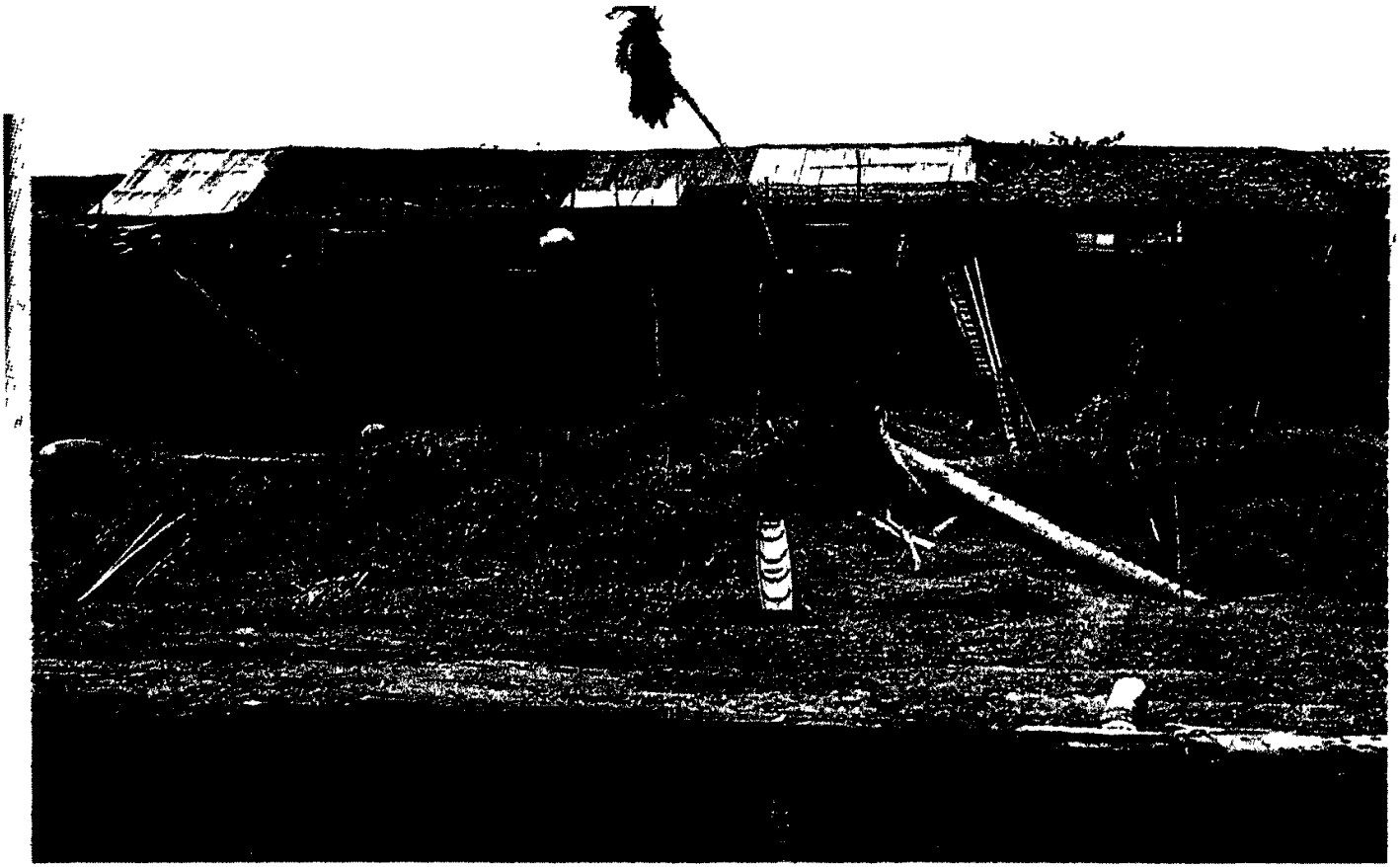
هنا يكون اللقاء مع جماعة من جماعات الاييان ، وهي قبيلة « بيدايو » . والاييان أو الداياك النهريون يشكلون أغلبية سكان سرواك حيث يتجاوز عددهم ٣٤٠ ألف نسمة بنسبة ٢٩٪ من السكان . وبرغم أن أغلبهم الآن قد دخل الاسلام وانطلق ليعمل في



* فرقة موسيقية من
عازقي «الداياك»
والمراشيد من قصب
الباسو



* رقصة شعبية
وراقصة من
فتيات «الايان»



« المرية وسوتها الطويلة الى تقوم على أعمدة
لا نقل ارتفاعها عن حصة أسار والى
المين مشهد لقطاع داخلي لأحد الأكواح
والدكتور العرب يتدلى من سقوفه وأسرر
معالمه الحمامة الشرية المعلقة »



موروثات الأجداد

قال لنا الزعيم : كان الايبان قديما من المحاربين المتمرسين ، وكان من عاداتهم صيد الرؤوس حتى قضى على هذه العادة في أواسط عام ١٩٤٠ . وكان الهدف الرئيسي لصيد الرؤوس هو تقديم القرابين والاضحيات الى الأرواح للحفاظ على البيوت وسكانها وابعاد الشرور عنهم . . وغالبا ما كان الضحايا من النساء العجائز والأطفال ، وفي بعض الأوقات يكون صيد الرؤوس أحد الرموز التي يأتي بها الفتى فوق سن رجه لتأكيد شجاعته وبلوغه مبلغ الرجولة . . !

وتمسك الايبان بموروثات الاجداد في حياة كل يوم . . فصوت طائر مغرد يجب أن يسمع قبل غرس شتلات الأرز في الأرض . . فاذا عز هذا الصوت كان ذلك يعني ضرورة تغيير مكان القرية . . ! والاحلام غير الطيبة - كأن يتضمن الحلم مشهد مريض أو ميت أو يسمع خلاله صرخة طائر الموت « سابات » - تقتضي تغيير مكان اقامة صاحب الحلم والمشاهد التي تحيط به . . وعندما تكون القرية تحت الانشاء يحرم نسج الملابس الوطنية كما يحرم الدخول في نزاع أو خصام والمشاركة في أي معركة . .

كل هذه المعتقدات التي حدثنا بها زعيم القبيلة وجدناها ما تزال راسخة في أذهان شباب الايبان حتى بعد أن اتجهوا الى المدارس والجامعات وازدادت ثقافتهم وأصبح لهم صوتهم المسموع في مناقشة الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية في البلاد . . والميزة الرئيسية التي يتميز بها الايبان (الداياك البحريون) هو لطفهم وكرمهم في تعاملهم مع الغير . . وحياتهم المليئة بمظاهر البهجة والفرح والزينة والرقص الشعبي التقليدي الذي يجتذب كل الأنظار .

وهم لا يختلفون كثيرا عن أقربائهم من البسدايو (الداياك البريين) والذين يوجدون بكثرة في المناطق الداخلية في جنوب غربي سرناك . . فهؤلاء سكان بيوت منفصلة عن بعضها البعض . . وهناك تشابه في الملامح بين الداياك البريين والبحريين برغم أنهم يختلفون في اللغة والعادات . . والداياك البريون ليس لديهم اتجاهات اجتماعية وان كانوا محبين للسلام ويعرف رؤسؤهم باسم « أورانج كايا » . من هؤلاء جميعا تشكل الأعراق المختلفة في ولاية سرناك ، التي استطعنا أن نكون فكرة شاملة عن

ليحول دون صعود الأعداء وغير المرغوب فيهم من البشر والوحوش الى البيوت أو الاضرار بسكانها في الظلام .

ديكور من الجمال

دعانا شيخ القبيلة الى بيت معد خصيصا لاستقبال الضيوف والزائرين . . المدخل مفتوح الأبواب ، والسقف والجدران تتدلى منها أنواع مثيرة من الديكور ، أبرزها عشرات من الجمال البشرية هي من آثار ما اصطاده الآباء عندما كانوا من صيادي الرؤوس . . أما بقية القاعة فكانها متحف يضم آثارا قديمة ، بها الطبول التي كانت تستعملها القبيلة ، والرؤوس والسيوف والسهام والجرار الكبيرة ومطحنة الأرز التي كانوا يطحنون بها بعد الحصاد ، بالإضافة الى مجموعات من العقود والأطواق المشكلة من أنياب وبقايا ما كانوا يصطادونه من وحوش الغابة قبل أن يتحولوا الى الزراعة ويعملوا في تربية الماعز والأبقار والدواجن . .

ودعينا الى الطعام . . ومدت الأواني المملوءة بالارز المطبوخ الذي تعلقه قطع من لحم الخنزير ولحوم الثعابين وأوراق خضراوات لا نعرفها وهي كلها لا نستطيع أن نقر بها . . ولكن شيخ القبيلة حاول بطريقة لطيفة أن يفهمنا أن لديهم تقليدا يسمى « بوني » يفرض على كل من يجلس الى طعام أو يدعى اليه أو يكون قريبا من قوم يأكلون ، أن يشارك في الطعام ولو بقبضة واحدة حتى لا يتسبب في الضرر للأكليين ، وحتى لا يتعرض لعضة ثعبان . . كما أن ذلك الامتناع قد يتسبب في أن يتلعه تمساح . . ! وقد كان من عادة الايبان من قبل ، أن يأكلوا لحوم الحيوانات التي يصطادونها بالسهام المسمومة التي ينفخونها من خلال أنبوب البامبو ابتداء من الأرناب البرية حتى الثعالب . .

أما نظام القبيلة فيقوم على أساس ديمقراطي بسيط . . فهم ينتخبون رئيس القبيلة ، ويعرف باسم « توان روما » . كما ان مجموعات الأسر في البيوت الطويلة تنتخب رئيسها ويسمى « بنجولو » ، كما أنهم يختارون حكامها أو طبييها بالانتخاب حيث يشارك في الاختيار كل سكان البيوت الطويلة . ولا يوجد نظام طبقات ، وكل فرد حر في الزواج من الفتاة التي يقع عليها اختياره .

● «سرواك» الانطلاق من عمق المجهول

عاما . . وكانت هي الفتاة الوحيدة التي قبلت أن تحضر لتعيش بين أدغال سرواك .
القلعة أنشئت عام ١٨٧٩ بتكلفة حوالي ٨ ملايين دولار . واختير موقعها الاستراتيجي بحيث تسيطر على الضفاف الطويلة لمداخل نهر سرواك منذ اقترابه من العاصمة ، فمن هنا دائما كانت توقعات أي هجوم أو غزو تتعرض له المدينة . وفي عام ١٩٧٩ كانت سرواك قد بدأت تمر بفترة من الهدوء والاستقرار حتى ان القلعة لم تستخدم أبدا للهدف الذي أقيمت من أجله .

القلعة بطوايقها الثلاثة تتميز بأنها رباعية الشكل . . وعند مدخلها قاعة كبيرة كانت في الايام الاولى تستخدم مكتبا للقيادة ، بينما الطبقات العليا كانت مقرا للحراس . وإلى يسار المكتب توجد زنزانتان كانتا تشغلان عادة بالمساجين المحكوم عليهم بالاعدام أثناء انتظارهم لمصيرهم . ويتوازي مع الزنزانتين ممر يقود مباشرة الى خارج الحصن . وينتهي الممر ببوابة حديدية تفصله عن الساحة الخارجية . وعلى مر الأيام اختلفت استخدامات القلعة . فلفترة قصيرة بعد الحرب الثانية استخدمت كمركز تدريب للشرطة الذين يقومون بمد أسلاك المواصلات التليفونية ثم استخدمت القلعة بعد ذلك لتصبح بمثابة « ميس للضباط » ، وعندما تم انتقاله الى موقعه الحالي أعيد مبنى القلعة لقوات الدفاع المدني لتصبح مقرا لقيادتها .

وانتهى الامر بالقلعة (أخيرا) في عام ١٩٧١ لتصبح متحفا للشرطة ، يضم الاسلحة التي كانت تستخدم في الماضي ، وبينها المدفع الوحيد الضخم الذي دوى صوته ذات يوم في سرواك ، بعد أن دفعه الى أعلى جبال سندوك أكثر من ٥٠٠ رجل من الداياك الاقوياء ، وتمكنوا عن طريقه من انزال الهزيمة بالثائر الشهير المسمى « ريتتاب » . وفي أحد أبراج القلعة « المتحف » توجد قاعة أطلق عليها اسم قاعة « الجماجم الضاحكة » ويقولون ان صاحب هذه الجماجم - وعددها مائتان - هو أحد أبطال الداياك الذي باعها للمتحف وهو يقول انها كانت تقلق نومه بضحكاتها المستيرية التي تطلقها طوال الليل .
المتحف الوطني أحد المعالم الأخرى البارزة في كوتشينج وهو يضم في قاعاته مجموعة من الآثار الاسلامية القديمة الى جانب هياكل المعابد الصينية وجماجم لصيادي الرؤوس كما يضم أيضا كنوز الحرف الاثرية التي تدل على حضارات القبائل المختلفة في

طبيعة الحياة فيها من خلال مشاهدتنا لها من الجو ونحن في الطائرة الهليكوبتر وهي تطير أقرب ما يكون الى قمم المرتفعات وأشجار الغابات وأسطح البنايات في المدن الحديثة حيث تبدو مظاهر التقدم والتطور والنهضة . . وخاصة في العاصمة . . كوتشينج .

مدينة ذات وجهين

كوتشينج . . مدينة نهرية ذات وجهين متباينين . . قديم موغل في القدم . . وجديد بالغ التحديث . . مدينة صاحبة وساكنة ، ثابتة ومتقلبة ، في آن معا . . الصخب والحداثة والتقلب يبدو كله في الجانب الأيسر من نهر سرواك ، حيث الحياة بكل تدفقها ، وبكل نوعيات سكانها الذين يبلغ تعدادهم الآن ١٣٠ ألف نسمة ، بينما لم يكن يتجاوز بضع مئات من الملايوين وعشرات من الصينيين عندما رست على شاطئها سفينة المغامر الانجليزي جيمس بروك قبل حوالي ١٥٠ سنة .

على الجانب الشمالي من النهر الذي يفصل العاصمة الى قسمين يربطهما جسر معلق طويل تشهد عالما آخر . . مقر الراجات البيض الذي كان يقوم منعزلا بعيدا عن الصخب والضجيج أصبح صورة من الماضي يجذب مشهده الباحثين عن الهدوء والراحة والاستمتاع . هذا المقر تم بناؤه عام ١٨٧٠ ليضم ثلاثة شاليهات (بانجالو) كبيرة أقيمت فوق قواعد حجرية بارتفاع حوالي عشرة أمتار ، وتظلل أسقفها البارزة المائلة العريضة كل القاعات الداخلية . أما الشاليه الرئيسي فهو يضم قاعة الاستقبال والطعام والرسم والموسيقا . بينما الشاليهان الجانبيان يضمان قاعات النوم . وقد بنى مقر الراجا الابيض شارلز بروك ليقم فيه مع عروسه الموسيقية مارجريتا . وإذا كانت استخداماته قد تغيرت بعد ذلك أكثر من مرة الا أنه يتخذ الآن مقرا رسميا لحاكم الولاية .

وعلى الضفة المقابلة من النهر تصطبخب أصوات الباعة والمشتريين ومساوماتهم في ساحة السوق الكبير حيث يأتي صيادو الأسماك بصيدهم وروائحهم ليبعوا حصيلة اليوم فوق الارصفة المزدحمة التي يختلط فيها الحابل بالنابل طوال النهار والليل .

قلعة الحب

في جولة حول كوتشينج شهدنا قلعة مارجريتا أبرز معالم المدينة ، والتي أطلق عليها بروك اسم زوجته الموسيقية الحاملة التي تزوجها وهي تصغره بعشرين



مصناه النفط
في سولو اسرر
المزاد الصناعه
واسرعها تطور
في مائرا

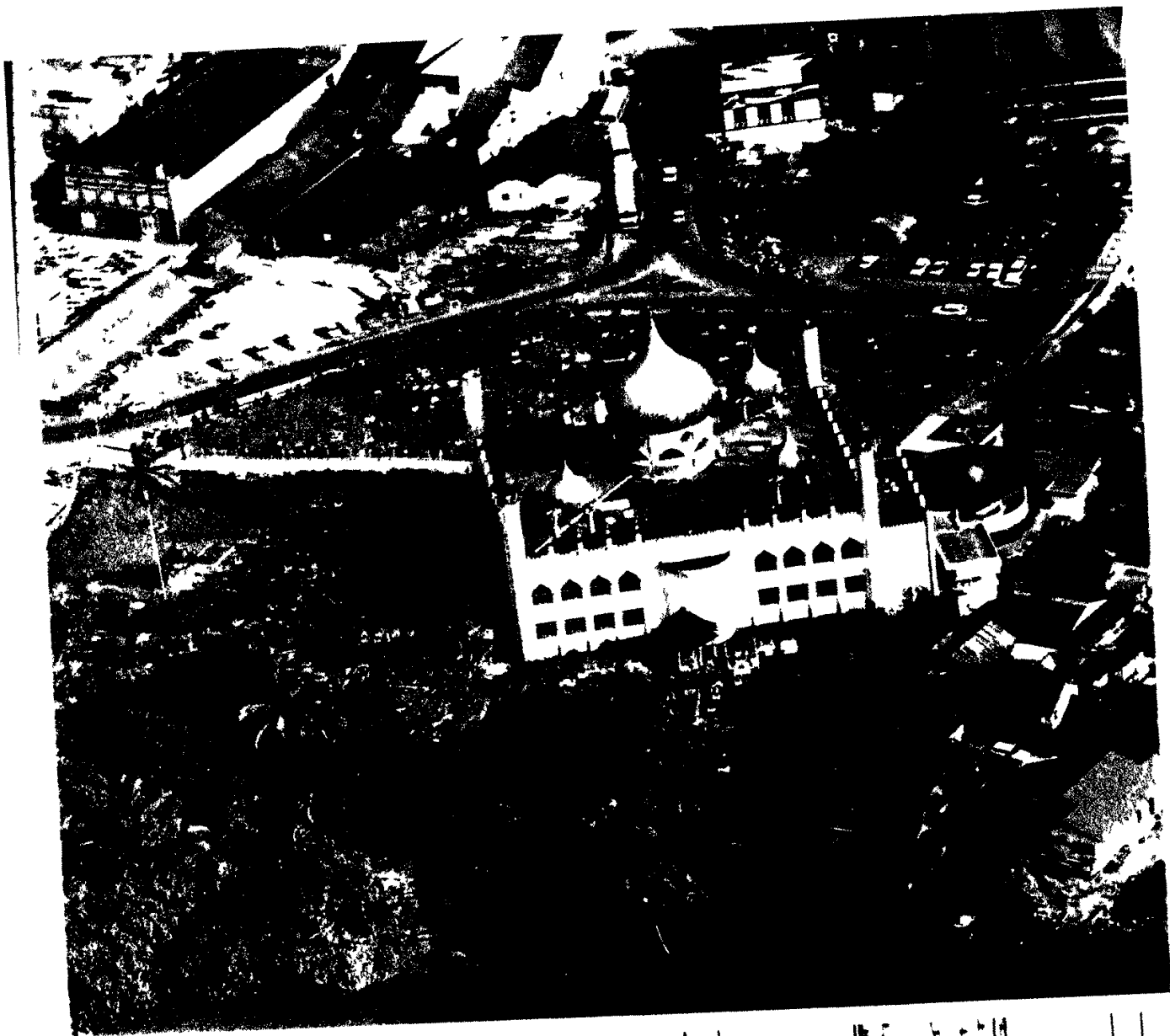


مخيمات
مسكن
الموظفين
والاف السود
المسهل
احد ط ا



داخل مرسه
سر الاحياء
وصاعه الاناب
في سروال





في العاصمة
 كوسج
 ساو من طائره
 فلهذه
 ومسحا الدوله في
 ملك
 والى المن ساو
 حركه المور قوي
 احسر المعين



انطلقنا على متن الطائرة الهليكوبتر . . الى بنتولو . . مدينة النفط والغاز الطبيعي في سرواك . وبنتولو تمثل أحد أبرز المراكز الصناعية وأسرعها تطورا في ماليزيا الحديثة . ويتيح لها موقعها في وسط الساحل الغربي المواجه لماليزيا الغربية أن تلعب دورا كبيرا الأهمية بعد التوسع في كشف كميات ضخمة من الغاز الطبيعي والاحتياطي البترولي بالإضافة الى ما ينتظر الحصول عليه من القوى الهيدروكهربائية الضخمة التي ستدفعها الى مقدمة المناطق الصناعية . وهناك أيضا ما يثير الاهتمام وهو أنها غنية بالمناجم والموارد الصناعية حيث تزخر بأنواع الخشب المتميز والأراضي الزراعية الخصبة والسليكون والفحم مع المزيد من الخدمات المتطورة .

ان دخول بنتولو الى الساحة الاقتصادية كان من الظواهر الجديدة . وعندما تم اكتشاف آبار البترول والغاز الطبيعي بدأت المنطقة تشهد تطورا كبيرا منذ عام ١٩٧٩ ، ودخلت في نطاق المجتمع الاقتصادي الدولي . ومع انجاز أول مصنع لتسييل الغاز الطبيعي في ماليزيا وأول عمليات تصديره بالبحر في أول عام ١٩٨٣ ، شهدت بنتولو تغيرا كبيرا من قرية صغيرة الى أكبر مركز صناعي حديث في المنطقة .

ان مشروع ناقلات الغاز والبترول الذي قدرت عائداته بمبلغ إجمالي قدره حوالي سبعة بلايين من الدولارات ، وقيمة أرباح اليوريا امونيا التي تبلغ ٧٣٧ مليون دولار ، بالإضافة الى عائدات قدرها ٥٦٠ مليون دولار نتيجة تعميق الميناء ، كل ذلك حفز على التطور الصناعي لمنطقة بنتولو . .

وتبعاً للنهضة السريعة منذ ١٩٧٩ فان التسهيلات والخدمات المميزة في بنتولو قد جعلت منها قاعدة حديثة متطورة ، فقد قامت مئات المحلات التجارية وآلاف المساكن لمواجهة التطور السكاني المتزايد ، كما شقت الطرق الحديثة لربط المدينة بالمناطق والمدن الرئيسية في الولاية ، كما اتسعت حركة الطيران التي تربطها بكويتشينج وكوتا كينا بالو كحلقة اتصال مع سنغافورة وكوالالمبور وهونج كونج .

.. وتكلم الأرقام

تملك بنتولو من احتياطات الغاز الطبيعي ٥٠٠ مليون متر مكعب . حصة ضخمة من هذه الكميات الكامنة بدأ استغلالها للنهوض بالصناعات البتروكيميائية وصناعات القوى المحركة . أما النفط الخام فان الصهاريج يمكن أن تستوعب

سرواك وفي كل جزيرة بورنيو ، كما تعرض على جدرانها وفي قاعاته مجموعات من الأسلحة القبلية والأدوات المهنية والأعمال الفنية القديمة والحديثة ، ومن حسن الحظ أن المتحف وضع خلال الغزو الياباني تحت امرة أحد الضباط المتورين فلم تحدث به أي أضرار .

وغير بعيد من المتحف يوجد مسجد بيسار ، المسجد الرئيسي للمسلمين في كوتشينج ، والذي تم بناؤه قبل عشرين عاما ، وبشكل بقبابه المطلية بالذهب صورة رائعة للهندسة المعمارية التي يمتزج فيها القديم بالحديث .

للمعابد الصينية قصة

وتزخر كوتشينج بمجموعة من المعابد الصينية التي تزدهر بألوانها وزخارفها ، وأقدمها معبد « توابيك كونج » الذي أقيم قبل أكثر من مائة عام . . هذا المعبد يعتبر أهم معابد الجماعات الصينية في سرواك . وخلال ضرب كوتشينج بقنابل الطائرات اليابانية لم تلحق به سوى تصدعات في أحد جدرانها . أما معبد « كوك سنج أونج » فقد أعيد بناؤه عام ١٨٩٥ ، وهو يتميز بسقف تبدو ديكوراتيه رائعة الجمال والألوان ، وهو المعبد الذي تتجه اليه جماعات « الهوكيان » في أداء الصلوات لمعبودهم « كوك سنج أونج » ، كما يأتي اليه أيضا كثير من جماعات الصيادين « الهنجاو » للحصول على البركة من أجل صيد وفير . . وأجل ما شهدناه في هذا المعبد الاحتفال السنوي الذي يقام في اليوم الثاني والعشرين من الشهر القمري الثاني ويبدأ من الساعة صباحا حتى العاشرة مساء ، حيث يوضع تمثال الاله على مقعد يحملونه ويطوفون به بين الأغاني والاهازيج حول شوارع المدينة .

طفرة صناعية وتنموية

مظاهر الطفرة السريعة في الانتقال من البداوة الى الحضارة واضحة في كل شيء . . ولا تمنع هذه الطفرة من التأكيد على وجود نهضة حقيقية في كل نواحي الحياة . ولعل أبرز الأمثلة على هذه النهضة التنموية والصناعية ما يجري في منطقة بنتولو . . وحين نهتم بتتبعها واستعراض ما يجري من مظاهر التقدم فيها فاننا نقصد من ذلك أن نقدم نموذجا متميزا لكيفية اقامة المناطق الصناعية يمكن أن نستفيد منه في وطننا العربي .

● «سرواك» الانطلاق من عمق المجهول

وهناك مناطق واسعة بها السليكون (الرمل الزجاجي) الغني العالي الجودة في السهول الساحلية ، مما أتاح الفرصة لاقامة مصانع لانتاج ألواح الزجاج والأواني الزجاجية والبلورية يتزايد انتاجها مع المزيد من التطوير .

يضاف الى ذلك أنه تم العثور على حقول من الفحم في مناطق كثيرة من بينها حوالي ٢٠ مليون طن من فحم الكوك و ٤٠٠ مليون طن من فحم الليجنايت جنوبي بنتولو .

وقد تم الشروع في اعداد حوالي ١٠٠٠ هكتار من الاراضي للتوسع في اقامة المصانع واستيعاب المنشآت والمساكن للعمال والموظفين ، مما سيجعل المنطقة قاعدة صناعية ضخمة تستوعب المزيد من الطاقات العاملة ، وتتيح لها المزيد من الخبرات في الميدان الصناعي ، ولمواجهة القوى العمالية المتصاعدة فقد أقيمت مدارس للبنين والبنات لمختلف المراحل لتعليم أبناء الموظفين والعاملين ، كما أقيمت مدن اسكانية نموذجية مزودة بجميع أنواع الخدمات .

لقاء مع رئيس الوزراء

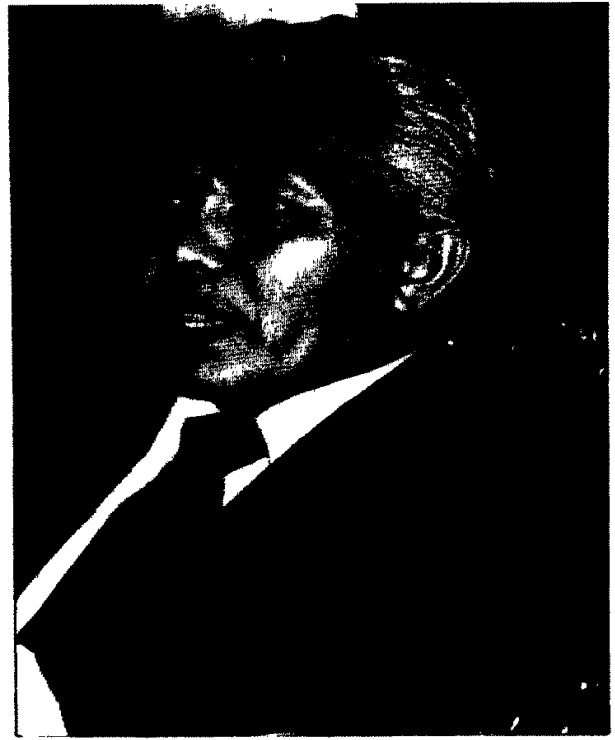
من أجل مزيد من دفع عجلة التقدم والتحديث يتولى داتو عبد الطيب محمود رئيس وزراء سرواك رئاسة السلطات التنفيذية للنهضة في بنتولو .

وعندما دعانا رئيس الوزراء للقاء في مقر اقامته عبرنا له عن الاعجاب الكبير بالنهضة الشاملة التي شهدنا أحد أمثلتها في بنتولو . . فقال :

ان الجهود في سرواك مستمرة على جميع المستويات لتطوير المجتمع ، من أجل حياة أفضل للشعب بكل فئاته وجماعاته ، والانتقال بهم الى أعلى درجات التقدم .

وبنتولو أحد الأمثلة لهذه الجهود من أجل أن تصبح قاعدة أساسية صناعية متطورة . وهي تعطي صورة بارزة للتنمية الصناعية والزراعية التي نرحب من أجلها بكل خبرة أو مساهمة أجنبية أو عربية لمواصلة تنفيذ ما خطط لها من برامج نأمل لها المزيد من النجاح ، في ظل التغيير الكبير في توجهات وقدرات مجتمع نفرض عن نفسه بقايا البدائية والقبلية ليسير على طريق النهضة والتقدم .

وكان لابد بهذه المناسبة من سؤال نوجهه لرئيس الوزراء عن طبيعة الجهود المبذولة من أجل التغيير الجذري لبنية المجتمع ، وكيف رافقت هذه الجهود محاولات واضحة لاجتذاب أكبر عدد ممكن من



* رئيس الوزراء داتو عبد الطيب وحديث حول بنتولو .

مليون وربعم مليون برميل في وقت واحد منذ أنشئت عام ١٩٧٩ . ويستخرج النفط الخام من حقول تيماننا على بعد ٣٠ كيلو مترا من سواحل المدينة ، كما أن حقول بايان بدأت انتاجها في منتصف العام الماضي بكميات ضخمة . وتتولى شركة النفط أيضا التسهيلات الخاصة ببيع وتصدير الغاز الطبيعي خاصة مع اقامة مصنع تسييل الغاز الذي يتيح الفرصة لكميات أكبر من الصادرات الى الاسواق الاسيوية .

أما عن الأخشاب فان منطقة بنتولو وحدها تحيط بها غابات على مدى ٣,٥ ملايين هكتار من مجموع الاراضي الغابية في سرواك والتي تبلغ ١٢,٥ مليون هكتار . وفي عام ١٩٨٣ فان متوسط ما تم تصديره من الأخشاب من هذه المنطقة بلغ ٢٢٢ ألف متر مكعب شهريا في هيئة كتل خشبية . ويوجد الآن في منطقة بنتولو عشرون مؤسسة لنشر الخشب . وللنهوض بهذه الصناعة فان الحكومة تبذل امكاناتها الآن من أجل مزيد من التطور باقامة مؤسسات أخرى قادرة على مضاعفة الكميات المصدرة .

بالإضافة الى ذلك فان الزراعة يجري تطويرها لاماكان استغلال أكبر مساحة من الأراضي الصالحة للزراعة . ويوجد الآن حوالي ٢٠ ألف هكتار مزروعة بأشجار زيت النخيل وحوالي ٩٠٠ هكتار مزروعة بالكاكاو ، والمساحة التي بدأ استصلاحها في المنطقة لا تقل عن ٥٠٠ ألف هكتار من أجل مزيد من المحاصيل الزراعية .



* شموع كثيرة
للعريف بالاسلام من
السلامد واللمسات
حت الاهتمام كسر
تمحلف مراحل المعلم
(الصورة العليا الى
اليمين) ثم نظره الى
العانة من شرفة
الكوج





* في السوق
 الشمعي ...
 خضراوات وفواكه
 من جميع الأنواع ...
 ووجوه من جميع
 الفئات والأعمار ...
 لا تترك السوق إلا
 إلى نزهة على شاطئ
 نهر سرواك



القبائل البدائية الى الاسلام .

قال عبد الطيب محمود :

لا أخفيكم أننا نواجه الكثير من المصاعب المالية مثلنا مثل أغلب دول العالم الثالث . ولكنني أتصور أننا الآن بدأنا نقف على أرض صلبة ، وخاصة بعد أن أتيج مجال العمل والخبرة للكثير من سكان الولاية . لقد أصبحنا قادرين على تنفيذ التنمية الصناعية الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية في سرواك . وفي كل أنحاء اتحاد ماليزيا تبذل جهود كبيرة من أجل مزيد من الدعوة الى الاسلام وذلك بإنشاء الكثير من المراكز الاسلامية ، أولا - لاجتذاب المسلمين الى معرفة فضائل دينهم الاسلامي ، وثانيا - لاجتذاب غير المسلمين الى هذا الدين القويم ، واعداد معتنقيه الجدد لمعايشة المجتمع الجديد من خلال قناعة شخصية تتسم بالحرية ، وهو أمر بالغ الأهمية ، ليشعروا بأن أمامهم مثلاً جديدة للحياة .

من هنا كان من الضروري بذل المزيد من الاهتمام بالتعليم في جميع المناطق ، بما في ذلك المناطق الداخلية ، ابتداء من رياض الأطفال والتعليم الابتدائي حتى الثانوي . ومن خلال ذلك تضاء شموع كثيرة للتعريف بالاسلام بين التلاميذ بمختلف فئاتهم وعقائدهم . ولكن هنا أيضاً تقف مشكلة اللغات . . فلكل جماعة عرقية لغتها ولهجاتها التي لا تساعد كثيراً في هذا المجال . . ونتمنى أن نتغلب على هذه المشكلة بتدريس اللغة القومية بالإضافة الى اللغة الانجليزية التي غالباً ما تفهمها المجتمعات القبلية . وقد طبعنا عدداً كبيراً من الكتب التعليمية باللغة الانجليزية - للتغلب على تعدد اللغات - تشرح مبادئ الاسلام وتاريخه وفضائله وتوجيهاته ، كما أصبح لدينا الآن معلمون لديهم خلفية لغوية ودينية ، بحيث استطاعوا أن يقيموا آفاقاً كبيرة أمام التلاميذ وكذلك مع أسرهم وعائلاتهم في كل مكان . ولا شك أن ذلك يحتاج الى وقت طويل ، ولكن الأمور تسير في الاتجاه الصحيح .

ولعلنا لا ننسى أننا منذ بداية الاستقلال عام ١٩٦٣ كانت تواجهنا مشكلة القبائل البدائية والمجتمعات الفقيرة ، حيث المواطن يعيش في كوخه الصغير أو يصطاد السمك أو يزرع الارز في الريف أو يعيش على الصيد في الغابة معزولاً عن الحياة والمدنية ، حينما كانت الفئات الوافدة وخاصة أن الصينيين يسيطرون على التجارة والصناعة وينعمون

بكل معطيات الحضارة . ولم تكن فرص النمو المتاحة لكافة عناصر الأمة بالتساوي ، وكانت هناك فروق شاسعة في امكانيات الحياة الاقتصادية والاجتماعية . وكان لابد برغم ضآلة الامكانيات من محاربة الفقر والتخلف ووضع برامج التنمية الخمسية ، التي كان هدفها اذابة الفوارق وتطوير المجتمع وخلق توازن اقتصادي بين المدن والريف وسكان المناطق الداخلية . وكان المستقبل مرهونا بمدى القدرة على تطوير امكانياتنا الزراعية وخاصة أنها مورد طبيعي غير قابل للاستنزاف فعملنا على زيادة المساحة المزروعة واستئصال الاشجار من بعض الاراضي الغابية واعدادها للزراعة ، مع تخطيط المشروعات الزراعية بحيث تقدم تسهيلات كبيرة للفلاحين والمزارعين ، مع شق طرق ممهدة بين المدن والمناطق الداخلية واقامة المدارس والعيادات والأسواق . وبدأ المواطنون - وخاصة في الأراضي الداخلية - يدركون أن وفرة المحصول ليست نتيجة لتدخل القوى الخارقة أو أرواح الاسلاف ولكنها تتحقق نتيجة اتباع الأساليب الحديثة . وهكذا واصلنا العمل على التطور بنفس الطريقة في المجالات الصناعية والثقافية والتجارية .

نشاط الدعوة للاسلام

للتوسع في متابعة نشاطات الدعوة الى الاسلام ومعرفة العقبات على الطريق والى أي مدى استطاعت الهيئات التبشيرية أن تلعب دوراً بين المجتمعات الداخلية في أدغال سرواك . . كان لابد من لقاء مع رئاسة المركز الاسلامي للولاية :

قال لنا داتو محمد فوزي أمين المجلس الاسلامي : « إن استراتيجية الدعوة الى الاسلام بين الشعوب والقبائل تقوم على الدعوة عن طريق الحكمة والموعظة الحسنة . وقد دخل الاسلام منذ البداية في سرواك وما حولها عن طريق التجار من العرب والاندونيسيين الذين جاءوا للتجارة ، واستطاع بعضهم أن يدعو بعض أبناء القبائل ممن كانوا يتعاملون معهم الى الاسلام . واستمر الأمر يسير بخطوات بطيئة حتى نالت سرواك استقلالها وأعلن الاسلام ديناً رسمياً في اتحاد ماليزيا كله . وبدأ الاحساس بضرورة العمل على نشر الدعوة الاسلامية بعد أن بدا واضحاً تأثير قوى التبشير في نشر المسيحية بين أبناء البلاد الاصليين ، وخاصة اللادينيين ، وهي قوى وهيئات كانت تتمتع دائماً بدفق من ملايين الدولارات من المنظمات المسيحية من جميع أنحاء العالم ، كما توضع

● «سرواك» الانطلاق من عمق المجهول

الآن حوالي عشرين ، كما يوجد في الجامعة الوطنية الملاوية في كوالالمبور حوالي خمسين طالبا ، وفي الجامعة الاسلامية الدولية اثنان ، ونأمل أن يزداد عددهم في القريب .

وهؤلاء سيكون لهم دور مباشر في الدعوة لأنهم يعرفون اللغة الوطنية ويستطيع بعضهم أن يتعامل مع رجال القبائل مثل الداياك بلغتهم وهو أمر لا يستطيع أن يقوم به أي دعاة يمكن أن نستقدمهم من البلاد العربية والاسلامية الاخرى . . والذي يمكن أن تقدمه لنا الدول العربية والاسلامية هو مزيد من الدعم المالي والمساعدات المادية والعينية ووسائل المواصلات التي تمكننا من منافسة الهيئات التبشيرية في المناطق الداخلية .

● ويضيف المفتي داتو حاج عبدالقاضي حسن :
المهم هو أن يكون لدى الدعاة امكانية أن يخاطبوا المواطنين بلغاتهم ، لأن المسألة ليست دخول هؤلاء في الاسلام ، ولكن الأهم هو متابعتهم لمواصلة تعليمهم أسس الاسلام وفضائله وقيمه ، حتى يستمروا في الايمان ويؤثروا في غيرهم من الأقارب والجيران . ولا يمكن أن تتم هذه المتابعة بشكل مناسب مع قلة عدد الدعاة وصعوبة الانتقال الى المناطق الداخلية . ولو استطعنا أن نحل هذه المشكلة لتغير وجه حياة هؤلاء المواطنين كثيرا . ان الأمر يحتاج الى اتفاق كثير فليس لدينا من المال ما نستطيع أن نحول به الدعوة كما يفعل المبشرون المسيحيون . . فهؤلاء أيضا يمتزجون مع الاهالي ويسكنون معهم ويأكلون ويشربون وقيمون في بيوتهم ويعطون لهم الدواء والكساء وكل ما يحتاجون اليه . وهناك مسألة أخرى لها أهميتها هي مدى الحماسة عند من يقومون بالدعوة ومدى استعدادهم للتضحية في سبيل نشرها . . اننا نريد دعاة مجاهدين . . هناك دعاة . . ولكنهم لا يجاهدون . . المطلوب دعاة مجاهدون يستطيعون تحمل الذهاب الى أماكن إقامة اللاجئين ويكون لديهم الايمان والصبر على الكفاح وضرورة التغلب على الصعوبات ولا يعتبرون أنفسهم موظفين يحصلون على رواتب مقابل هذا العمل . . يجب أن يكونوا دعاة يسرون على ما كان يسير عليه الدعاة أيام الرسول صلى الله عليه وسلم . . فالدعوة جهاد عملي . . جهاد مستمر . . يتولاه مؤمنون بملأ الايمان قلوبهم . . وسنستمر في المحاولة حتى ينتشر الاسلام تماما في هذه البقاع . . وحتى يبقى فيها ما بقيت الحياة . □

كثير من طائرات الهليكوبتر تحت تصرف المبشرين ، وفيهم عدد كبير من القسوس الأجانب ، حيث تنظم العملية كلها تنظيمًا محكمًا وتقول تمويلا سخيا ، يفترق الى مثله الدعاة المسلمون الذين يواجهون الكثير من الصعوبات ، وخاصة أن المبشرين يملكون الأدوات الكاملة التي تسهل لهم القيام بمهمتهم ، ويستخدمون القوارب البخارية ، ويملكون الزوارق التي يتحركون بها بين المستنقعات والمجاري المائية في الأدغال حيث يعيش رجال القبائل . . كما ان لديهم ضمانات كاملة للحياة وعندهم امكانية إقامة مدارس تعليم .

● ولكن لماذا لا يتحمل الدعاة المسلمون مثلما يتحمل المبشرون ؟

الاجابة الصريحة أنه منذ أيام الاستعمار الذي كان يسيطر على المنطقة كلها كانت الجهود مستمرة لعزل المسلمين عن المناطق التي يعيش فيها رجال القبائل في الادغال . . والاستعمار ينجح دائما في أن يمسح التاريخ عن بعض البلاد حتى لا يحس أهلها بوجود اخوة لهم . العزلة والفرقة أحد وسائل المستعمرين وعن طريقها جعلوا البلاد وكأنها جزر منفصلة ومناطق متباعدة لا يقترب منها الآخرون . ونجحوا في ذلك عن طريق عدم إتاحة أي وسيلة من وسائل المواصلات التي تسهل التقارب بين السكان . . طبعاً هذا الذي حدث قديماً كان له تأثيره في الوقت الحاضر ولكننا الآن ومع احساسنا بالمسؤولية الكاملة نواصل تقدمنا وخطواتنا ، وستظل الجهود مستمرة مع بذل كل الطاقات من أجل تقدم الاسلام ونموه في سرواك .

مطلوب دعاة مجاهدون

● يتحدث المشرف على الدعاة «أوانش بور» فيقول :

ان الصعوبات تتركز في بعد المناطق الداخلية عن المدن ، كما ترجع الى صعوبة المواصلات للوصول الى أماكن إقامة رجال القبائل . كما تفتقر الدعوة الى عدد أكبر من الدعاة المدربين . صحيح ان لدينا مبعوثين من الرابطة الاسلامية ومن دار الافتاء يبلغ عددهم حوالي عشرة . وفي كل سرواك لا يتجاوز عدد الدعاة ثلاثين ، غير الخطيب والامام في المسجد . ولكن الدعاة الوطنيين يدرسون عن طريق غير مباشر في المساجد ، مما دعانا الى توجيه عدد يصل الى مائة يدرسون الآن في المعاهد الاسلامية في ماليزيا الغربية ، ويواصل بعضهم التعليم في مصر وعددهم



اعداد : يوسف زعبلوى

حضارة انيانج

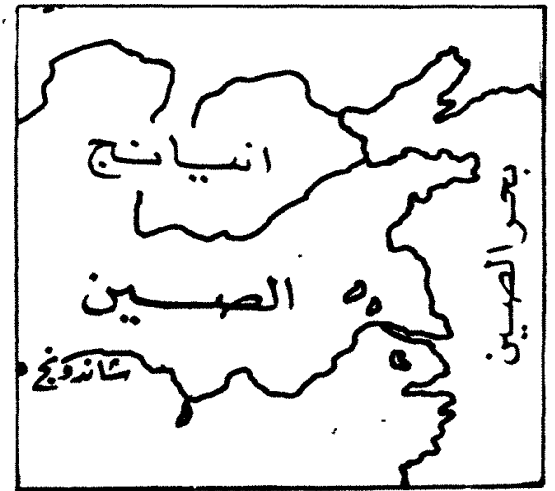
أقدم حضارات أهل الصين

حوالى ٣٦ قرنا ، أى فى سنة ١٧٠٠ ق م على وجه التحديد . . .
 فى تلك السنة ظهر (شنج تانج » وهزم غريمه (جي) . . . وهكذا انتهى عهد سلالة (كسيا)
 السلالة الأولى التى حكمت الصين ، وبدأ عهد سلالة (شانج) التى ترعرعت فى زمنها أولى حضارات الصين .

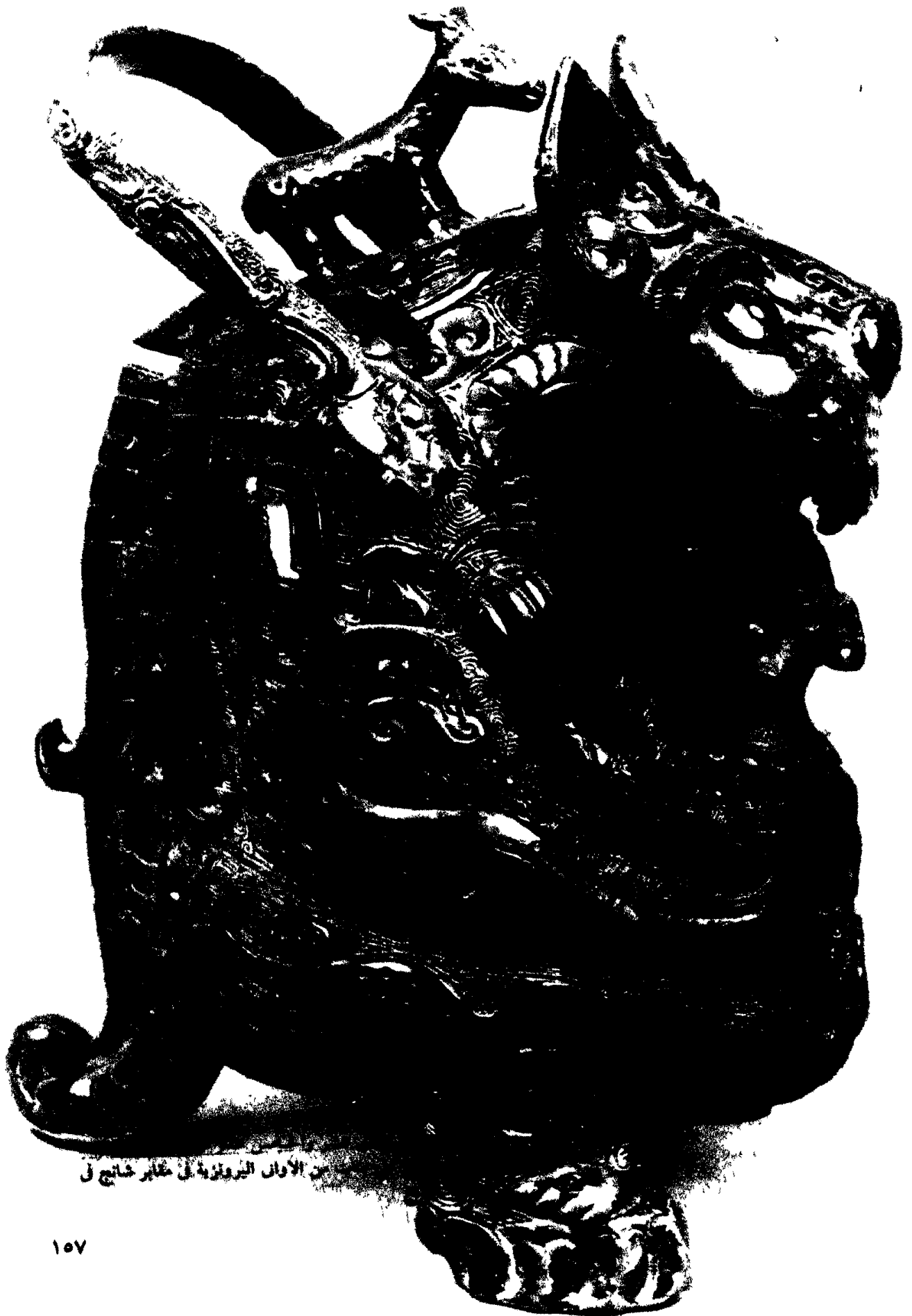
حضارة فى الظلام

أما موقع تلك الحضارة فمدينة (ين) التى تقع غير بعيد عن نهر (هوان) التى اتخذت من ذلك النهر حصنا منيعا يقىها شر العدوان من جانب المدن والدويلات الأخرى ، وقد تكاثرت فى ذلك العصر الاقطاعى من تاريخ الصين . . .
 وأما مولدها فى سنة ١٣٠٠ ق م ، حين ظهر الملك المحارب (بان جنج) واحتل تلك المدينة ، واتخذ منها عاصمة له ، وطرد مستوطنىها الأوائل ، وكانوا من أقوام العصور الحجرية . . . ليحل محلهم قومه ، قوم شانج الذين اعتمدوا البرونز ، والذين بنوا حضارة

يندر أن تجد بين حضارات البشرية جميعا حضارة تفوق حضارة الصين ، من حيث غزارة المخترعات التى ابتكرتها أو طورتها ثم جادت بها على الآخرين . . . ومع ذلك فإن عهد أهل الصين بالحضارة يعتبر حديثا نسبيا . ولعله لم يبدأ الا قبل



خريطة انيانج



من الأواني البرونزية في متحف شانج في

العظام انها ردت على تلك الأسئلة . . اذ عمد المتنبئون الى حفر العظمة ، وادخال قضيب ساخن في الثقب الذى حفروه فيها ، حتى تتشق تلك العظمة وتنكسر . . ويتمكنوا من التنبؤ بالمستقبل ، وذلك بالتحديق في ذلك الكسر وتلك الشقوق . . واستشفاف أجوبة الآلهة والأجداد على تلك الأسئلة

أما البناء والعمران في حضارة (إنيانج) فكان من فئتين مختلفتين تمام الاختلاف . . فئة القصور ، قصور الملوك والنبلاء ، وفئة الثقوب المحفورة في الأرض كالأبار ، وهى البيوت التى سكنها عامة الشعب .

وتنوعت أشكال هذه الثقوب . . فكان بينها المستدير والمربع والمستطيل ، وتراوح عمقها بين ٣ - ٤ أمتار . . وتفرعت الى ثقوب جانبية فرعية أصغر حجما من الثقوب الرئيسية . . وقد استعملت تلك الثقوب كمستودعات ، ولأغراض أخرى مختلفة . . والغريب أن تلك المنازل حرمت الرحابة وحرمت الضوء أيضا . . وكأن المكان الفسيح المنير كان من حق الأسرة الحاكمة وحاشيتها والنبلاء . . وحدهم دون سواهم . .

ولعل تلك المنازل الشعبية الخفية في باطن الأرض ، أشبه ما تكون بملاجئ الغارات الجوية . . أو الأنفاق . . انها مساكن الأنفاق . . وهى ما زالت تبنى وتسكن في شمال غرب الصين في الوقت الحاضر . .

ولو انتقلنا من تلك المنازل الشعبية الى منازل الملوك والأمراء ، لشعرنا وكأننا نتنقل من القبور الى القصور . . وحسبك أن القصر الملكى بنى من حجر ، واشتمل على ٢٠ صرحا أو أكثر أقيمت كلها بمحاذاة أحد الشوارع الرئيسية ، ولم تكن تلك الشوارع واسعة ، ولكنها كانت مبلطة بحجارة بحجم بيض الأوز . .

لقد اكتشفوا سبعة قصور - غير القصر الملكى - وخمسة عشر معبدا ، وعددا كبيرا من المباني ، وقد بلغت مساحة الواحد منها ما لا يقل عن ٤٠٠ متر مربع (٤٠ × ١٠) وكان أكثرها معدا لإقامة الطقوس والشعائر .

خنجر برونزى ، من الأسلحة التى استعملها أهل إنيانج في القرن الثانى عشر . . لاحظ النقوش والصور الدقيقة على مقبض الخنجر

الصين الأولى في ذلك العهد الشانجى (١٣٣٥ - ١١٢٣ م) ، والجدير بالذكر أن الحفريات التى كشفت عن معالم تلك الحضارة لم تبدأ الا سنة ١٩٢٨ ، واستمرت حتى عام ١٩٣٧ ، وقد أجريت في موقع (أنيانج) وهو الاسم الحديث لموقع مدينة (ين) القديم . . .

ولعل أهم وأطرف ما عثرت عليها تلك الحفريات ، مجموعة العظام التى شملت فيما شملت أكتاف الثيران . . وظهور السلاحف ، فقد نقش قوم أسئلة عديدة مختلفة على تلك العظام . . هى الأسئلة التى طرحوها على الآلهة ، أو وجهوها الى الأجداد والأسلاف ، وقد احتلوا المرتبة الثانية التى تلى مرتبة الآلهة في عرف أهل الصين . . والطريف في تلك

دود القز والحريز

وأما الأعمال التي مارسها أهل (انيانج) فكانت الزراعة أهمها بلا نزاع . . لقد زرعوا الذرة بأنواعها ، والقمح ، وزرعوا الأرز فوق هذا أو ذلك . . واعتنوا بتربية الدواجن والمواشي ، وبخاصة الخنازير وأتقنوا تربية دودة القز . . وقد صنعوا من غزلها الأنسجة الحريرية الفاخرة ، التي طالما ظفرت باعجاب الشعوب الأخرى جميعا . .

على أن تربية دودة القز لم تكن من مبتكرات حضارة (إنيانج) . . ويرجح المؤرخون ان تأنيس دودة القز في الصين يعود الى حوالي سنة ٢٠٠٠ ق ٢٠٠٠

واحتلت الصناعة المرتبة الثانية في حياة قوم (شانج) اليومية وقد أكثروا من صنع الأواني البرونزية ، وخصوصاً تلك التي كانت لصنع النبيذ بالتخمير ولشربه . . وكان النبيذ ضروريا لشعائر التضحية عندهم . . ولطالما رشوا القبور بالنبيذ عقب دفن موتاهم .

ولعل أهم اناء صنعوه من البرونز هو الذي عثروا عليه في أحد المقابر الملكية ، وقد بلغ طوله « ١,٢ متر » ، ووزنه (١٨٠) كيلو جراما وأما الغرض من ذلك الاناء العملاق فكان تقديم الحيوانات قربانين للآلهة . . فقد اتسع الاناء لخروف أو خنزير بكامله . . وغالبا ما غلوه في الماء قبل تقديمه قربانا . . عثروا عليه كما قلنا في أحد المقابر الملكية . . .

ويعجب المرء للمكانة الرصينة التي تبوأها ملوك (شانج) بالرغم من أنهم لم يكونوا آلهة في نظر الرعية . . وقد تجلت تلك المكانة في قصورهم ، كما أسلفنا ، وتجلت أيضا في تقاليد دفنهم في القبور فقد درج قوم (شانج) عند موت أحد ملوكهم ، على قتل حرس ذلك الملك وخدمه وكلابه . . ودفنهم معه . . وكثيرا ما دفنوهم أحياء . . وذلك بقصد حماية الملك من الأرواح الشريرة . . وقد عثروا في قبر أحد الملوك على ٥٠٠ رجل ، ضمتهم قبور ملحقة بقبر الملك . . وعثروا في منطقة أخرى على مفرزة

كاملة من الجند . . وأربعة من قواد العربات . . والخيول . . ذبحوا ودفنوا اكراما للملكهم المتوفى . . ولم يغفل قوم شانج عن ملء قبر الملك بأسلحته الخاصة ، وحاجياته المحببة اليه . . بما فيها الآلات الموسيقية . .

منجزات وملامح

ذلك أن أهل انيانج عرفوا الكثير من الآلات الموسيقية ، وشغفوا بفنون أخرى كانت حياة الازياء في طليعتها فقد حرصوا على ارتداء السترات المختلفة الأشكال والأحذية الأنيقة . . وعنوا كثيرا بقبعات النساء المزيفة والمرصعة . .

ويظل الدولار على رأس الخصائص التي تميز بها حضارة (انيانج) . . من هنا كان انتشار العربات التي جرتها الخيول ، وكانت وسيلة الانتقال الرئيسية للنبل . . على أن قوم (شانج) عرفوا كيف يستغلون الدولار أيضا في أعمالهم الزراعية . .

ويتساءل المرء بعد ذلك كله : كيف أمكن لأهل إنيانج الحصول على البرونز بكميات كبيرة ، بالرغم من أن هذا المعدن لم يكن له وجود في أرض تلك المدينة ، ولا بالقرب منها . . لا بد إذن أن يكونوا استوردوه من مكانه البعيدة . . .

وقل مثل ذلك في الصدف الذي وجدوه بكثرة في المقابر . . ومن الواضح أنهم استعملوه للزينة . . ولربما كعملة للبيع والشراء . .

والمرجح أن هذه الأشياء التي لا وجود لها في المنطقة ، إنما كانت بحكم الجزية التي قدمتها ممالك بعيدة ، كانت تقع على حدود الصين أو خارجها ، وتدين بالولاء للملوك شانج . . .

وجاءت سنة ١٠٥٠ ق م ، وإذا بحكام أقاليم الغرب يثرون على ملكهم (زهاو) وينقلبون على حكمه ، وقد أبوا أن يكون الملك مدمنا على الخمرة ، وخاضعا لأفراد حاشيته ، وهكذا بادت حضارة مدينة (ين) بعد أن سادت طوال قرنين من الزمان . □

■ لا القلعة ولا الحسناء تثبت طويلا بعد المفاوضة (بنيامين فرانكلين) .

مجلة
العرب
الصغير

٦٤

صفحة
لانس

مكتبات العرب

مع مجلة
داخلية خاصة
في ٨ صفحات للصغار

في الأسواق أول كل شهر

من لانس لأبنا

لا تدفع أكثر من
٢٠٠ فلس كويتي
أوماعاد لها
للنسخة الواحدة

جدة
فتيسة
تنظر طفلك
شهريًا في مسابقة
المرئي الصغير



مَجَلَّةُ الْأُسْرَةِ وَالْمَجْتَمَعِ

وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ الشَّيْءَيْنِ كَمَا
يَظُنُّ أَنَّ كُلَّ الظَّنِّ الْإِتْلَاقِيَا



جَدَّة

الْحُبُّ .. مَخَاطَرَةٌ وَثِقَةٌ وَمَشَارَكَةٌ



الحمى



مخاطرة، وثقة، ومشاركة

بقلم : راجي عنایت

يمنعنا الخوف من أن ندخل في علاقات انسانية ، خشية الفشل أو الرفض أو الألم ،
وخوفنا من الألم هذا يحرمنا من أن تنشأ علاقات بيننا وبين الآخرين .

التي تحميهم من آلام الحب ، يحرمون أنفسهم من
عمق ودفء المشاعر الحقيقية في الحياة الإيجابي منها
والسلبي .

ويسلك بعض الأشخاص الطريق المضاد ، فهم
ما ان يقعوا في الحب حتى يصعدوا أحلامهم
الرومانتيكية الى أقصى مدى لها مما يقود إلى خيبة
أمل ، غالبا ما يكون لها أثر سيء على الصحة النفسية
للإنسان .

ان اختيار الطرف الآخر في أي علاقة أو بمعنى أدق
حسن اختياره ، يعتبر الركيزة الأساسية التي تقوم
عليها العلاقة الراسخة ، ونحن عندما نحاول انشاء
علاقة جديدة بشخص آخر ، أو نحاول تعميق علاقة
قائمة ، تتدخل في هذا العديد من العناصر الشعورية
واللاشعورية .

ومن التجارب التي تفتقر الى النجاح تلك التي

ان تحب ، يعني أن تخاطر . . فأنت
عندما تعرض نفسك على شخص آخر ،
تكون معرضا الى أن يرفضك الطرف الآخر . . ولكن
إذا ما أحكمت حماية نفسك من الام الرفض فأنت
بذلك تجعل من المستحيل أن تنشئ علاقة بينك وبين
الآخرين ، أو تصل علاقتك بهم الى مستوى
التآلف .

في العديد من الحالات ، يعتمد الطرفان الى ابقاء
العلاقة بينها عند حدها الأدنى ، تخوفا من الاحساس
بالألم اذا ما انفصلت العلاقة ، وهم في الدفاع عن
موقفهم هذا يشيرون الى الوقائع المؤلمة من حولهم ،
للزيجات الممزقة ، وعلاقات الحب المقطوعة ،
وما يسيبه هذا للأطراف الداخلة في هذه العلاقات
الجادة من معاناة . لكن هؤلاء ينسون أنهم باقامة
العوائق في طريق العلاقات الحميمة ، ورفع السواتر



وهنا ينشأ السؤال .. الى أي مدى يمكن أن تخاطر
بوضع ثقتك في الطرف الآخر ؟

الثقة الحقيقية يجب أن تنمو بالتدريج ، أما الثقة
المباغتة المباشرة فغالباً ما تنقصها عوامل الثبات
والاستمرار ، ذلك لأن الثقة النامية ، تمتحن على
مدى الزمن في وجه الضغوط ، يقول الكاتب مارتن
روزنمان ان تنمية الثقة تشبه تقشير البصلة ، عندما
يتم نزع القشرة الخارجية يصبح من الممكن الانتقال
الى عمق أبعد ، وفي الناس كما في البصل تقوم القشرة
الخارجية بدور الحماية . !

ومن بين وسائل اختيار ما اذا كان الطرف الآخر
موضع ثقة محاولتك التدريجية للكشف عن مناطق
ذات حساسية عاطفية خاصة لديك .. مثال ذلك ،
بعض الخبرات الخاصة في ماضيك ومشاعرك نحو
عجز تشعر به .. اذا ما استغل الطرف الآخر ما
يبلغه ضدك ، فهذا يعني صعوبة تحقق المشاركة
وتبادل الثقة ، أما اذا احترم الطرف الآخر مشاعرك
وحساسياتك الخاصة ، عندئذ يمكنك أن تكشف له
نواحي ضعفك الأكثر حساسية وأنت مطمئن .

وكلماً تحت الثقة ، وتزايد الاحترام المتبادل ،
أمكنك الكشف عن مزيد من خفايا حياتك ، التي

يختار فيها الانسان شريكه بدافع رغبة ملحة في
انقاذه ، أو على العكس من ذلك ، عندما يختار
الشريك متوقفاً منه أن يلعب دور المنقذ في هذه
العلاقة ، ومع أن الرغبة في مساعدة ومساندة الصديق
أو الحبيب دافع طبيعي مستحب ، الا أن الشخص
الذي يغرق في وهم انقاذ شريكه وحل مشاكله يسعى
في واقع الأمر - غالباً - الى تحقيق وتأكيد مجده
الشخصي ، وفي هذه الحالة يصبح من حق الطرف
الأخر أن يستغل هذا الوضع ، ويوكل اليه حل جميع
مشاكله ، مستمرنا الفكك من وطأتها .

كذلك من عناصر الفشل في علاقة الانسان
بالآخرين ، توهم القدرة على علاج نواقص الأطراف
الأخرى ، وتقويم تصرفاتها ، وتغيير أساليبها في
الحياة ، وتحويلها - بمعجزة - الى صور يحلم بها .

الثقة قبل الحب

عندما تنشأ بينك وبين طرف آخر علاقة تآلف ،
تكون معرضاً للآلام النفسية اذا ما حاول الطرف
الأخر أن يستغلك ، أو يحقق منفعة عن طريقك ،



السبعينيات ، عندما بدأنا بحثنا الاول ، كنا نؤمن بهذه الحقيقة ، ونرضى بذلك القول الشائع ، لكن البحث العلمي المنظم أثبت عدم صحته .

لقد قام الزوجان واليستر بالاشتراك مع هيئة من المساعدين الباحثين ، بدراسات تواصلت لمدة خمس سنوات ، وأشارت نتيجة هذه الدراسات الى أن الرجال يحبون المرأة الصعبة ، بنفس الدرجة التي يحبون بها المرأة السهلة . . وهما يقولان :

« كيف اذن يجدر بنا أن نتصرف ؟ . . هل نعرف للطرف الآخر بأننا نحبه حتى نوفر له الاطمئنان ؟ . . أم يجب علينا أن ناور في ذلك ؟ . . الاجابة المثلى : تعرف بشكل طبيعي ، فمن المستحيل التنبؤ بما يميل اليه الطرف الآخر ، البعض ينجذب الى النوع الوديع ، والبعض الآخر يفضل الشريك الناقد المنطوي ، لذا فالتصرف الأسلم هو أن نلتزم الأمانة والصراحة ، نعلن اعجابنا بمن نحبه ، ونطرح آمالنا في علاقة معهم . .

واذا رجعنا الى الدراسات التي أجريت على أساليب الحب عند البشر ، وجدنا اختلافات في هذا المجال بين مختلف أنماط المحبين ، الحب المناور ، الذي تحمسه الاثارة ويستهو به الحدي ، يستجيب بحماس غالبا للطرف الآخر الذي يصعب الوصول اليه ، أما الذين ينتمون الى نمط الحب الشبقي أو الشهواني ، وكذلك الذين ينتمون الى أنماط الحب العملي أو حب التملك ، فهم عادة يستجيبون لاعتراف الحب المباشر من الطرف الآخر . وبين هذين الموقفين نجد الذين ينظرون الى الحب كعطاء أو كصدقة .

مواقف أنماط المحبين

عندما يتحقق الحب وتنمو الثقة يبقى السؤال : هل أكشف أسراري الشخصية أمام الطرف الآخر ، أم أكتمها عنه ؟ المعروف أن نمو علاقة الحب يساعد عليه الادراك المتبادل ، والكشف المتبادل لمناطق النفس البشرية ،

تعتمد الى اخفائها في الاحوال العادية ، دون خشية استخدامها ضدك .

والثقة يمكن أن تنشأ عندما يكون البوح بالخصائص متبادلا بين الطرفين ، ذلك لأن تبادل المشاعر يشجع على المشاركة ، ويوفر الحماية ، ويدعم العلاقة ، والملاحظ أن الناس عندما يبرون بمحنة واحدة تجمعهم ، غالبا ما يكشفون عن خصائصهم الشخصية ، فيتحقق بينهم التقارب المباشر والعميق .

وكوسيلة لقياس مدى الثقة في الطرف الآخر ، يمكنك أن تلاحظ مدى التناقض بين مايقوله وما يفعله ، وان تأمل خبراتك السابقة معه لتبين اذا ما كان يلتزم بقوله ، واذا ما كانت تصرفاته توحى بالثقة .

الاعتراف . . أم المناورة ؟

والكثير من المحبين والمحبات يتعامسون عن المشاكل التي قد تنشأ بينهم وبين الأطراف الأخرى ، ولا يهتمون بمناقشة المسائل الحيوية بالنسبة للعلاقة التي يدخلون فيها ، وغالبا ما يتجاهل المحب تحديد مدى ما وصلت اليه العلاقة مع الطرف الآخر . لهذا ، عندما يقوم المحب بمراجعة افتراضاته ، وعندما يكون واعيا بما يفعله ويقول الطرف الآخر ، يمكنه أن يصل الى فهم افضل للعلاقة التي بينه وبين الطرف الآخر .

والكثير من يدخلون في علاقة حب ، يترددون في مواجهة الطرف الآخر : هل يعترفون بحبهم أم يعمدون الى المناورة ، قبل الاعتراف بالحب ، وفي كتاب « نظرة جديدة على الحب » يناقش المؤلفان الين ووليامز واليستر هذه المسألة فيقولان :

« يتفق سقراط مع أوفيد مع كتاب كاموسوترا مع برتراند راسل ، في أن الحب يشتعل عن طريق الاثارة والتحدى ، والحقيقة انه من النادر أن نجد اتفاقا واسعا مثل هذا حول مسألة كهذه ، الا أن الدراسات أثبتت - لسوء الحظ - عكس هذا القول ، ففي أوائل

اهتماما خاصا بتلك الحقائق التي يمكن أن تهدد العلاقة في المستقبل .

ونواقص الطرف الآخر وأسراره الخاصة ، قد تثير المحب المتأور في بعض الأحيان ، ولكنها قد تصدمه في أحيان أخرى ، وهو في جميع الأحوال ينظر الى ما يصل اليه باعتباره كنزا من المعلومات القيمة الثمينة التي يحتاج اليها ، ويعتمد على تفاصيلها عندما يخطط مناوراته القادمة . وفي أحوال خاصة ، قد لا يتورع عن استخدام ما بين يديه من معلومات ضد الطرف الآخر ،

أما المحب من النوع الشبقي أو الشهواني ، فيسعى الى معرفة كل المعلومات الممكنة التي تتصل بالحياة الجنسية للطرف الآخر ، محاولا التعرف على خلفياته ، لكنه غالبا ما يتجنب اشارة الحقائق التي لا تتصف بالرومانتيكية (مثل تفاصيل مرض أصاب الطرف الآخر ...) .

تعلم الرماية

وبصفة عامة يكون هناك تناسب طردي بين مدى المشاركة الانسانية بين الطرفين ، وبين درجة الثقة المتبادلة .

عندما تتحقق الثقة فان الكشف المتبادل لنواحي النقص ومشاعر العجز تزيد من ترابط الطرفين .

والمشاركة الأمنية ، والكشف الصادق الكامل ، قد يكون أكثر صعوبة وتعقيدا في مجال الشؤون الجنسية ، ومع ذلك فان الحب الناجح في هذا المجال يعتمد على التفاهم الكامل بين الطرفين ، تقول عالمة النفس هيلين سنجر كابلان ، الاختصاصية في شؤون الجنس ، ان الذي يرغب أن ينشئ علاقة حب مؤثرة دون أن يقيم تفاهما متبادلا مع الطرف الآخر ، يكون أشبه بالذي يريد أن يتعلم الرماية وقد عصب عينيه ! وتؤكد ضرورة أن يسعى كل طرف من طرفي العلاقة الى معرفة ما يسعد الطرف الآخر ويسره ، فمن خلال المشاركة العقلية الصادقة الأمنية ، يمكنها أن يحقق أكبر احتمالات الحب الناجح . □



الأمر الذي قد لا يكون مقبولا بالنسبة للأشخاص الآخرين .

عندما يطرح المتالفان أفكارهما ومشاعرهما ، يحققان فهما أدق لبعضهما ، ويتيحان لحيتهما أن ينمو ، ولكن هل يحسن أن يتكتم أحد الطرفين على بعض الأسرار ؟ هل يكون الكتمان أكثر فائدة في بعض الأحيان ؟ هل يؤدي البوح ببعض الأسرار الخاصة للطرف الآخر الى تخريب العلاقة ؟ .. الاجابة الدقيقة عن هذه التساؤلات تختلف باختلاف انماط وأساليب الحب التي يلتزمها ، ويندرج تحتها كل من الطرفين .

الذي ينتمي الى نمط الحب كصدقة ، يفيد البوح الكامل وبكل عناصر القصور والنقص ، ويكون دائما على استعداد للصفح كلما لزم الأمر .

أما الذي ينظر الى الحب كتملك ، الذي تستولى على نفسه الغيرة ، فيكون حساسا بشدة لاحداث الماضي ، واحتمالات المستقبل التي قد تهدد حبه للطرف الآخر .

المحب العملي ، يحسن تقبل نواقص الطرف الآخر ، ويساعد في حل مشاكله اليومية ، لكنه في نفس الوقت يجري تقييما لما يتجمع لديه من معلومات عن الطرف الآخر من خلال المكاشفة ، ويبيدي



وقفية
علمية
مع ..

أول صرخة للطفل

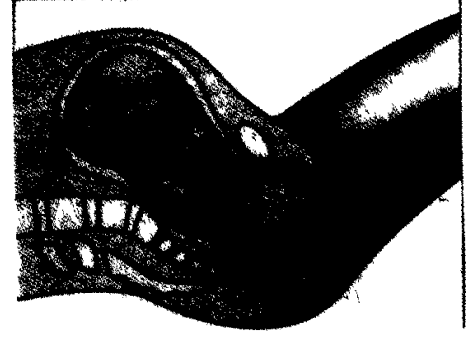
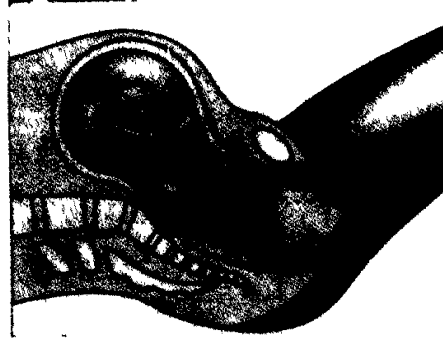
بقلم : الدكتور ضياء الدين الجماس

صرخة المولود ساعة يولد هي لحظة مصيرية يترتب عليها الكثير من الامور ، وفي كل دقيقة تمر تتردد هذه الصرخة مئات الالوف من المرات في جميع اركان الأرض . . فهي اعلان عن استمرار الحياة . . أفلا تستحق منا هذه اللحظة وقفة علم وجيزة اجلالا للماخض وما يتمحض عنه ؟ .

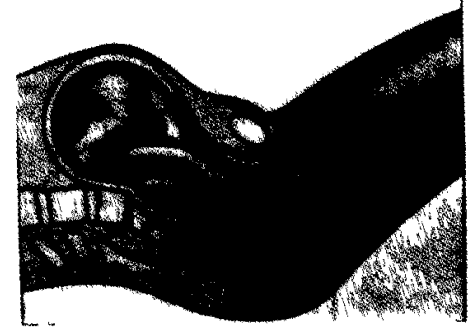
يعد اكتمال اعضاء الجنين ، ونضجها الى درجة تؤهلها للقيام بوظائفها المتكاملة خارج الرحم ، وقبل أن يصبح حجمه كبيراً لا يتناسب مع الطريق المقرر لخروجه ، يقتضي الحال اخراجه في الوقت المناسب ، فيأتي « الأمر » للرحم بالانقباض ، وللمطرق الناقلة بالاسترخاء ، فتصبح الرحلة سهلة من الظلمات الى النور . ويطلق على مجمل الأعمال الفيزيولوجية التي تؤدي الى انفتاح عنق الرحم ودفع الجنين وملحقاته للخروج من الرحم الى العالم الخارجي « المخاض » Par-turition ، وأما الولادة Labor فهي حصيلة المخاض وخروج المحصول Delivery ، ويتقبل المولود عالمه الجديد بصرخة مبهمة ، لا تترجم الا بعد سنوات . . فنجدها صرخة طبيب ، أو صرخة عالم ، أو صرخة قائد يهز العروش . ! إن العناية بالمخاض امر مهم ، وتعلمه واجب على كل فرد من افراد المجتمع المتقدم ، لما فيه من فائدة في ازالة الأوهام والمخاوف التي لها تأثير كبير في سير المخاض وزيادة مخاطره . .

إن معظم الولادات (٩٥٪) هي ذات المجيء الراسي ، وهي التي تمثل الولادات الطبيعية التي يمكن ان تجري في المنزل في كثير من الاحيان (ما لم يكن هناك عسرة ولادية تحتاج الى نقل الام للمستشفى) ولذلك كان لابد من التدقيق في حساب التاريخ المقرر لحدوث المخاض ، لاتخاذ الاحتياطات اللازمة قبل وقوعه . ولكن لابد ان نعلم ان هذا الحساب تقريبي ، لأن المخاض يبدأ فجأة ، ولذلك تؤخذ الاحتياطات قبل عشرة ايام من التاريخ المقدر ويكون الحساب سهلا اذا عدنا لأول يوم من الطمث الاخير . بينما تقل دقة الحساب في الطرق الأخرى التي تعتمد على تقدير حجم الرحم ، او طوله الخ . . . وسأشرح باختصار تفاصيل الحالتين السابقتين :

بعد اكتمال اعضاء الجنين ، ونضجها الى درجة تؤهلها للقيام بوظائفها المتكاملة خارج الرحم ، وقبل أن يصبح حجمه كبيراً لا يتناسب مع الطريق المقرر لخروجه ، يقتضي الحال اخراجه في الوقت المناسب ، فيأتي « الأمر » للرحم بالانقباض ، وللمطرق الناقلة بالاسترخاء ، فتصبح الرحلة سهلة من الظلمات الى النور . ويطلق على مجمل الأعمال الفيزيولوجية التي تؤدي الى انفتاح عنق الرحم ودفع الجنين وملحقاته للخروج من الرحم الى العالم الخارجي « المخاض » Par-turition ، وأما الولادة Labor فهي حصيلة المخاض وخروج المحصول Delivery ، ويتقبل المولود عالمه الجديد بصرخة مبهمة ، لا تترجم الا بعد سنوات . . فنجدها صرخة طبيب ، أو صرخة عالم ، أو صرخة قائد يهز العروش . ! إن العناية بالمخاض امر مهم ، وتعلمه واجب على كل



مراحل تقدم مجيء الجنين
(الرأس) عبر المهبل الى
خارج الفرج .
لاحظ اسلاك المولود
لرأس بعد تمام
خروجه .



واذا جس بين السرة والرهابة كان عمر الحمل ٣٢ - ٣٣ أسبوعا .

ويكاد الرحم ان يلامس الرهابة في الأسبوع السادس والثلاثين من الحمل . ثم ينخفض عن الرهابة بعد ذلك عندما يدخل الرأس في الحوض ، ويتم ذلك في الأسبوع ٣٨ عند (الحوامل للمرة الأولى) ، بينما يتأخر عند الولادات حتى قرب المخاض . والشكل (١) يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر . وعندما تقترب الايام الاخيرة لتمام الحمل ، قد تشعر الحامل ببعض العلامات والأعراض التي تنذر بقرب المخاض الحقيقي ، وهي :

● المخاض الكاذب : **false parturition (labor)**

وهو شعور الحامل بازدياد شدة التقلصات الرحمية ، وتقاربها ، ولكنها تبقى غير منتظمة وغير مؤلمة غالبا ،

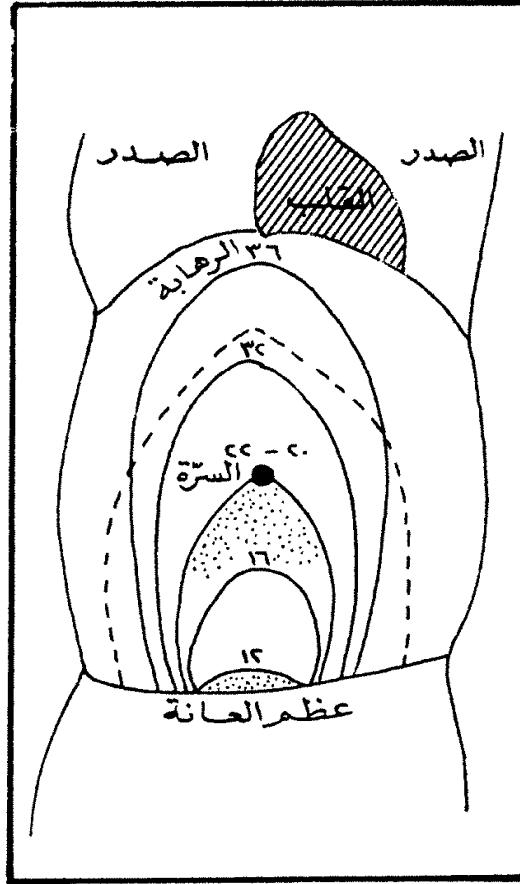
١ - اذا كان تاريخ أول يوم من آخر طمث معلوما يضاف الرقم (٧) الى تاريخ اليوم ، ثم تضاف تسعة اشهر شمسية (او عشرة اشهر قمرية) فمثلا : اذا كان تاريخ أول يوم من الطمث الاخير هو ١٩٨٥/١/١ ، فإن الولادة المحتملة تقع في ١٩٨٥/١٠/٧ ، او قبل هذا التاريخ او بعده بعشرة ايام .

٢ - اذا كان الطمث الاخير مجهولا يمكن تقدير عمر الحمل بجس حافة الرحم بين العانة والرهابة وفق ما يلي :

اذا جس الرحم فوق العانة كان عمر الحمل تقريبا ١٢ اسبوعا .

واذا جس الرحم بين السرة والعانة كان العمر ١٦ اسبوعا .

واذا جس الرحم عند السرة كان عمر الحمل ٢٠ - ٢٢ اسبوعا .



ولا تؤدي الى تغيرات في عنق الرحم . وكثيرا ما تدفع هذه التقلصات الحامل الى الطبيب او القابلة .
● التخفيف :

وهو شعور الحامل بهبوط مستوى قعر الرحم ، فتخف لديها الاعراض الناجمة عن ضغط الرحم على المعدة ، والحجاب الحاجز (ضيق النفس ، وثقل الطعام الخ . .) . وكثيرا ما تعبر الحامل عن هذا الشعور « بسقوط الولد » ، وفي الحقيقة يحدث ذلك نتيجة دخول المني في الحوض . .
● العلامة :

وهي ما تلاحظه الحامل قبل ١٢ - ٢٤ ساعة من بدء المخاض الحقيقي من مواد مغطاة مُدَمَّة ، وتمثل في غالب الاحيان مخاط عنق الرحم الممزوج بالدم المرتشح من العنق اثناء امحائه واتساعه .

التصرف السليم في هذه المرحلة :

اذا شعرت الحامل بأحد هذه الأعراض او كلها ، فلتعلم أن موعد المخاض الحقيقي قد اقترب وأن هذه الأعراض طبيعية ، ولتكن رابطة الجأش قوية العزيمة ، ولتوكل امرها الى الله . . وعليها ان تقوم ببعض الاجراءات التي يرشدها اليها الطبيب في زيارتها السابقة تستدعي المولد (الطبيب او القابلة) اذا كانت ترغب بالولادة المنزلية ، اما اذا كانت تلد لأول مرة فيفضل أن تنقل الى المستشفى . وعلى اية حال يحدد الطبيب المكان الافضل للولادة . ومع المخاض الحقيقي تصبح التقلصات الرحمية منتظمة ، ومؤلمة ثم تتزايد بالتدريج ، وتؤدي الى امحاء واتساع عنق الرحم ، وتكون حصيلته خروج محتوي الرحم (الجنين وملحقاته ، والصماء او السائل السُّلِّي) الى العالم الخارجي عبر القطعة السفلية والمسالك التناسلية . ويعتبر المخاض طبيعيا اذا كان

الشكل يبين علاقة حجم الرحم بعمر الحمل المقدر .
تمثل الأرقام عمر الحمل مقدراً بالاسبوع .
والخط المنقط يبين حدود وحجم الرحم بعد هبوط قعره دون الربابة . وذلك في الاسبوع ٣٨ عند الخروج .
المجيء رأسيا قميا ، واستغرق زمنا طبيعيا (٨ - ١٠) ساعات عند الولادة ، و (١٢ - ١٤) ساعة عند من لم تلد من قبل .

أسباب الألم في المخاض :

لم تعرف اسباب الألم في المخاض حتى الوقت الحاضر ، ويعتقد انها تنجم عن احد العوامل التالية او جميعها :



تدخل المولود وتخلص
الكنتين وباقي الجسم .
لحظات حرجة .. ثم
الابتسامة .

١ - المرحلة الأولى وتستمر حتى تمام انحاء واتساع
العنق ، وذلك نتيجة للتقلصات الفاعلة لجسم الرحم
والتي تؤدي الى التمدد المنفعل للقطعة السفلية للرحم
فتؤدي بدورها الى انحاء العنق فأتساعه . ويساعد
على ذلك ايضا تقدم المجيء .

٢ - المرحلة الثانية وتشمل كامل الحوادث التي تؤدي
الى اخراج الجنين والسائل الصائفي (السَّل) الى
خارج الرحم .

٣ - مرحلة ولادة المشيمة (الخلاص) .
واذكر فيها يلي وصفا مبسطاً لتتابع هذه المراحل
عملياً :

تشدد الطلقات الفاعلة وتقتارب فتؤدي الى انحاء
العنق وتوسعه ، حتى يبلغ تمام الاتساع (١١ سم)
ثم ينتقب جيب المياه (يسمى ماء الرأس عند العامة)
اما تلقائياً ، او بتدخل من المولود ، فينفرغ السائل
السَّل (الصَّاء) فينقص حجم الرحم وتزداد
الطلقات شدة وتقاربا وعدداً ، وتزيد مقوية الرحم في

● فقر الدم الموضعي ، ونقص الاوكسجين في الليف
العضلي الرحمي بسبب التقلصات .

● الضغط على النهايات العصبية في العنق والقطعة
السفلية من الرحم .

● التمثط الواقع على الطبقة المصلية الصفاقية المغطية
للرحم .

● توسع عنق الرحم .

ومن صفات الألم المخاضي انه يرافق التقلصات
الرحمية ، ويزداد شدة ومدة كلما تقاربت الطلقات
(التقلصات) ، فيحدث كل ٢٠ دقيقة ثم يتقارب
حتى يصبح كل دقيقتين اثناء المرحلة الثانية
للمخاض ، ويستمر لمدة ٤٥ - ٧٥ ثانية .

مراحل الولادة :

تتم ولادة الجنين وملحقاته وفق ثلاث مراحل (في
المدرسة الامريكية) :



تتعرض الزوجة التي تلد لأول مرة اذا كانت دون السادسة عشرة للولادات الآلية ، والقيصرات .
واذا كانت مسنة (اكبر من ٣٥ سنة) فتضاف للاختلاطات السابقة احتمالات التعرض لفرط التوتر الشرياني ، والبدانة ، والورم الليفي ، والمجاثات المعيبة ، والمنغولية ، وطول المخاض بسبب عدم تناسق العمل الرحمي ، وللقسط المفصلي العجزوي المعصبي .

اما كثرات الولادة فيتعرضن للنزف بسبب كثرة مصادفة الارتكاز المعيب ، والانفكاك الباكر للمشيمة ، ويتعرضن للمطالة الرحمية وتمزقاتها ، ونزوف المرحلة الثالثة من المخاض .

الفترة الفاصلة بين الولادات :

تعتبر مدة الرضاع (ستان) افضل فاصل بين الحمل فهي كافية لاستعادة قوة ونشاط الجسم وتحمله لحمل جديد ، فاذا تكرر الحمل قبل ذلك التاريخ انهكت الحامل ، واذا طالت عن ذلك اصبح انذار الحمل الجديد يعادل انذار الحمل عند من لم تلد قبل ذلك ، وفي كتاب الله عز وجل نجد الآيتين الكريمتين :

● « والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة » ، البقرة ٢٣٢ .

● « وحمله وفصاله ثلاثون شهرا . . » الاحقاف ١٥ .

ف نجد ان الأولى تتماشى مع المبدأ الطبي في الرضاع الكامل ، واباحت الثانية مدة اقل فاذا كان الحمل تسعة اشهر ، كان الرضاع واحدا وعشرين شهرا ، والمهم ان اقل مدة ممكنة للحمل المثالي هي ثلاثون شهرا بما فيها مدة الحمل السابق . □

الدفع ، فيتقدم رأس الجنين عبر القطعة السفلية ، والمسالك التناسلية ، ويبرز تدريجيا في الفرج حتى يتخلص كاملا ، وعندئذ يقوم المولود بتنظيف المفرزات من أنفه وفمه ، ثم يمسكه بكلا يديه كالملقط ويجره للأسفل ثم للأعلى فتتخلص الكتفان فباقي الجسم ، يُدلى الجنين من قدميه لتنظيف الطرق الهوائية من السوائل المحتملة ، ولدفع الدم باتجاه الرأس فيطلق صرخته الأولى المبشرة بحياته ، ثم يُلْقَط الحبل السري بملقطي كوشر ، ولا ننسى ادخال كمية من الدم من الحبل الى جسم الجنين ، ثم يقطع الحبل فيما بين الملقطين فينفصل الجنين ، ويوزن بعد ربط السرة بخيط حريري على بعد ١,٥ سم من اتصاله ببطن الوليد . وبعد راحة وجيزة (٥ - ٢٠ دقيقة) تشتت الطلقات من جديد لخروج المشيمة وتنزل المشيمة وفق احد نموذجين :

١ - نموذج شولتز وهو ان تخرج المشيمة بوجهها الجنيني ، من الفرج ، ويحدث ذلك في ٧١٪ من الحالات .

٢ - نموذج دونكان وهو خروج المشيمة من حافتها ، وذلك في حالات الارتكاز المعيب ، على القطعة السفلية مثلا ، ويحدث هذا في ٢٩٪ من الحالات .
واذا لم تخرج المشيمة بعد ضغط الام ، يمكن جرها بلطف مع دفع خفيف على قعر الرحم بعد التأكد من انفصالها عنه . ولا مجال للتفصيل اكثر من ذلك لأنه يتعلق بالاخصائية ، ويجب التأكد من اكتمال خروج اجزاء المشيمة ، ثم وزنها ايضا .

انذار المخاض :

إن أفضل سن للولادات بين سن ٢٠ - ٣٥ سنة . والولود اسرع ولادة من اختها التي لم تلد من قبل ، ويعتبر المجيء القمي الايسر الامامي هو ايسر الولادات .

■ ان اتبع رجل في عين المرأة أجمل من جميلات جنسها .
(عباس محمود العقاد)

أبناء هذا الزمان

لم يعد هذا الجيل مثل أجيال سبقتة ، ولم يكن التغيير الحاد في أخلاقه وهواياته واهتماماته فقط ، بل امتد الى عقله وطريقة تفكيره ، كنت في زيارة لأسرة صديقة ، ويبدو أنني ذهبت في وقت غير مناسب ، فالأعصاب كانت مشدودة ، والكلمات حادة ، والتوتر يجيم على البيت كله . كان حوارا ثلاثيا بين الأبوين وابنها الطالب بالجامعة الذي فاجأهما بأنه لا يستسيغ دراسته الجامعية ولا يفهمها ، وانه يريد أن يسافر للخارج ليدرس ما يحب . وبدأ النقاش يدور حول هذا القرار الذي ألقى به بتصميم نهائي ، وعرضت مغريات وامتيازات وتنازلات ، وكثير من الطلبات التي كانت مؤجلة ، أعلن أبواه موافقتهم على تنفيذها الفوري ، ورغم هذا أصر الابن على أن نوعية الدراسة لا تروقه ، ولا يستطيع استساغتها ، ودخلت طرفا في النقاش ، وبدأت أسمع أفكاره وأنظر من خلاله الى جيل بأكمله كيف يفكر . . وينظر للأمور . قال لي ان التعليم لم يعد مجديا ، وعائد التعليم لا يصنع حياة ولا يحقق رفاهية ، وكم من أناس متعلمين في دائرة حياته لم يصنع التعليم لهم شيئا ، ولم يرتفع بمستوى حياتهم إلى الحد الذي يعيش فيه صاحب أقل حرفة ومهنة . . ولذا فان كل أحلامه أن يسافر للخارج يدرس لمدة عامين في مجال هندسة الصوتيات ، أو الأجهزة الدقيقة ، ويعود ليفتح مشروعا صغيرا يقوم فيه بالتسجيل الغنائي للشرائط الغنائية و . . و . . وأحلام كثيرة كبيرة ليس للتعليم فيها أي نصيب . . وكل مايريد من الخارج أن يضع بطاقة يقول فيها انه تعلم في بلد كذا . . ولم ينته النقاش الى نتيجة ، ولكن عقل أخذ يتساءل عن جيل بأكمله يفكر بهذه الطريقة ، لم تعد القيم الاجتماعية التي كانت هي العمود الفقري للمجتمعات كما هي . . سقطت قيمة العلم والمعرفة ، وتعاظمت قيمة المال . . لم يعد العمل والجهد الانساني هو ملح الحياة . . صارت الرفاهية هي حلمها النهائي وغايتها ، صحيح ليس مرضا ولا عيبا أن يتجه البعض الى العمل المهني ولكن الكارثة أن يتصور البعض أن هذا الاتجاه بديل عن العلم ، ألا يعترف بقيمة العلم والمعرفة . . وليس سهلا أن نضع أصابعنا على سبب الأزمة . . فالتغيير الذي أصاب مجتمعاتنا . . استهدف نخاع العظم . . فتبدلت قيم بدونها لائحيا المجتمعات ولا تستمر الأمم . . ولكن المتبقي أن هناك جيلا قيمه وأحلامه وأفكاره غير جيلنا . . وهذا الجيل هو كل المستقبل . . فهل نجلس لكي نسمع طويلا له ، ونفكر كيف سيكون شكل الغد ؟!

محمود عبدالوهاب



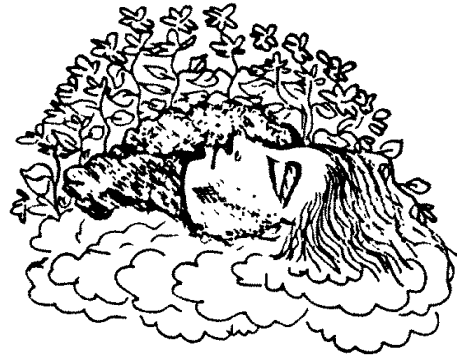
هَوَ ...

فِي انْتِظَارِ الْمَوْتِ

لا يتعظ بغيره . فقد وعيت تجربة صديقتي الراحلة
واعتظت بها ، وبدأت أصفي أوراقتي وحساباتي ،
وأمنح غفراني وحناني لكل من حولي . . . وأوصيت
شقيقتي على ابنتي الوحيدة ، ورجوت زوجي الا
يدخل بيتي امرأة أخرى قبل عام . . . وتمنيت عليه أن
يحسن معاملة ابنتنا وأن يذكرني بها ، ويذكر أياما طيبة
كثيرة كانت لنا . . . وذكريات جميلة رائعة كانت هي
العمر . . . قلت لأخوتي وأهلي لا أريد دموعكم ولا
صراخكم . . . أريد منكم حسن رعاية لوحيدتي التي
أتركها أمانة للعالم والناس ، ولا أريد منكم زهورا ولا
حدادا ، فقط أريد أن تذكروني ولو على البعد بكلمة
طيبة ، وقضيت أمسيات كثيرة مع زوجي أفكر معه
وأحكي وأقول له أفكاري حول مشاريع مستقبلنا
المعلقة التي لم تتم بعد ، وأطلب منه أن يعتاد على
التخطيط للحياة وحده ، وعندما يكتمل بناء بيتنا
الجديد . . . سيذهب اليه وحده . . . ويؤثثه
وحده . . . ورجوته كثيرا الا يجعل حزنه على سببي في
تأخير عمله . . . أو معوقا له في العمل . . . وقلت له انني
أذكر له حسن عشرتي وجميل صحبتي وبره بي وبأهلي ،
وانني غفرت له من زمن هفوات صغيرة ، وبعض
غضباته ، وسألته أن يسامحني ان كنت قد أسأت له ،
وأقسمت له أنني وفيت له بعهده . . . وعندما سألتني
يوما لماذا كل هذا ؟ قلت انني أصفي أوراقتي مع
الناس في الدنيا في انتظار رحمة ربي ، ومازال الألم
يعصف بي .

احساس جارف بقرب نهاية رحلتي في هذه
الدنيا ، صحيح أنني أعرف وأؤمن أن الأعمار
بيد الله سبحانه وتعالى ، ولكن كل الشواهد
والمقدمات والخبرات تقول لي بأنه لم يبق لي في هذه
الدنيا كثير ، منذ عامين وأنا أعاني من صداع حاد
بالرأس ، يأتي على شكل نوبات في أسفل الرأس
وأعلى العنق ، ولم أترك طبيبا الا وعرضت نفسي
عليه ، وأجريت عددا من التحاليل ، وجربت كل
أنواع العلاج حبوبا وحقنا وعلاجا طبيعيا وجلسات
علاج بالكهرباء . . . وافترض الأطباء كل الأمراض
ووصفوا لي كل أنواع العلاج . . . من الصداع
النصفي الى التهاب الأعصاب الى تآكل فقرات
العنق . . . الى فحص قاع العين إلى ما يخطر على البال
من مسببات .

ولأن زميلة لي وصديقة عمر قد فارقت الدنيا . .
بأعراض كهذه . . . بعد أن حار الأطباء ورحلات
العلاج وعشرات الوصفات ، واذا كان الأحق هو من



هَيَا

...هجا الحُبُّ والوهم

دمعي وهي توصيني ذات مساء وتمنحني سماحها
وغفرانها .. وتسألني أن أسامحها ان كانت قد
أساءت .. وتختصر العمر في كلمة ولحظة ..
وترجوني الا ادخل بيتها امرأة أخرى قل عام ..
ويصبح الحزن شلالا هادرا يفيض من العين
والقلب .

جمعت كل صور الأشعة ، ونتائج التحليلات
والفحوصات ووصفات الدواء ، وذهبت - بناء على
مشورة صديق - لأول طبيب عاجلها منذ عامين ورفض
أن يصف لها دواء .. أمام الطبيب وأثناء الحديث معه
تفجرت الحقيقة كاملة أمامي .. قال لي الرجل انها
سليمة ليس بها أي عارض عصوي ، ولا تشكو من
أي شيء ، وعندما حكيت له عن انتظارها للموت ،
وان صديقتها قد ماتت بنفس الأعراض .. قال
الطبيب هذا هو مرضها .. صديقتها التي ماتت ،
والأعراض التي اشتكت منها صديقتها تشكوهي منها
وتتظن من ثم نفس النتائج .. انه نوع من وساوس
السوهم .. ينتاب البعض لفرط حبههم للذين
رحلوا .. وتحت وطأة الوهم والحب والخوف تتوالد
أحاسيس وأوهام الموت .. عدت يومها مسرعا للبيت
لم أسمع أصواتا ، ولم أخش شيئا ، نقلت لها كل ما
قاله الطبيب .. وأنا أرقص حولها ايقظت ابتنا من
النوم .. حاولت أن أنقل فرحتي لهما .. ولكنها
نظرت الي طويلا وهمست لي شاكرا ، فقد تصورت
انني أخفف عنها وطأة الانتظار .

يصاحبي الأسي ، يصبح الحزن غيمة مبللة
بالدمع تسكن العيون ، يد ثقيلة قاسية تقبض
على القلب وتعتصره . من حكمة الله - سبحانه -
ورحمته اننا لانعرف موعد رحيلنا عن هذه الدنيا ، لأن
أقسى ما يواجهه انسان ان يظل متوقعا ملاك الموت
ياخذ روح أعز الناس لديه بين لحظة وأخرى .

يصبح مرور الأيام كثيبا وثقيلًا ، أخطو صباح
مساء ، وأنا لا أدري هل أعود الى البيت فأجدها كل
مساء عند عودتي .. أقف طويلا أمام البيت أصيح
السمع ، اتصنت خشية أن يحدث ما أحشى
وأحاف .

اعتذرت عن أعمالي وارتباطاتي في المساء ..
صرت أعود من عملي ظهرا ، فأجلس معها لا أغادر
البيت حتى صباح اليوم التالي ، لولا نية حلد لانهمر





الأمواج حتى يصل الى شاطئ الأمان .. وقرر أن
يبتعد هو وأسرته لينسى ، لعله يجد في البعد سلى !

* * *

كانت هذه هي الصورة التي ابتعدوا عنها .. أما
اليوم فقد تغيرت ملامحها .. انه لن يجد فيها شيئا يمت
الى الماضي بصلة .. كانت من قبل ربيعا دائما .. أما
الآن فقد اقتربت من الخريف . والرحلة الى خريف
العمر مخيفة تمتلئ فيها السماء بالغيوم ، وتعصف
خلالها باوراق الشجر فتساقط امام الأعين جافة ،
وهي التي كانت تمتلئ يوما بالحياة .. لقد غربت
شمس الربيع الى غير عودة ..

ترى كيف ستكون الحياة في هذا البيت الكبير
الصغير الذي امضى فيه مع أسرته اجمل سنى شبابه ،
كيف سيعيشان في هذه الوحدة . بعيدا عن أعز الناس
الى قلوبهما . لقد وقفا في عناد منذ اكثر من ثلاثين
عاما ، يبنيان هذا العش الصغير معاً قطعة بعد
قطعة .. إن كل ركن فيه يحمل لهما اجمل الذكريات
كل شيء يحدثها عن الايام الحلوة التي امضيها مع
اطفالها الصغار ..

لقد قضى مع زوجته الايام والشهور والسنين يبنيان
ويبنيان حتى استطاعا أن يثبتا اقدامهما على الأرض ،
وانتهت المرحلة الاولى من البناء بعد كفاح ومجهود
كبيرين ثم بدأ الزوج يشق طريقه في الحياة بنجاح ،
ويصعد الى الادوار العليا درجة من بعد درجة وأن
يوفر لعشه الصغير كل مقومات البيت السعيد .. ولم
ينس دورها أبدا .. تلك الفتاة الصغيرة التي أحياها
وبقيت صورتها عالقة في ذهنه لسنوات طويلة ، قبل
أن يلتقى بها مرة أخرى فيسارع الى الزواج منها قبل ان
تختفى .. لقد وقفت دائما بجانبه تدفعه وتشجعه
وتشاركه كل آلامه وأفراحه وهو يصعد سلم الحياة ..
كانت دائما قريبة منه وهو يبحث عن مخرج للأزمات
المالية التي تصطدم بها حياة كل زوجين شابين بعد
وصول الضيوف الصغار ..
ما أسرع ما تمر الايام .. عشرون عاما أو اكثر

انقضت منذ أن اغلق الزوجان باب بيتها وراءهما
حاملين اطفالهما وآمالهما الى البلد العربي الشقيق الذي
تعاهد على العمل فيه .. وها هما يعودان اليه الآن ..
يعودان وحدهما .. كل شيء في البيت كما تركاه ،
وربما أصبح اكثر بريقا بعد عملية التجديد التي سبقت
عودتهما اليه ، حتى تزول آثار السنين التي صنعت به ما
صنعت خلال تلك الغيبة الطويلة .

ولكنه بريق بلا حياة ، فقد غاب عن البيت ذلك
الصوت الذي أحياه وعاشا له ومعه .. صوت
الاطفال في لهوهم ، ولعبهم وحتى في بكائهم ..
وصوت الحياة التي اعتادا عليها وألفاها بين أرجاء
البيت الذي كان كل شيء فيه يعيد اليهما ذكريات
الشباب الذي ولى ولن يعود ..

لم يكن غريبا أن يحدث لهما ما حدث وهما يستعدان
لبدء حياتهما الجديدة مع خريف العمر .. يالها من
رحلة قصيرة بدت كما لو كانت فصولها الاولى
والاخيرة تعيش معها ، ولا تريد أن تفارقهما لحظة
واحدة ..

لقد كانت كل أميتها في الحياة أن يكونا قريبين من
أبنائهما حتى بعد ان يكبروا ويستقلوا بحياتهم ..
ولكن هكذا شاء القدر ، أن يفترقا عنهم .

* * *

وتبدأ رحلتها مع الحياة الجديدة .. الايام تمر
عليهما في رتابة تحمل معها شعورا ثقيلا بالملل .. كل
الايام تشابهت .. لم يعد هناك شيء يفرق بين يوم
ويوم .. لم تعد عطلة نهاية الاسبوع تعنى شيئا خاصا
بالنسبة اليهما ، فكل ايام الاسبوع عطلة .. صحيح
انه يحاول أن يعمل في البيت .. أن يملا بعض وقت
الفراغ الطويل بالقراءة أو الكتابة ، ولكنه عمل غير
منتظم عمل يخضع لمزاج صاحبه ولو أنه في النهاية
أفضل من لا عمل على الإطلاق .

ربما كان الشيء الوحيد الذي يعيد الحياة الى هذا
البيت الذي يسكنه الهدوء والوحدة والملل هو ذلك
الصوت الحنون الجميل الذي يتحرقان شوقا اليه

تنتظر الموعد الذي حددوه لزيارتهم لها أو زيارتها لهم
ثم يعودوا أو تعود ، وتبدأ تعد الايام للقاء جديد . .
لا . . انها لا تستطيع أن تمضي في هذه الحياة
طويلا . . انها تحس بأن قطعة منها تنتزع مع كل يوم
يمر وتغرب فيه الشمس ، وكأنها تراها في غروبها لآخر
مرة . .

وذات صباح صحا الزوج من نومه . . ولم
يجدها . . لقد تركت زوجته وشريكة عمره البيت
وذمبت . . حملت حقيبة ملابسها . . واسرعت الى
المطار تستقل الطائرة التي ستحملها الى هؤلاء الذين
احتبهم واعطتهم عمرها كله . .

وعلى مائدة صغيرة في غرفة نومها قرأ الرسالة التي
كتبتها بدموعها : « انت تعرف مشاعري نحوك . .
فانت زرحي ووالد ابنائي . . أنت أبى وأمى وكل
دنياى ، ولكنى لم اعد احتمل فراقهم . . اننى ذاهبة
اليهم لاعيش قريبة منهم . . ارجوك الا تغضب
منى . . أنا أعلم أنك في حاجة إلى رعاية بعد ان
بلغت هذه السن . . ثق اننى ساكون معك بقلبي ،
ايتك تفكر باللحاق بهذا القلب الذى خفق دائما
بحبك والى لقاء . . »

وطوى الرسالة ووضعها في جيبه ، ثم اسرع إلى
المطار يستقل أول طائرة تحمله الى البلد الذى يعيش
فيه هؤلاء الذين أحبهم واعطاهم كل عمره ! □

يحمله الهاتف من حين لآخر . . صوت الابناء الذين
تركوهم وراءهم ، يعيشون حياتهم ويبحثون عن
مستقبلهم . . هم أيضا بدأوا يشعرون بالوحدة بعد
رحيل الابوين . . وتسمع الأم صوت ابنتها من البعد
فلا تجد غير الصلاة تنفس بها عن صدرها الذى يخزن
أجل المشاعر التي تحملها كل أم لابنائها . . ولكنها لا
تلبث أن تتمالك نفسها وتحس بالارتياح . . انهم
بخير . . وهذا هو كل ما تتمناه وتدعورها من أجله !
وتمر بضعة ايام ، تعود الأم بعدها الى قلقها ، والى
شوقها لسماع صوت ابنائها وتسرع الى الهاتف تناديهم
مع ساعات الفجر الأولى قبل طلوع الشمس . ويدور
الحديث في لهفة ، ولكنه لا يلبث ان ينتهى وتقضى
الأم يوما سعيداً اخر . . ولكنها سعادة مؤقتة لا تلبث
أن تخبو تدريجاً في انتظار غد جديد !

* * *

وتمضى بها الحياة ثقيلة متباطئة . . الى أن يجيء
اليوم الذى تقف فيه الأم وسط غرفتها وقد انتوت
أمرا . . ولكن ما هو انها لم تعد تحتمل الحياة بعيدا عن
ابنائها وأحفادها الصغار . . انها لا تستطيع أن تمضى
ما تبقى لها من عمر تنتظر . . تنتظر رنين جرس
الهاتف لتسمع صوتهم وتنتظر ساعى البريد وهو يحمل
لها الرسائل التي تمتلئ باخبار صغارها في وحدتهم

حكى الأحمر النحوى عن نفسه قال :

بعث الى الخليفة هارون الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت التفت الى وقال :
يا أحمـر ، ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه . فصير يدك عليه مبسوطة ،
وطاعتك عليه واجبه ، فكن له بحيث وضعت أمير المؤمنين ، أقرنه القرآن وعرفه الآثار ،
وروه الأشعار وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ، وامنعه من الضحك الا في
أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مفتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تحزن ، فتميت
ذهنه ، ولا تمنع في مساعته ، فيستحل الفراغ ويألفه ، وقومه ما استطعت بالقرب
والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقك



الأمواج حتى يصل الى شاطئ الأمان . . وقرر أن
يبتعد هو وأسرته لينسى ، لعله يجد في البعد سلى !

* * *

كانت هذه هي الصورة التي ابتعدوا عنها . . أما
اليوم فقد تغيرت ملامحها . . انه لن يجد فيها شيئا يمت
الى الماضى بصلة . . كانت من قبل ربيعا دائما . . أما
الآن فقد اقتربت من الخريف . والرحلة الى خريف
العمر مخيفة تمتلئ فيها السماء بالغيوم ، وتعصف
خلالها باوراق الشجر فتساقط امام الأعين جافة ،
وهي التي كانت تمتلئ يوما بالحياة . . لقد غربت
شمس الربيع الى غير عودة . . .

ترى كيف ستكون الحياة في هذا البيت الكبير
الصغير الذي امضى فيه مع أسرته اجمل سنى شبابه ،
كيف سيعيشان في هذه الوحدة . بعيدا عن أعز الناس
الى قلوبهما . لقد وقفا في عناد منذ اكثر من ثلاثين
عاما ، بينان هذا العش الصغير معاً قطعة بعد
قطعة . . إن كل ركن فيه يحمل لهما اجمل الذكريات
كل شيء يحدثها عن الايام الحلوة التي امضيها مع
اطفالها الصغار . .

لقد قضى مع زوجته الايام والشهور والسنين بينان
وبينان حتى استطاعا أن يثبتا اقدامهما على الأرض ،
وانتهت المرحلة الاولى من البناء بعد كفاح ومجهود
كبيرين ثم بدأ الزوج يشق طريقه في الحياة بنجاح ،
ويصعد الى الادوار العليا درجة من بعد درجة وأن
يوفر لعشه الصغير كل مقومات البيت السعيد . . ولم
ينس دورها أبدا . . تلك الفتاة الصغيرة التي احبها
وبقيت صورتها عالقة في ذهنه لسنوات طويلة ، قبل
أن يلتقى بها مرة أخرى فيسارع إلى الزواج منها قبل ان
تختفى . . لقد وقفت دائما بجانبه تدفعه وتشجعه
وتشاركه كل آلامه وأفراحه وهو يصعد سلم الحياة . .
كانت دائما قريبة منه وهو يبحث عن مخرج للأزمات
المالية التي تصطدم بها حياة كل زوجين شابين بعد
وصول الضيوف الصغار . .
ما أسرع ما تمر الايام . . عشرون عاما أو اكثر

انقضت منذ أن اغلق الزوجان باب بيتهما وراءهما
حاملين اطفالهما وآمالهما إلى البلد العربي الشقيق الذي
تعاهد على العمل فيه . . وهما يعودان اليه الآن . .
يعودان وحدهما . . كل شيء في البيت كما تركاه ،
وربما أصبح اكثر برقا بعد عملية التجديد التي سبقت
عودتهما اليه ، حتى تزول آثار السنين التي صنعت به ما
صنعت خلال تلك الغيبة الطويلة .

ولكنه بريق بلا حياة ، فقد غاب عن البيت ذلك
الصوت الذي احباه وعاشا له ومعه . . صوت
الاطفال في لهوهم ، ولعبهم وحتى في بكائهم . .
وصوت الحياة التي اعتادا عليها وألفاها بين أرجاء
البيت الذي كان كل شيء فيه يعيد اليهما ذكريات
الشباب الذي ولى ولن يعود . .

لم يكن غريبا أن يحدث لهما ما حدث وهما يستعدان
لبدء حياتهما الجديدة مع خريف العمر . . يالها من
رحلة قصيرة بدت كما لو كانت فصولها الاولى
والاخيرة تعيش معها ، ولا تريد أن تفارقهما لحظة
واحدة . .

لقد كانت كل أمينتهما في الحياة أن يكونا قريبين من
أبنائهما حتى بعد ان يكبروا ويستقلوا بحياتهم . .
ولكن هكذا شاء القدر ، أن يفترقا عنهم .

* * *

وتبدأ رحلتها مع الحياة الجديدة . . الايام تمر
عليهما في رتابة تحمل معها شعورا ثقيلا بالملل . . كل
الايام تشابهت . . لم يعد هناك شيء يفرق بين يوم
ويوم . . لم تعد عطلة نهاية الاسبوع تعنى شيئا خاصا
بالنسبة اليهما ، فكل ايام الاسبوع عطلة . . صحيح
انه يحاول أن يعمل في البيت . . أن يملا بعض وقت
الفراغ الطويل بالقراءة أو الكتابة ، ولكنه عمل غير
منتظم عمل يخضع لمزاج صاحبه ولو أنه في النهاية
أفضل من لا عمل على الإطلاق .

ربما كان الشيء الوحيد الذي يعيد الحياة الى هذا
البيت الذي يسكنه الهدوء والوحدة والملل هو ذلك
الصوت الحنون الجميل الذي يتحرقان شوقا اليه

تنتظر الموعد الذي حددوه لزيارتهم لها أو زيارتها لهم
ثم يعودوا أو تعود ، وتبدأ تعد الايام للقاء جديد ..
لا .. انها لا تستطيع أن تمضي في هذه الحياة
طويلا .. انها تحس بأن قطعة منها تنتزع مع كل يوم
يمر وتغرب فيه الشمس ، وكأنها تراها في غروبها لآخر
مرة ..

وذات صباح صبحا صبحا الزوج من نومه .. ولم
يجدها .. لقد تركت زوجته وشريكة عمره البيت
وذهبت .. حملت حقيبة ملابسها .. واسرعت الى
المطار تستقل الطائرة انى ستحملها الى هؤلاء الذين
أحبهم واعطتهم عمرها كله ..

وعلى مائدة صغيرة في غرفة نومها قرأ الرسالة التى
تتبتها بدموعها : « انت تعرف مشاعرى نحوك ..
فأنت زرحى ووالد أبنائى .. أنت أبى وأمى وكل
دنياى ، ولكنى لم اعد احتمل فراقهم .. انى ذاهبة
انهم لا يعيش قريبة منهم .. ارجوك الا تغضب
منى .. أنا أعلم أنك فى حاجة إلى رعاية بعد ان
بلغت هذه السن .. ثو اننى سأكون معك بقلبي ،
أبتك تفكر باللحاق بهذا القلب الذى خفق دائما
بحبك والى لقاء .. »

وطوى الرسالة ووضعها فى جيبه ، ثم اسرع إلى
المطار يستقل أول طائرة تحمله الى البلد الذى يعيش
فيه هؤلاء الذين أحبههم وأعطاهم كل عمره ! □

يحملها الهاتف من حين لآخر .. صوت الابناء الذين
تركوهم وراءهم ، يعيشون حياتهم ويبحثون عن
مستقبلهم .. هم أيضا بدأوا يشعرون بالوحدة بعد
رحيل الابوين . وتسمع الأم صوت ابنتها من البعد
فلا تجد غير الصلاة تنفس بها عن صدرها الذى يحتزن
أجل المشاعر التى تحملها كل أم لابنائها .. ولكنها لا
تلبث أن تتمالك نفسها وتحس بالارتياح .. انهم
بخير .. وهذا هو كل ما تتمناه وتدعورها من أجله !
وتمر بضعة ايام ، تعود الأم بعدها الى قلقها ، والى
شوقها لسماع صوت ابنائها وتسرع الى الهاتف تناديهم
مع ساعات الفجر الأولى قبل طلوع الشمس . ويدور
الحديث فى لهفة ، ولكنه لا يلبث ان ينتهى وتقضى
الأم يوما سعيداً اخر .. ولكنها سعادة مؤقتة لا تلبث
أن تحبو تدريجاً فى انتظار غد جديد !

* * *

وتمضى بها الحياة ثقيلة متباطئة .. الى أن يجيء
اليوم الذى تقف فيه الأم وسط غرفتها وقد انتوت
أمرا .. ولكن ما هو انها لم تعد تحتمل الحياة بعيدا عن
أبنائها وأحفادها الصغار .. انها لا تستطيع أن تمضى
ما تبقى لها من عمر تنتظر .. تنتظر رنين جرس
الهاتف لتسمع صوتهم وتنتظر ساعى البريد وهو يحمل
لها الرسائل التى تمتلئ باخبار صغارها فى وحدتهم

حكى الأحمر النحوى عن نفسه قال :

بعث الى الخليفة هارون الرشيد لتأديب ولده محمد الأمين ، فلما دخلت التفت الى وقال :
يا أحر ، ان أمير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثمره قلبه ، فصير يدك عليه مبسوطه ،
وطاعتك عليه واجبه ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الآثار ،
وروه الأشعار وعلمه السنن ، وبصره مواقع الكلام وبدأه ، وامتنع من الضحك الا فى
أوقاته ، ولا تمرن بك ساعة الا وأنت مفتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير أن تمرن ، فتميت
ذهنه ، ولا تمنع فى مسامحته ، فيستحل الفراغ ويألفه ، وقوميه ما استطعت بالقرب
والملاينة ، فان أباهما فعليك بالشدة والغلظة وبالله توفيقك .

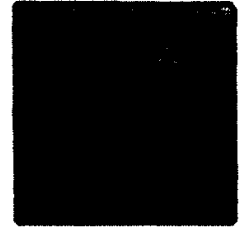




الأسرة طبيب



كيف نتصرف مع لسع العقرب؟



فالنوع الأول الخفيف الضرر يستجيب له المصاب
برد فعل فوري ، يتمثل في الألم الشديد مكان الوخز ،
مع ألم واحمرار ، وربما صاحبها أعراض حساسية
عامة .

أما السم الضار القاتل فرد الفعل له على عكس
مايتوهم البعض ، ويتوقعون ، أن لا يستجيب
المصاب للسع العقرب بأي رد فعل موضعي ،
وانما هي ردود فعل عامة ، نتيجة انتشار السم في
الأعصاب ، فلا ألم ولا ورم ولا احمرار في موضع
الوخز ، ولكن المصاب يشعر بالوخز والتنميل في كافة
أجزاء الجسم مع شعور بالدوار .

يعقب هذا أكلان في الفم والأنف والحلق ، ينتهي
الى عجز وشلل في عضلات اللسان ، يصعب معها
الكلام والبلع معا ، هذا بالإضافة الى شعور بالغثيان
والقيء ، ورغوة في الفم ، مع تسبب في البول ،
وتشنجات عامة في عضلات الجسم ، ثم يبدأ تورم في
أجزاء البدن ينتهي بالوفاة خلال يومين على الأكثر .
ويرى المختصون أن مرور ثلاث ساعات على
المصاب دون أعراض شديدة يعتبر ظاهرة تمثل أملا
كبيرا في النجاة .

يتصدر العقرب طائفة المفصليات التي تضم
الحشرات والبق والعناكب في عداوته
للإنسان ، وخطره عليه ، ويعتبر أكثرها ارهابا ،
وأوسعها انتشارا ، وأفدحها ضررا .

والعقارب أنواع شتى قد تصل الى ٦٥٠ نوعاً ،
وتتراوح ما بين ١٥ مليمترا و ٢٠٠ ملمتر طولا ،
بعضها مألوف جدا في بلادنا العربية ، ذات الطبيعة
الصحراوية على وجه التحديد ، حيث يألفها
الناس ، تسعى ليلا وتختبئ نهارا تحت الحجارة ، أو
في الجحور ، أو ربما تحت قطع الخشب المهجورة ،
وربما وجدت لها مخابئ في دورات المياه والخزائن وداخل
الأحذية ، أو بين الصحف المهملة لو وجدت لها
سبيلا داخل البيت .

من السهل على الجميع تمييز العقرب بذيلها
الطويل ذي العضلات ، أو بآبرة متصلة بكيس أو
حوصلة خازنة للسم .

ان هناك نوعين من سموم العقارب ، أولهما سم ذو
تأثير موضعي محدد الضرر ، وثانيهما سم ذو تأثير عام
قاتل يتركز أثره على جهاز الأعصاب .

ان التمييز بين هذا وذاك يكون برودة فعل المصاب
تجاه لسعة العقرب .

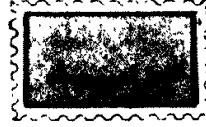
علاج واسعاف لسعة العقرب

الذموية عن السريان .
 ٣ - يوضع الطرف المصاب في اناء ماء بارد ، ثم يفك الرباط الضاغط بعد خمس دقائق تحت الماء ، وتجدد الإشارة هنا الى أن الكمادات الباردة يجب أن تكون مستمرة لا متقطعة .
 ٤ - حذار من تعاطي عقار المورفين وأشباهه من المخدرات للتغلب على الألم ، والأفضل استعمال المنومات للتغلب على التشنج .
 ٥ - يعطى المصاب في المستشفى (حيث لا يتوفر العقار في صندوق الاسعاف الا نادرا) عقار الانتيبيين المضاد للعقرب في العضل مع حقن الكالسيوم في الوريد ، ان نسبة الشفاء تعتمد الى حد كبير على حسن التصرف ، وفورية الاسعاف الأولى ، وسرعة نقل المصاب الى المستشفى . □

إذا استجاب الجسم للسم العقرب بردود فعل موضعية على نحو ما وضحنا ، فهذه بارقة أمل توحى بضرر محدد يمكن التغلب عليه ، يوضع كمادات الماء البارد أو الثلج ، مع المراهم والمقاسير المضادة للحساسية والالتهاب ، وأشهرها الكورتيزون ومضادات الهستامين ، ولكن اختفاء رد الفعل الموضعي يثير القلق ، ويدعو الى حسن التصرف وسرعة نقل المصاب الى المستشفى .

وعليه يجب اتباع الخطوات التالية بأقصى سرعة :
 ١ - توضع كمادات الماء انبارد أو أكياس الثلج فوق موضع الإصابة ، لتقليل سريان انتشار السم .
 ٢ - يربط الطرف المصاب برباط ضاغط يوقف الدورة

طبيب الأسرة



يتخذ له احدى صورتين هما :

أولا : انقطاع أولى أو مبدئي ، بمعنى أن الطمث لا يظهر اطلاقا بالرغم من بلوغ الفتاة سن النضوج الجنسي أو المراهقة ، وهذا يعنى خللا في الافراز الهرموني للغدد ، أو النضوج الجنسي الطبي الذي ينتقل بالفتاة من مرحلة الطفولة الى مرحلة البلوغ ، والكفاءة الانثوية ، وهو أمر يتم فيها بين سن الثانية عشرة وسن الثامنة عشرة على وجه العموم ، مع تفاوت شخصي بين فتاة وأخرى ، لأسباب عدة لا مكان لحصرها ، فإذا ما تجاوز الحال هذا المنطق الطبيعى ، فالأمر يصبح بحاجة عاجلة لاستشارة طبيب مختص في أمراض النساء وربما مختص في الغدد الصم على وجه السرعة دون ابطاء أو تأخير ، لتقصي أسباب هذا التخلف وعلاجه بما يلزم ، على ضوء التشخيص السريري والمختبري والشعاعي .

انقطاع الطمث

● أنا فتاة في الثانية والعشرين من عمري ، ومع هذا فلم تبدأ دورة الطمث شأن الفتيات الأخريات ، فهل هذا مما يؤدي الى المعقم ويحتاج الى علاج .
 م . خ . ف - دمشق

- الطمث هو علامة نشاط الغدد الصم الجنسية عند الأنثى ، ويعبر عن النضوج الجنسي وكفاءة الانجاب ، اذ يقوم أحد المبيضين باطلاق بويضة كل شهر ، يرافقها افراز هرمون يتولى أمر اعداد بطانة الرحم لاستقبال البويضة الملقحة ، لاحتضانها وتغذيتها ، فإذا لم يتم تلقيح البويضة فإن بطانة الرحم تنطرح تلقائيا ، وهذا ما يعرف بالطمث ، أو الدورة الشهرية ، وان انقطاع هذا الطمث لسبب أو لآخر



أشبه ما تكون بالكافيين التي في القهوة، وهما من المنبهات والمنشطات، ولكن حامض التنيك مادة قابضة، يؤدي الإفراط فيها إلى قبض الأمعاء أو الإمساك، لهذا فقد يوصف الشاي في أحوال الاسهال بأنه معين على الداء، ولكن ليس بديلاً للعلاج، وقد يستعمل الشاي أيضاً غسولاً للجروح على أنه يعين على التئامها، لما يحويه من مادة حامض التنيك، فلا غرابة إذن أن يشكو بعضهم من إمساك وصعوبة في إخراج الفضلات عند الاسراف في شرب الشاي.

كما يشكو بعض الناس من الأرق، بل ربما الصداع بسبب الاسراف في شرب الشاي، وإن كان البعض الآخر ينكر هذا الزعم، لأن للشايين أو الكافيين تأثيراً منبهاً على خلايا المخ، بينما لا يعاني الآخرون من هذا الأثر، غير أن الطب لا يعرف تأثيراً للشاي خلاف هذا أو ذاك، ولم يرد أي رأي علمي ثابت يشير إلى تأثير الشاي على الذكاء والقدرات العقلية، بل ربما نشط خلايا العقل.

ردود سريعة

● السيد حامد السبع - دير الزور - سوريا :
- نأسف إذ لا نعرف عقاراً لإطالة القامة، ولماذا لا تستشير مختصاً في الغدد الصم...؟

● الأخت المحجبة - فاس - المغرب :
- لا علاقة إطلاقاً تربط الحجاب بظهور الشعر على الوجه، وإنما هو خلل هرموني، ويحسن بك مراجعة طبيب الأمراض الجلدية للتشخيص والعلاج.

● الأخت الحائرة - القاهرة - مصر :
- ألا ترين أن مراسلة إنسان مجهول الاسم أمر مستحيل...؟

أما استفسارك عن الأدوية الشعبية، فخيرتنا بها محدودة، كما أن الطب الحديث لا يتعامل بها، وكل ما نعرفه أن شرب الحليب يزيد من إدرار اللبن ليس إلا... □

ثانياً : انقطاع ثانوي، بمعنى توقف الطمث عقب ظهوره، وهذا قد يكون طبيعياً كما هو الحال مع الحمل، وقد يكون مرضياً لخلل هرموني مثلاً، وهنا يتوجب مراجعة الطبيب المختص.

ومن الطبيعي أن يوضع في الاعتبار عدد من العوامل التي يتصدرها العامل النفسي من فرح أو اكتئاب، كما يوضع في الاعتبار انقطاع الطمث النهائي الذي يعرف باسم سن اليأس الذي يعنى نهاية مرحلة النشاط الجنسي الهرموني، وختام فترة القدرة على الانجاب عند المرأة، وهو ما لا يمكن تحديده بعمر معين، إذ تقفر المبايض من محتواها من البويضات، كما يشع أفراسها الهرموني، ومن المألوف أن يفاجيء سن اليأس فيما بين سن الأربعين والخمسين، أو ربما زاد قليلاً، وقد يدهم انقطاع الطمث صاحبته فجأة، أو ربما تسلسل تدريجياً، إذ يقل النزف كما ومدة، أو يضطرب انتظامه... وهكذا.

هل يضر شرب الشاي؟

● سمعت من أحدهم أن الإفراط في شرب الشاي يضر بالذكاء، ويعطل القدرات العقلية، ولما كنت أهوى شرب الشاي بإفراط، فقد راعني أن أسمع مثل هذا الخبر، ورأيت أن أسألكم النصيحة الخالصة، فعمى أن تزودوني بالحقيقة العلمية.

م . م . م
اللاذقية - سوريا

الشاي مشروب عالمي معروف منذ أقدم العصور، وربما عادوا بأصله إلى أهل الصين، إذ يروون عن اكتشافه ومنشأ استعماله قصصاً عديدة، حيث تضيع الحقيقة في طيات الأساطير. والتحليل العلمي لتركيب الشاي يؤكد أن أهم عناصره هما حامض التنيك ومادة الشايين التي هي

العهد

شعر : عبدالله السيد شريف

وكانت إذ ترفو ذيل الجلباب
تشاغلني بجنان الارض
المفتوحة للشرفاء
وأسأل
فتدثرن بالصحف المبتلة بالخل
وتسمعي قصص الصبر
وتأمرني بالصدق
العفو
الطهر
وحين أثور
تمد الكف
وتفقا عين عرائسها الورقية
كان التوت الصيفي بعينها يأسرن
والكوثر يشغلني وأصافيه
من أي جهات العصر أطل عليك
ياوجه الأمس
ياقلبا أطره الأهل
من أين
الآن ...
أعفيك من الوقفة ترقبني
يا أبني
في ذيل الدرب
واسمح لي
أن أعفي كفي
من قيد العهد

كان أي ...
إذ كنت صيباً
يحشوني بالأوراد
وينذرني الله
ويسألني
إذ كنت صيباً
في متن الألفية
وابن شجاع
ويُفسرُ
إذ كنت صيباً
معنى الأعراف
ينهرني إذ يتكسر المفعول
وأسأله
ما المَن ...
وما السلوى ... ؟
وتموج الصور
حلياً
عسلاً
نخلأ
عنباً
كان يناديني إذ أشرد
اخلع نعليك !
كانت أمي
اذ كنت فتيا
ترقوني من عين الناس
ومن شر الوسواس



* شاعر شاب من القطر المصري



جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

لام التقوية

بعده ، وأظهر ما تكون قوته اذا تقدم عليه ، مثل : « يرعى الحرَّ عهده ، ويحفظ جواره » ، فإذا تأخر الفعل فقد تلحقه اللام لتقوي عمله ، مثل الحر لعده يرعى ، ولجواره يحفظ .

ويرى النحاة أن الفعل المتعدي هو الأصل في التعدية ونصب المفعول ، وأن ما ينوب عنه كمصدره فرع له في عمله ، فإذا كان العامل فرعاً في عمل الفعل لحقته لام التقوية ، كما إذا كان مصدراً أصلياً أو ميمياً ، وكما إذا كان صفة ^(١) دالة على فاعل سواء تقدمت على المفعول أو تأخرت عنه ، مثال المصدر الأصلي متقدماً على المفعول قولنا : « من شيم الحر رعايته للعهد ، وحفظه للجوار » ومثاله متأخراً عن المفعول قولنا : « للعهد الرعاية واجبة ، وللجوار الحفظ واجب » ^(٢) .

ومثال المصدر الميمي متقدماً على المفعول قولنا : « محبتك لذوي رحمك واجبة » ، ومثاله متأخراً عن المفعول قولنا : « لذى رحمنا المحبة واجبة » ، ومثال الصفة الدالة على الفاعل متقدمة على المفعول قولنا : « هو راع لعده ، حافظ لجواره » ومثاله متأخرة عن المفعول قولنا : « الحر لجواره راع ولجواره حافظ » ، وقوله تعالى : « الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون » .

كان السيد مغاوي موسى (العبادلة / الجزائر) قد سألنا أربعة أسئلة ، أحدها عن فصاحة كلمة « التقييم » بمعنى معرفة القيمة ، وقد أجبناه بأنها فصيحة (العدد ٣٣١) وبقيت ثلاثة أسئلة ، وهذا أحدها ، ومعه جوابه .
لام التقوية : ما سر تسميتها كذلك وكيف نعرفها ؟

اللام في لغتنا نوعان : عاملة ، وغير عاملة ، فالعاملة ما كان لها أثر في الاعراب جرّاً ، أو نصبا ، أو جزماً ، فمن الجارة لام الملك ، مثل : « لله ما في السموات وما في الارض » ، ومن الناصبة لام العاقبة ، مثل « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » ، ومن الجازمة لام الأمر ، مثل « لينفق ذو سعة من سعته » . وغير العاملة مثل لام التوكيد ، مثل « وللاخرة خير لك من الأولى » .

وتأتي اللام لعدة معان ، أو هي تؤدي عدة معان سواء كانت عاملة أو غير عاملة كما في الأمثلة السابقة ، ويفهم الفرق بين كل معنى وغيره من السياق .
ومن اللامات لام التقوية ، وعملها الجر لما بعدها من اسم أو صفة ، وقد سميت كذلك لأنها - كما يقول النحاة - تقوي عاملاً إعرابياً ضعيفاً ، وذلك أن الفعل المتعدي عندهم هو العامل في نصب المفعول (به)

ومثال الصفة الدالة على المبالغة متقدمة على
المفعول قولنا : « هم سماعون للكذب ، أكالون
للسحت » ، ومثالها متأخرة عن المفعول قولنا ، هم
للكذب سماعون : وللسحت أكالون .

وإذا كان الفعل ينصب مفعولين ليس أصلهما مبتدأ
وخبراً أمكن أن تدخل لام التقوية على ما يناسب
المعنى منها وهو الأول غالباً ، كقولنا : « أعطيت
للطالب كتاباً » ، وكقول شاعرنا ليلي الأخيلية :
(نحو ٨٥ هـ) من قصيدة تمدح بها الحجاج الثقفي :
أحجاج ، لا تعط العصاة مناهم

ولا الله يعطي للعصاة مناهم
وأصل الجملتين قبل دخول لام التقوية « أعطيت
الطالب كتاباً » ثم « ولا الله يعطي العصاة مناهم » ،
وهذا هو الاستعمال الشائع في لهجتنا الدارجة ،
ومثله كثير في اللغات الأخرى في الأفعال التي تتعلق
بها مفعولان .

وينبغي في ملاحظة هذين المفعولين مع هذه
الأفعال أن المفعول الأول (الطالب) هو الأخذ ،
والمفعول الثاني (كتاب) مأخوذ ، فلا بد من ملاحظة
قرينة الاسناد لمعرفة أي المفعولين هو الأول وأيهما هو
الثاني سواء تقدم عليه أو تأخر عنه في الكلام ، كما إذا
قلنا : « وهبت صديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب
صديقي » فإن « صديقي » هو الأول لأنه الأخذ
والكتاب هو المأخوذ كما تدل علاقة الاسناد بينهما ،
ولام التقوية هنا تدخل على الأول فيقال : « وهبت
لصديقي الكتاب » أو « وهبت الكتاب لصديقي » .
وهي تدخل على المناسب للمعنى من المفعولين .

ويمكن أن نعد « لام تقوية » ما يسميه النحاة
« اللام المقحمة » وهي التي تقحم أو تدخل بين
المتضايقين : المضاف والمضاف إليه أو شبههما ، لأنها
تقوي اختصاص ما قبلها (المضاف) بما بعدها
(المضاف إليه) كقول عنترة لصاحبه :

فاقني حياءك - لا أبالك - وأعلمي
أني امرؤ ساموت إن لم أقتل
وقد تحذف هذه اللام كما في قول أبي حية
الميري لصاحبه :

أبالموت الذي لا بد أني
ملاق - لا أباك - تخوفيني
دعي ما قد علمت ، سأنتقيه

ولكن بالمغيب خبريني
ومثال اللام الداخلة بين شه المتضايقين قول علي بن
الجهم

وارحمنا للغريب بالبلد الناء
زح ، ماذا بنفسه صنعا
فارق أحبابه فما انتفعوا
بالعيش من بعده ولا انتفعا
وكقوله تعالى « ويل للمطففين » وقوله « فسحقا
لأصحاب السعير »

ويمكن حذف هذه اللام غالباً دون ضعف
التركيب أو اختلال المعنى ، كما في الأثر « حُبُّكَ
الشيء يعمي ويصم » .

وبدلاً من أن نقول كما قال النحاة : إن الفعل هو
العامل الأصلي في نصب المفعول به ، وإن كلا من
المصدر والصفة عامل فرعي نقول : إن المصدر
كالفعل ينصب المفعول به بدلالته على الحدث ،
والوصف ينصب المفعول به لدلالته على موصوف
بالحدث ، فإن كان لا يدل على موصوف بالحدث لم
ينصب مفعولاً به كقولنا : « القاضي عادل » ، وهذا
ما يسميه النحاة « الصفة الغالبة » أي التي تستعمل
اسماً ، فإذا شئنا أن نجعلها صفة محضة من فعل متعد
تجري على فعلها وتعمل عمله أمكن أن تنصب مفعولاً
به كقولنا : « أخوك قاضٍ حاجتك » و « أخوك
قاضٍ حاجتك » ويمكن أن تدخل اللام فنقول
« أخوك قاضٍ لحاجتك » □

(١) يسميها النحاة « اسم الفاعل » مع أنها لا تدل على مسمى ، والصواب أنها صفة للفاعل لأنها تدل على موصوف
بالحدث ، ومن هنا تشارك الفعل لدلالته على الحدث (مع دلالة على الزمن) .

(٢) اللام للتعدي في اللغة السريانية (شقيقة العربية)

جمال العربي

لقاء ذئب بين الفرزدق والبحري

والبحري (٢٠٦ - ٢٨٤هـ) طائي ولد ونشأ في منبج بالشام وتنقل بين عشائر قبيلته طيء وغيرها من البدو على شواطئ الفرات ، فاكسب منهم الفصاحة ، وقد وجهه في الشعر شاعر طائي آخر هو أبو تمام ، وشعره رقيق الأسلوب بديع الخيال ، وقد اتصل بكثير من الأمراء والقواد العباسيين ، وكان مقرباً الى المتوكل العباسي ووزيره ابن خاقان ، وكان في مجلسهما حين قتل فأسرع بالاختفاء والهروب ، وله ديوان مطبوع .

وقد لقي ذئباً أصابه الجوع بالهزال والتفوس - وكان هو جائعاً - فلم يجد بداً من قتله خوفاً على نفسه ثم شواه وأكل منه ما يسد جوعته .

الفرزدق والبحري شاعران ، كلاهما لقي ذئباً جائعاً في صحراء فكان له معه موقف يختلف عن موقف الآخر ، وكلاهما وصف موقفه معه مفصلاً .

والفرزدق أحد مشاهير الشعراء الأمويين نشأ بين البصرة والبادية المجاورة لها ، ومضى يعالج الشعر ويرويه ، حتى نبغ فيه ، وقد اتصل بملوك الأمويين في الشام وبولاتهم في العراق يمدحهم ويأخذ جوائزهم ، وهو كثير الفخر فاحش الغزل ، جرى بينه وبين معاصره جرير هجاء كثير ، وتوفي عن سن عالية سنة ١١٤هـ - وله ديوان مطبوع .

لقي ذئباً جائعاً في صحراء الكوفة في أواخر ليلة فعطف عليه فقامه زاده .

« قصة الفرزدق »

دعوت بناري موهنا فأتاني^(١)
وإياك في زاد كمشركاني
على ضوء نار مرة ، ودخان ...

وأطلَسَ عَسَلٍ ، وما كان صاحباً ،
فلما دنا قلت : «أذن ، دونك ، انني
فبت أسوي الزاد بيني وبينه

وقلت له لما تكشّر ضاحكاً
«تعشّ ، فان عاهدتني لا تخونني
وانت امرؤ - يا ذئب - والغدر كتما
ولو غيرنا نَهْتْ تلتمس القري
وكل رفيق كل رحل - وإن هما

وقائم سيفي في يدي بمكان
نكن مثل من - يا ذئب - يصطحبان
أخين كانا أرضعنا بلبان^(٢)
رماك بسهم أو شِباء سنان^(٣)
تعاطى القنا قوماهما - أخوان^(٤)

« قصة البحري »

وأطلس ملء العين يحمل زوره
له ذئب مثل الرشاء يجره
طواه الطوى ، حتى استمر مريره
يقضض عضلاً في أسرتها الردى
سما لي ، وب من شدة الجوع ما به
كلانا بها ذئب ، يحدث نفسه
عوى ، ثم أقمى ، فارتجزت ، فهجته
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
فما ازداد إلا جراً وصرامة
فأبتعتها أخرى فأضلت نصلها
فخر ، وقد أوردته منهل الردى
وقمت ، فجمعت الحصى ، فاشتويته
ونلت خسيساً منه ، ثم تركته

وأضلاعه من جانبيه شوى نهـ^(٥)
ومتن كمتن القوس أعوج منأـ^(٦)
فما فيه إلا العظم والروح والجلد
كقضض المقرر أرحده البرد^(٧)
بيداء لم تعرف بها عيشة رغـ^(٨)
بصاجيه ، والجد يتعسه الجد^(٩)
فأقبل مثل البرق يتبعه الرغـ^(١٠)
على كوكب ينقض ، والليل مسود^(١١)
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
بحيث يكون اللب والرغب والحقـ^(١٢)
على ظمياً ، لو أنه عذب الورد
عليه ، وللرمضاء من تحته وقـ^(١٣)
وأقلعت عنه ، وهو منعفر فرد

- (١) أطلس : أغبر : غسل في سيره : اضطرب .
- (٢) الغدر من طبيعة الذئب ، فهما كالأخوين اللذين رضعاً من صدر واحد .
- (٣) القري : الطعام . شِباء : طرف .
- (٤) كل رفيق في طريق يتأخيان ، ولو كان بين قوميها قتال .
- (٥) الشوى : الأطراف (لفظه مفرد ، ومعناه جمع) . نهـ : بارز . أي اضلاعه لجوعه بارزة .
- (٦) الرشاء : الحبل . المتن : الظهر . منأـ : معوج .
- (٧) يقضض عضلاً : يصوت بأنياب معوجة . أسرتها : أوساطها . الردى : الموت . المقرر : المصاب بالبرد .
- (٨) كلانا يطعم في قتل الآخر . الجد : الخطأ .
- (٩) أوجرته خرقاء : طعته سنان .
- (١٠) أدخلت سنانها في قلبه .
- (١١) الرمضاء : الأرض الحامية .

مكتبة العربي



في أسفل السلم

تأليف : غونتر فالراف

عرض وتلخيص : محمد حسان عبد الكريم

لم يسبق في تاريخ ألمانيا الاتحادية لكتاب ، بلوغ هذا العدد من النسخ المبعة في مثل هذه الفترة الزمنية القصيرة : (٧ ، ١ مليون) نسخة بعد أربعة شهور من طبعه ، رغم أن موضوع هذا الكتاب ليس بجديد ، بل سبق أن عالجت المئات من الكتب والدراسات الخاصة ، ونعي بذلك (حياة الأجانب في ألمانيا الاتحادية) ، ولكن الجديد هنا ، هو كيفية خروج هذا الكتاب الى النور ، والطريق الذي سلكه الكاتب للتوصل الى جمع محتوياته

يعاسون من أمراض نفسية ، لأهم لن يطبقوا المصايقات التي يتعرضون لها ، اضافة الى أن فرص العمل تكاد تكون معدومة ، ورحوعهم الى الوطن أصبح متعذرا بعد أن شوا وترعرعوا هنا ، إهم عديمو الوطن ، يعانون صرامة قوانين الأحاب ، وتساعد حملة الكراهية ، وريادة العرلة ، كنت أعرف ذلك كله ، ومع ذلك لم أكن قد عشته قط

في المقدمة يذكر الكاتب ، كيف انه كان طوال عشر سنوات يدفع عن نفسه فكرة الاصطلاح بالدور الذي تلسه أخيرا ، ليتحصن عنه هذا الكتاب ، لمعرفة عما ينتظره « كنت بساطة حائما ، كنت قد كوتت فكرة عن حياة الأحاب في ألمانيا الاتحادية من خلال أحاديث الأصدقاء وعن طريق الصحف ، كنت أعلم بأن نصف الأحاب الأحداث

كتاب الشهر

الهبوط الى الاسفل

في مارس ١٩٨٣ نشرت الاعلان التالي في عدة جرائد .

(أحبي ، قوي السية ، يبحث عن عمل ، أعمال ثقيلة وقدرة ، مقابل أجرة محفصة أيضا ، الاتصال . . .)

« خطوة واحدة فقط تكفي للانتفاء الى الأقلية المسودة والهبوط الى أسفل السلم ، عدسات لاصقة عامقة اللون ، وشعر أسود مستعار ، جعلتني أتحوّل الى (علي) وأظهر أصغر من سبي الحقيقية بكثير ٢٦ - ٣٠ بدلا من ٤٣ عاما ، وبذلك استطعت الالتحاق بأعمال ما كنت سأحصل عليها في عمري الحقيقي ، وكثير من التعثر والغرابة حاولت تلفظ الألمانية كما يستخدمها الأحاب ، وكان من السهل على أي امرئ سقى له الاصعاء الى أحد الأتراك أو اليونانيين ، اكتشاف أن امرئ غير طبيعي ، ولكن لدعشتي لم يواجهني أحد بالشك

هذه التعبيرات السليطة كانت كافية لكي تجعل الآخرين يقصّون عن آرائهم أمامي دون تحرج ، بلاهتي المصطنعة جعلتني أكثر دكاء ، وأتاحت لي الفرصة للتعرف على ضيق أفق هذا المجتمع وبرودته وهو الذي يعتز بنفسه حاذقا ورفيعا ، متكاملا وعادلا ، كنت كالأحق الذي تقال له الحقيقة سلا تميم . بلا ريب ، أنا لم أكن تركيا حقا ، ولكن على المرء أن يتنكر قليلا لكي يربل القناع عن المجتمع ، وأن يتحائل كي يتعرف على الحقيقة .

ما زلت الى اليوم مستعربا ، كيف يتحمل الأحاب هذا الاصطهاد والكراهية اليومية ، ولكي أعلم الآن الى أي مدى يمكن بلوغ احتقار الشر هنا ،

فالتحارب التي خصتها تجاوزت كل تصوراتي السابقة ، فالعنصرية توحد هنا في وسط ديمقراطيتنا ، وما واجهته في المجتمع الألماني لا يوجد مثيله الا في بطون كتب تاريخ القرن التاسع عشر

رغم ذلك ، ومع كل القدرة والمشاق ، في العمل المدل ، ومواهنني لأشكال الاحتقار الشرقي ، فقد كسبت أصدقاء ولمست تضامنا حقيقيا .

وهكذا بدأ (علي) حولته في الحياة والعمل في ربوع ألمانيا الاتحادية ، تلك التحربة التي استعرت أكثر من ستين

في البداية حصل (علي) على اعمال قصيرة الأمد ، تصليح اسطبل حيول في صواحي إحدى المدن الكبيرة ، كان عليه تسليق سلاّم شاهقة ، محافظا على توارسه لصنع سقف الاسطبل ، العمال الآخرون ، ومعظمهم مهاجرون سولنديون كاسوا يتجاهلونه ، أما صاحبة العمل فقد كانت لا تحب علي سوى كلمات الحث على العمل التي يتعاطاها الألمان في علاقاتهم مع (عمالهم الأحاب) ، وكان يتناول طعامه معمّل عن الآخرين ، ويأمن في عرفة تشاركه فيها « معرة » وعندما تعطل جهاز الاسذار في الأسطبل فحاة ، أتهم علي بالقيام بذلك فطرده من العمل .

مكان العمل التالي كان مررعة تدار من قبل عحوز وانتهى سبق لها التعامل مع « حادم تركي » . مقابل العمل وعد بالأكل والنوم محاسا ، وتسلم مصروف جيب ، عدا ذلك خير علي بين اليوم في عربة عاطلة أمام المررعة ، أو عرفة اسطبل فارغة كربة الرائحة ، لكن (علي) فصل حلا ثالثا . غرفة في ورشة بناء مهجورة ، علما بأنه توحد عدة غرف نظيفة ودافئة في المررعة لم تكن تستعمل من قسّل أحد ، وأخفى



متذكراً النص الانجيلي القائل : « ان دخول جمل من ثقب ابرة هو أسهل من دخول غني الى الجنة » ، ووجد بأن ذلك ينطبق حرفياً على هؤلاء القسس ، تحامل (علي) على نفسه وقصد احدى القرى النائية . فتبع شاب بتياب مدنية وقميص مفتوح الكنيسة ، كانت المرة الأولى التي يشاهد فيها (علي) قساً كاثوليكياً بزي غير رسمي ، بدأ يسرد قصته ، وقل أن يأتي الى نهايتها قاطعة القس قائلًا :

- اننا أفهمك جيداً ، والآن تريد اعتناق المسيحية .

- نعم .

- بالتأكيد يسعك ذلك ، في الأيام القادمة نقوم بالخطوات اللازمة ، وتتسلم وثيقة الاعتناق ، تستطيع كذلك الرجوع الي في أية قضية أخرى . تفهم القس الموقف ، وتصرف كرجل دين مؤمن بلا تزيف وادعاء كاذب بالتمسك بتقاليد الدين ، اكتشف (علي) لاحقاً بأن هذا القس كان قد نزع من بولندا قبل سنوات ، ومن يدري ، لعله يتحسس لذلك شعور الغرباء ، أو لأنه لم يعيش في كفيسة متسلطة ومكتنزة .

وبعد أن أصاب اليأس (علياً) من الأحياء وجفائهم ، بعد الرفض والنبذ الذي حوس به من الكنيسة - قرر أن يحرق حظه هذه المرة مع الأموات مباشرة . دخل (علي) الى احدى مؤسسات الدفن ، مدفوعاً على مقعد للعجزة من قبل أحد أصدقائه الأتراك ، استقبلت صاحبة المدفن (علياً) بترحاب ودعته للدخول . شرح (علي) قصته : فتبيحة عمله في مصنع لتصنيع الاسبت ، أصيب بمرض السرطان ، فاتجه الطبيب بأنه سيموت بعد شهرين ، لذا فهو قادم لترتيب أمور الجنائز ونقلها الى تركيا ، تدخل صاحبة المدفن مباشرة الى صلب الموضوع ، دون أن تكلف نفسها حتى عناء السؤال عن مشاعره أو فيما اذا لم تعد هناك بارقة أمل لعلاج : - النقل الجوي يعتمد على وزنك وجهة الرحلة ، يعتمد السعر كذلك على الضمان الصحي الذي

(علي) عن الجيران ، وحُرم عليه ارتياد سوق القرية أو البار .

على هذا المتوال حاول (علي) طوال سنة كاملة كسب قوت العيش ، منتقلاً من عمل الى آخر . « لو كنت حقاً علياً فقط لما استطعت البقاء على قيد الحياة ، مع أنني كنت على استعداد لتقبل أي عمل مهما كان » .

بعد ذلك جرب حظه كعازف ارغن متجول في مقاطعة بافاريا : « كنت يوماً أدير جهاز الأرغن لعدة ساعات في الشارع دون أن أحصل على ملزم واحد ، والغريب أنني بعد أن تعودت على دوري كأجنبي ، كانت تتناوب الدهشة في كل مرة ، لا أقابل فيها بالرفض والجفاء ، الأطفال وحدهم كانوا شديدي الفضول والتودد نحو عازف الأرغن الذي تصدر جهازه لوحة عليها العبارة التالية : « تركي عاطل عن العمل ، مقيم في ألمانيا منذ ١١ عاماً ، يريد البقاء هنا » . كان الأطفال يتجمعون حولي حتى ينهرهم آبائهم عن ذلك » .

مع القسس . . والأموات

يحرب (علي) حظه في الكنيسة الكاثوليكية ، فقد سمع بأن السيد المسيح كان قد طرد من دياره أيضاً ، وعاش مع المنبوذين والغرباء ، وتحمل من ذلك الويلات والألم ، لذلك لم يقصد (علي) الكنيسة كمتسول ، كل ما يريده هو التعميد ، أي اعتناق المسيحية ، لا يمانه بذلك أولاً ، ولأنه يريد الزواج من صديقته الألمانية الكاثوليكية المذهب ثانياً ، ولتجنب طرده من ألمانيا ثالثاً ، جميع القسس الذين طرق (علي) بابهم ، طردوه لحجج مختلفة : « اذهب الى مكتب الخدمات الاجتماعية » . « الكنيسة ليست ملجأ للغرباء » . « عليك أولاً اعتناق المسيحية بالقلب ، وذلك يستغرق سنوات عديدة » .

واخيراً وبعد أن غمره اليأس من قسس المدن الكبرى ذوي الكروش المترهلة والغنى الفاحش ،

لديك ، وفيما اذا كنت مسجلاً هناك كعامل أو متقاعد .

وبعد أن بينت له قائمة الاسعار كان علي (علي) اختيار التابوت حيث كانت صاحبة المدفن تعرض عليه بحماس التوابيت المختلفة : « هذا مبطن حرير ، وهذا مصنوع من حشب بلوط ألماني أصيل . . . الح » ، محاولة بذلك اقناعه بشراء احد الاصناف الراقية ، وأخيراً تم الاختيار ، ويسأل (علي) عن امكانية تخفيض السعر الذي تحاور العشريين الف مارك جملة وتفصيلاً .

البائعة - : « نستطيع خصم ٥٪ من السعر اذا تم الدفع نقداً وفوراً .

وهنا نادرها علي سؤال غير متوقع .

- وماذا اذا لم امت ، هل أحصل على الملح ثانية .

البائعة : لا ، ليست هناك حقوق ارجاع ثم ترفع بصرها اليه وكأنها تريد مواساته :

- ظلت أن الطبيب واثق بأنك بعد شهرين . . .

وهنا لم تستطع اكمال الجملة ، شعرت فحاة بالاحراج وأخذت تتلعثم .

الختم على الرأس

يحاول (علي) العمل في مصنع لليوريد قرب هامبورغ ، أصدقاء اترك كانوا قد حدثوه عن ظروف العمل الشاقة والخطرة على الصحة بشكل لا يصدق في هذا المصنع الذي يستخدم عالماً عمالاً أتراكاً ، المشكلة : ان المصنع توقف عن تعيين عمال جدد ، وبدلاً من ذلك يستأجر عمالاً من شركة أخرى ، حيث تحصل الأخيرة على ٣٥ - ٨٠ ماركاً مقابل كل ساعة عمل للشخص الواحد ، العامل نفسه يتسلم مبلغاً بخساً يتراوح بين ٣ - ١٥ ماركا ، وتتسرب البقية الى جيوب أصحاب الشركة ، يقصد (علي) الشركة الثانية المتخصصة في ازالة الفضلات الصناعية على اختلاف أنواعها : شحوم وزيوت وغازات سامة وغبار دقيق وخشن ، تؤجر هذه الشركة جدا ذلك

٦٠٠ عاملة تنظيف الى مختلف المصانع الكبرى في ألمانيا .

أثناء النقل الى موقع العمل احتشد ١١ عاملاً اجنبياً على أرض « ناص » الشركة الملطخ بالزيت ، أما المقعدان الوحيدان في الباص فقد كانا مشغولين من قبل عاملين المانيين ، عند بوابة موقع العمل ورعت بطاقات تثبيت الوقت . لم يحس (علي) دفع الطاقة في الاتجاه الصحيح فعلق أحد البوابين قائلاً :

« عندكم في افريقيا يجثمون على رؤوسكم » . تدخل عندها أحد الزملاء الأتراك لمساعدة (علي) في حتم الطاقة . ولاحظ (علي) بأن تعليق البواب مس الأجاب جميعاً ، ولكنهم كانوا مضطرين الى تغافل الالهاسات كما هو عليه في الكثير من الحالات اللاحقة ، ولخوفهم أيضاً من فقدان العمل عند حصول مشاحرة ، فالاحتمالي هو الذي يفقد عمله عادة في هذه الأحوال .

بدأ العمل : « تحت درجة عشرة تحت الصفر كان علينا ازالة أكوام من الطين والصخور ، يجعلك البرد القارس تعمل بسرعة قاتلة ، بعد بضع ساعات أمرنا بالتوجه الى موقع عمل جديد ، وبعد هبوط العديد من السلام تحت الأرض تشعر فحاة وكأنك ستختنق من كثرة الغبار ، لتكتشف بعد قليل بأن ذلك لم يكن سوى الداية ، علينا ازالة طبقات التراب المتركمة على المكائن التي يبلغ ارتفاعها سمك أصابع اليد ، لن تستنشق الغبار فحسب ، بل تبتلعه ابتلاعاً ، والألم يعتريك مع كل سحبة هواء ، تحاول إمساك الهواء ولكنك لن تستطع بسبب الحركة المستمرة . يحثنا مراقب العمل الواقف في الخلف : « أسرعوا عندها تنجزون العمل بعد ساعتين أو ثلاث وتعودون الى الهواء الطلق » . ان ذلك يعني ضحك رثيكي بغبار فحم الكوك طوال ثلاث ساعات ، لانه حصل على أقنعة لأن العمل معها يتم أبطأ ومراقب العمل يدعي بأنه ليست هناك نفود لذلك .

هلموت ، العامل الألماني الذي لم يتجاوز الثلاثين ، ولكنه يبدو وقد قارب الخمسين ، يتذكر

كتاب الشهر



وهو يحدثنا

« مات قبل عام ستة رملاء ، أثناء تدفق العار فحاة من الأنايب فمن رعب الموت تسلقوا الى الأعلى بدل هبوطهم السلام ، والعار تسلل معهم الى الأعلى أيضا ، نحا أحد الرملاء من الموت فقط ، لأنه كان ثملا في الليلة السابقة ، ولم يستيقظ للذهاب الى العمل »

معهد التجارب البشرية

« أوقفوا التحارب على الحيوانات ، استخدموا الأتراك »

حملة مكتوبة في مرافق أحد المعامل

فقد الرميل التركي عثمان مرله لأن أدلر صاحب الشركة ظل يماطل في دفع أجرة ، أحد عثمان يام عبد المعارف والأصدقاء ، حيث يقضي ها ليلة وهناك ليلتين ، ويام أحيانا على مقاعد الحدائق في العراء ، وهو مهدد بالطرد من ألمانيا لعدم حيازته على ورقة سكن ، ولتقديمه طلبا للحصول على الخدمة الاجتماعية ، وهو لا يريد العودة الى تركيا انه يحس بألفة أكثر في عربه ألمانيا الباردة ، مما عليه في ديار الاناء ، حيث قصي السنوات الأولى من عمره فقط ، كان يعابي من سعال حيث سبب عمله في معمل الكوك ، قال عثمان ذات مرة أثناء حروحا الى الهواء الطلق في استراحة قصيرة بعد عملنا معا في احد العمار المليئة بالعار واستنشاقا القادرة بالأرطال

« أفكر أحيانا بانها ذلك كله بقرة واحدة الى وسط لهيب الفرن العالي ، فحيح واحد ، ثم لا تشعر بعدها بشيء » حدثني عثمان مرة عن حال له في مدينة أولم يستطيع السكن عنده والحصول على عمل كذلك ، ثم استطرد بشيء من العموص « عمل ليس أفضل من ها ، ولكن المرء على الأقل يحصل على بقوده هناك ، ها عليك انتلاخ العمار وتحمل العمل الشاق ، هناك عليك فقط الانتلاخ واعطاء دمك » سألته اذا كان من الممكن أن أحل محله في

هذا العمل ووعده مقابل ذلك باعطائه نصف الملع الذي سأحصل عليه هناك

استحاب عثمان لطلبي ولأعنتي الفكرة كذلك سبب اكتافي الممرقة والدسحة الصدرية التي أعاني منها نتيحة لعمل في مصنع الكوك

كان هناك بعض المتطرين في هو معهد الفحوص البشرية ، أعلمهم من الأحاب والتساب العاطلين عن العمل قدمت الورقة التي حصلت عليها من عثمان الى الموظف ، وتساءلت فيما اذا كان يوسعي أن أحصل على تحررة اقل حظورة ، اد سق لثمان أن حذري من معة التحررة التي سأعرض لها ، قال الموظف وهو يحاول اتحاد هيئة تدعو الى الطمأنينة « لا داعي للحواف ، الجميع حرحوا أحياء من ها حتى اليوم »

في سادى الأمر ، تأتي الفحوصات الأولية ، الطبيب الذي يقوم بذلك يطري الاتراك أثناء فحصه لى « اهم يتحملون الكثير ، ولا يتدمرون من كل صغيرة ، بعد ذلك كان على توقيع عقد التعهد ، يحص الفحص اربعة مستحضرات طيبة لعصيرين مختلفين ، وهذه التحصيرات المروحة لها عالسا مصعول على حسم المريض

تستغرق التحارب ١١ اسوعا ما في ذلك أربع اقامات احارية لمدة ٢٤ ساعة كل مرة العوارص الحابية واردة في ورقة الشروحات كالآتي حمول ، تقلب المراح وعصية ، تعير التركيب الدموي ، تعير قرص الوجه ، حساسية وتعير في الشرة عدا ذلك يعابي قرانة ٢٠ / من المحترين بتقيح في لثة الأسنان

في صباح اليوم التالي كان عليا الاصطفاة عد ساب المحتر ، تساوت قرصين ، أحسست فحاة بانقاص في حدقتي عيبي حاولت تحويل بصري الى الممر ، ولكن أشعة الشمس هرتي ، وشعرت بألم شديد في العين ، في الساعات التالية كت أحر بصي الى المحتر كلهاثم في سات ، حيث كانوا يسحبون الدم كل ساعة ، كان الشحوب والاصطراب يعلب

بحاجة شديدة الى التصليح . ولغرض القيام بالفحص السنوي للمفاعلات الذرية يفضل غالباً استخدام العمال الأجانب . لا توجد في المانيا معلومات دقيقة حول نتائج التلوث الذري للعاملين في هذا القطاع ، كما ان فرق العمل الاجنبية التي توظف في مجالات التصليح او التنظيف لا تدرج في الاحصاءات . وغالباً ما يكون الاجنبي قد غادر الى مدينة اخرى او الى وطنه عند اصابته بسرطان في المجاري البولية او الغدة الدرقية ، وذلك بعد سنوات طويلة من عمله في احد المفاعلات الذرية .

لذلك تفضل ادارات المفاعلات استخدام الاجانب لفترة قصيرة ، وذلك لانجاز المهمات الخطيرة ، اذ تستأجرهم عن طريق الشركات التي تتداول بالأيدي العاملة .

موتى بلا شهود

يتم تلوث هؤلاء العمال غالباً ، خلال ايام معدودة ، بل ساعات او دقائق ، بالحد الأقصى من الجرعة الذرية المسموحة للعاملين في هذا المحال خلال سنة كاملة ثم يستبدلون ببساطة بعمال آخرين . لا يدرك العمال الأجانب غالباً المخاطر التي تخدقهم عند عملهم في المفاعلات الذرية واسباب انتهاء العمل المفاجيء ، او بعد فترة قصيرة من ابتدائه احياناً . ومن المؤكد اليوم بأن اي تلوث اشعاعي مهما قل حجمه يؤدي اما الى الاصابة بالسرطان او الى مرض وراثي يصيب الأجيال القادمة ، وأخيراً ما في عوارض المرض تبدأ بعد فترة طويلة قد تبلغ العشرين او الثلاثين عاماً . ومن ياترى يشك عندما بأن العامل التركي الذي يذهب ضحية السرطان ، كان قد سبق له العمل في المحال الخطر لأحد المفاعلات الذرية التي تستخدم مئات الالوف من العمال سنوياً ، في المانيا نصفهم على الأقل من الأجانب الذي يغادرون الى بلدانهم قبل ظهور نتائج التلوث عليهم ويموتون على دفعات ، بلا شهود او أدلة . □

على الجميع بعضهم كانوا يفقدون الوعي فينقلون من الأسرة الى المختبر .

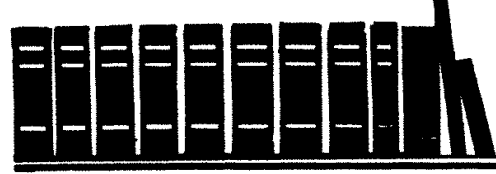
كانت إحدى النساء تعاني من تهيج داخلي ، من نوبات غيبوبة واضطراب في الدورة الدموية ، وتصلب وبرودة في الذراع . في اليوم التالي لازمتي جميع العوارض بشدة : شرود وآلام في الرأس ، ضعف الادراك ، ونوبات غيبوبة ، ونزيف شديد في لثة الأسنان ، وفي هذا اليوم سحب دمي سبع مرات ، أحوال الآخرين لم تكن افضل ، وكان الجميع يعاني من صراع شديد ، واتضح لي بأن السكوت الذي كان سائدا يعود الى خوف المختبرين من عدم استخدامهم في تجارب قادمة في حالة تدميرهم .

قررت بعد أربع وعشرين ساعة إيقاف التجارب . كان علي حسب العقد ان اخضع لثلاث اقامات جبرية اخرى . وتزداد العوارض حدة بشكل مطرد حسب اقوال الآخرين ، وعلى المرء ، علاوة على ذلك ، الحضور في الساعة السابعة من صباح كل يوم لسحب الدم كما أن عليه جمع بوله في اكياس نايلون وتسليمه طوال فترة التحرية ومن يقطع التجربة قبل اتمامها لا يتسلم اي قرش .

كان هذا المعهد هو واحداً من المعاهد الخاصة بالتجارب الشريفة ويبلغ عدد زبائنه ٢٨٠٠ . ولا تقام التجارب لأسباب طبية كما هو الادعاء ، بل ان هدفها الاوحد هو البحث عن استراتيجية بيع افضل لهذه الأدوية . ولا توجد اية جهات ترعى شؤون الأشخاص المعرضين لهذه التجارب وتخدم نتائج الفحوص الشركات وليس المرضى .

عند مراجعتي لطبيب الأسنان بعد ايام من ذلك لأصابتي بورم في اللثة ، فحصى الطبيب متسائلاً : « هل تناولت حبوباً ضد مرض الصرع » .

بقيت مهمة واحدة اراد (علي) الأخذ بها على عاتقه ، العمل في اقدم مفاعل للذرة في المانيا الاتحادية ، والذي بدأ العمل فيه عام ١٩٧١ ، وهو



من المكتبة العربية



تأليف : زيد مطيع دماج
عرض وتحليل : الدكتور أمين العيوطي

مع « رهينة » زيد مطيع دماج أنت لست مع رهينة اختطفتها عصابة من أجل فدية ، ولا أنت مع رهينة في حادث اختطاف طائرة في عالمنا المعاصر ، الذي لم يعد يعرف الأمان وسط كل أشكال الارهاب ، انت مع رهينة من نوع فريد لم يخطر لك على بال ، رهينة ترسف في أغلال القرون الوسطى في ليل الامامة البائد في اليمن ، والفجر يوشك أن يلوح ، والرهينة تدق باب الحرية ركلا بقدمين يدميهما قيد ثقيل ، ودقا بقبضتي يدين مفلولتين من أجل الوثوب بقفزة واحدة الى عتاب القرن العشرين . .

يسعد المرء حين يضع يده على عمل فني من قطر عربي عزيز ، يتحدى كل محاولات التمزيق والعزل وعدم التواصل ، ويسعد المرء أكثر حين يجد في هذا العمل صدق لآلامه وأحلامه وآماله ، ورواية « الرهينة » التي بين أيدينا الآن تأتينا من اليمن السعيد .

والرهينة هنا ليست سوى صبي هرب به أمه وسط مزارع الذرة والقصب في قرية جبلية ، خوفا عليه من حرس الامام الخاص ، وفرسان ولي العهد سيف الاسلام ، قبل أن يحدقوا بها وينتزعوه من أحضانها الملتاعة ، وهو ليس الا رهينة من رهائن عديدة ، يساق الى سجن القلعة ، قبل أن يرسل الى قصر من

قصور الامام أو أحد الأمراء أو أحد نواب الامام ، وهو ما يزال بعد صبيبا لم يبلغ الحلم ، ليقوم بعمل « الطواشي » في قصره ، يدلك له ساقيه أو يجهز المقيبل له ولزمرته ، أو ليقوم بخدمة حريم القصر من زوجات وأخوات وبنات وخادصات ، بما في ذلك الممارسة لكل أشكال الجنس الشاذة ، تحت مسمى « دويدار » إما ضمنا لولاء أبيه ، أو كسرا لشوكته ان كان أحد المناضلين ضد نظام الامام .

في غياهب السجون

الى الفئة الأخيرة لا ينتمي فقط والد الصبي الذي « يلهب الدنيا بلسانه الطويل على الامام في الجرائد في عدن » ، بل الاعمام وأفراد الأسرة الآخرون من مشايخ ورؤساء ألقى بهم في غياهب السجون ، بحيث لم يعد في ديار القبيلة الا النساء والرضع ، وأمهات يذرفن الدمع على المصيبة الرهائن ، الرواية بلا شك تجربة فريدة في نوعها ، غريبة كل الغرابة على القارئ العربي ، ومن ثم فلان جدتها التي تفتح للخيال والعقل آفاقا جديدة ، لم نحلم بها في تجربتنا العربية ، مع كل أشكال القمع والكبت والقهر التي تناولتها الأقلام العربية في كل الأقطار .

وليس بأقل غرابة من هذه التجربة غرابة البيئة الاجتماعية التاريخية التي يجري فيها الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ، فقصر نائب الامام ليس الا صورة أخرى من قصور الامام والأمراء ، هو قلعة أخرى يحيط سورها العالي بملحقاتها من قصور الآباء والأجداد وقصور الحريم بعنابر الجند النظاميين على يمين البوابة الرئيسة ، وعنابر « الجند البراني » وجنود الاحتياط خارج البوابة على يسارها ، تطل على ميدان فسيح ، يغدو فيه الجند ويروحون حفاة الأقدام بينادقهم « الموزر والصابية والبشل الطويلة » الموشاة بالحلي الفضية والعملات المعدنية الأجنبية ، وحافظة رصاص البنادق تلتف من الكتف الى الخصر ، وتدور حول الصدر والظهر .

واذا كان السور العالي يعزل القصر عن المدينة ، فهناك سور آخر وهمي يعزل اليمن بأسرها عن العالم الخارجي ، فالصلة الوحيدة التي تربط اليمن بالعالم الواسع والقرن العشرين مذباغ نائب الامام ، الذي

يلتف حوله حشد كبير داخل أسوار القصر وخارجها ، أو حالك قديم باسطواناته الفحمية ، أو تلك السيارة القادمة من عالم مجهول ، يجلبها ابن النائب معه من الخارج ، فتخرج المدينة بشبيها وشبابها ورجالها ونسائها وأطفالها للفرجة عليها ، قبل أن يستولي عليها ولي العهد ، وهذه العزلة لا تفرض فقط انقطاع الصلة بين اليمن والقرن العشرين ، لكنها تفرض كافة أشكال التخلف والفقر والقهر ، فقد تبدو المدينة لعيني الطفل من فوق أسوار القلعة بمآذنها وقبابها ومنازلها وهضابها وسهولها وجبالها الممتدة على مدى البصر جميلة تخلب اللب ، لكنه حين يجبرها عن قسرب يجدها « بؤرة للبؤساء » والمرضى والمجانين ، وأصحاب العاهات والمعوقين والحكام الظالمين ، مدينة البؤس والتعاسة .

المكان اذن ليس مجرد بيئة منظرية ، هي بيئة اجتماعية سياسية تاريخية ، الجانب التاريخي فيها لا تحدده فقط الفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث الرواية ، بل يحدده أيضا حديث العسكر الدائم عن معارك ضد الاتراك والوهابيين والبريطانيين ، أو حديث ضارب النفير عن حرب الانسحاب التي جرت في أطراف تهامة بين الوهابيين والسعادية ، وبين اليمنيين والزيود والمتوكلين وانسحابهم الى عدن ، بل ان صور هتلر وموسيليني وعمر المختار التي يزين بها الدويدار الآخر رفيق الصبي الرهينة جدران غرفته تحدد الزمن الذي تجري فيه الأحداث .

واذا كانت تلك الذكريات والصور مجرد أصداء تاريخية تتردد في جنبات الرواية ، فان الكفاح ضد نظام الامامة يكسب الرواية بعدا تاريخيا حديثا ، فهناك جو التوتر السياسي الذي يضيفه على جو الرواية وجود الأحرار اليمنيين في عدن ، والمؤامرة التي يميكنها في صنعاء ضد الامام ، وأحاديث المقيبل عن قضية الأحرار والدستور ، وولي العهد سيف الاسلام ووالده الامام الهرم ، هذا الاشتغال بالاطار التاريخي السياسي الذي تعرض الرواية في سياقه الحدث الذاتي الخاص بالصبي الرهينة ينطق بلسان فصيح فيما يقوله الراوية من انه :

في سجل تاريخ شعينا اليماني - انه قادر على تنفيذ كل رغبة تحتاح مشاعره ، وهو ينفذها بالفعل ولو بطريقة عشوائية ، ربما يقال انها ليست مثيرة ، ولكنني

أكد أنها مثيرة ، فباستطاعته انهاء الظلم ولو بصبر الجمال وحقدما .

العام والشخصي

هكذا يأتي مقتل الامام في صنعاء وهروب ولي العهد من المدينة ، ثم تجميع صفوف رجاله وانقضاضه على معارضيه ، واستباحة المدينة قتلا وسلبا ونهباً ليضع الحدث الشخصي الخاص بالرهينة في اطار تاريخي عام ، بل ليكسبه دلالات تاريخية وسياسية أعمق ، فالرواية في حقيقة الأمر ، تجدل الخط العام والخط الشخصي في ضفيرة واحدة ، بحيث تصبح هموم الرهينة الشخصية هموما عامة ويرتبط أسرها بمقاومة الأحرار ، بل بالقضية الأساسية التي تتناولها الرواية وهي قضية الحرية .

البيئة اذن ليست مجرد خلفية للزينة ، انها بيئة فعالة تشكل مقومات شخصية الصبي ، وتلعب دورها في توجيه مسار الحدث ، فهي تتحكم في تحديد موقف الصبي الرهينة ومشاعره وعواطفه وأفكاره تجاه ما يحيط به من شخصيات ، وما يدور حوله من أحداث ، وبداية ، فان انتزاعه من بين أحضان أمه وسواعد ذويه هو الذي يحدد موقفه ، إن حنينا أو تمردا أو تعززا أو اشتهاً أو تعاطفاً أو نفورا أو رغبة في الفرار ، ثم هناك الحزن العميق والاحساس بالدونية الذي يلاحقه ويلاحق صديقه ورفيقه في الأسر ، كلما أنشد الجند لها ذلك النشيد الجماعي التقليدي الذي يصبح لازمة تتردد من آن لآخر على امتداد الرواية : « يا دويدار .. قد امك .. فاقدة لك .. دمعها كالطرر » وهو نشيد يحرك في الرهينة الحنين الى حضن الأم ، والأمان وسط العشيرة والقبيلة التي ينتمي اليها هذا الحنين الذي يلعب في عيون الرهائن ، وهم جلوس على سطح سور القلعة المطل على المدينة ، يؤرجحون سيقانهم في الهواء ، وينظرون الى الأفق البعيد ، كل يبحث عن قريته وراء الجبال ، أو يحلم ببلدته القابعة في حضن الجبل الأشم المغروسة بين عشرات القرى ومئات الحقول المدرجة وآلاف المزارعين .

قد يولد هذا في نفس الصبي حلم الفرار ، وهو ما

تمكن منه البعض وفشل فيه البعض الآخر ، فعاد الى القرية مكبلا بالقيود الحديدية مدى الحياة ، لكن حلم الحرية لا يغيب عن عينيه أبدا ، وهو في هذا مختلف عن رفيقه الدويدار الآخر الذي يبدو مستسلما لمصيره ، ان لم يكن أيضا مستمتعا بحياة الأسر ، ولعل السر في أن الرواية تقدم دويدارين بدلا من دويدار واحد ، يصبح غطا يمثل كل الرهائن ، هو أن الكاتب انما يريد في الواقع أن يقدم نموذجين متعارضين وموقفين متناقضين ، يعمق من خلالها التناقض بينهما ، نلمح التمرد الدائم في الصبي الرهينة فاذا كان « الدويدار الحالي » ، أو الصبي الجميل قد استسلم لتلبية رغبات حريم القصر فان الصبي الرهينة لا يحركه لا شعورة بالتقزر ، وليس التقز في الحقيقة الا شكلا من أشكال النفور والتمرد والتحدي الذي يضفي على صاحبنا صفة يتميز بها عن الدويدار الآخر .

قيد للجميع

ولعل هذا التناقض بين الاثنين على وجه التحديد هو الذي يتحكم في مسار كل منهما ، فالواقع أن خطيهما يتطوران في اتجاهين معاكسين ، الدويدار « الحالي » يبدأ حياته في قصر النائب ، رشيقا نشيطا ذكيا سريع البديهة حاضر النكتة ، لا يقر له قرار ، يحوم على الدوام في جنبات القصر ، لكن بدسه لا يلبث أن يذبل فيشحب لونه ويتسلل السبل الى صدره ، ويشند في الليل سعاله المبحوح ، وتنبني صفرته عن قرب أجله ، وتتحول عنه النساء اللاتي أوردنه مورد الهلاك ، لكن المصير التعس الذي يلقيه لا يثير فقط أحزان الصبي الرهينة ، بل يثير فيه ادراكا بالمصير الذي ينتظره اذا تبع نفس المسار ، ويصبح هذا الادراك أحد العوامل الحاسمة في تشكيل موقفه النهائي من حياته في القصر ، ومن نسائه ، وعلى الأخص الشريفة حفصة وحتى حين تصدر الأمر بفك قيده ، فانه يقاوم تنفيذ الأمر ، ويشتبك مع الجندي المكلف بتنفيذ الأمر في معركة بالأظافر والأسنان والحصى والركلات واللطمات ، هولن يخضع ، وقد تجد الشريفة حفصة صعوبة في فهم موقفه هذا ، لكن

● « الرهينة » بين الأسر والحرية

ادراكه يصل الى المزاجية بين الأسر السياسي والأسر الجنسي الذي تريد الشريفة حفصة أن توقعه في حبائله ، والذي كان على الدوام يجاهد ضد الوقوع فيه .

ومرة أخرى تنفصل اللحظة الذاتية عن اللحظة العامة ، لحظة موت صديقه لا تنفصل عن اللحظة التاريخية التي يقتل فيها الامام ، ويهرب فيها ولي العهد ، ثم تحدث المعركة عندئذ :

توهجت المدينة والقرى المحيطة بها في الجبال والسهول بأضواء هائلة على أسطح المنازل تدل على وقوع حدث مهم .

ويتنصر ولي العهد على الثورين ، وتبتر رقاب في مدينة حجة ، وتستباح صنعاء ، ويتزامن موت « الدويدار الحالي » وانتصار الامام الجديد . ويصل الحدثنان بالصبي الى ادراك جديد بان لا وجود للعاطفة في هذا القصر ، ومن الادراك يتولد قرار بالفرار ، وتحاول الشريفة حفصة ان تحول دون فراره ، وامام اصراره تحاول اغراءه أن يأخذها معه ، انها تحاول في الواقع أن تعرض عليه انقاذها في لحظة تاريخية تدرك فيها انه لم يعد لها ولا للنظام الذي تمثله بقاء ، لكنه يطلق لسياقه العنان ، تاركا وراءه صوتها المبحوح يناديه ، لكنه كان قد قطع « مسافة كافية في طريق جديد مؤد الى المستقبل » .

بهذه النهاية المفتوحة توميء الرواية الى مستقبل مفتوح ، ربما لم تكن معاملة قد اتضحت بعد ، لكنه مستقبل يوحي بالتفاؤل والامل ، فقد كانت الرواية تتحرك منذ البداية بين نقطتين ، نقطة انطلاق ونقطة وصول ، بين لحظة الأسر ولحظة الحرية ، وصدقت النبوءة ، وانطلق اليمن . □

رفضه ينبع أساسا من موقف ، قد يعذبه الاحساس بالقهر ، وقد يولد فيه الاحساس بالعجز فكرة ان : السجين المقيد مرتاح أكثر ممن هم طلقاء بلا قيود في هذه المدينة ، بل ربما في البلاد كلها ! . فعذرهم واضح بانهم سجناء مقيدون لا حول لهم ولا قوة .

لكنه في النهاية لن يرضخ للقهر دون تأكيد ارادته وقدرته على المقاومة ، فهو صاحب قضية : قيده هو القيد الذي يكبل الجميع ، وأسرته بعضها مشرد وبعضها في السجون . أو في المهجر ، وهو رهينة والديه يناضل في عدن ضد الامام وسيوفه ، وهو مشدود بين ما يجري بداخله من غضب عارم لما حل بأسرته وبه ، وبين ما يعتل في أعماقه من رغبة شبة في المرأة تستبد به ، لكن الغضب والمقاومة هما السبيل الوحيد لتأكيد كرامته كإنسان .

ولحظة الادراك الذاتي هذه لا تنفصل أيضا عن لحظة ادراك عامة وسط الصراع المحتدم بين الأحرار الوطنيين وبين نظام الامامة المتخلف ، وهو خط لا يغيب عن وعي الصبي لحظة واحدة . فهو حين يعرب لصديقه عن رغبته في الخروج من القصر الى الميدان والمدينة والشارع والسوق ، فلأنه كما يقول « أريد أن أشم الهواء النقي ، أن أشعر بأنني حر » قضية الحرية لا تغيب عن باله لحظة ، وحين يعرب له صديقه عن رغبته في أن يحمل فراشه الى مكان آخر خارج الغرفة التي تضمها ، والتي يأنس اليها الصبي رغم فقرها تحده يقول :

- هل أخذ أشياءي وأرحل عن رغبة لك ؟

- أنت حر .

- لم أعد حراً منذ عرفت قلعة الرهائن . . . وقصر مولاك النائب . . . ودار الشريفة حفصة .

في القُبلة

قيل : قبلة المؤمن للمؤمن المصافحة ، وقبلة الرجل زوجته القم ، وقبلة الوالد لولده الرأس ، وقبلة الأم للابن الخد . وقال الامام علي بن أبي طالب عليه السلام : قبلة الولد رحمة ، وقبلة المرأة شهوة ، وقبلة الوالدين عبادة وقبلة الأخ للأخ رقة .

مكتبة العربي

مختارات

واضحاً ، وتعلو فيه نبرة التحريض ضد الواقع الذي
تعربد فيه أصوات الشر والقهر ، وتبرز من خلاله
صور الاحتلال الصهيوني .

وضمن هذا المناخ المحدد القسّمات والملامح يجد
الشاعر مفرداته التي تتميز بالباشرة والوضوح ، والتي
لا تخلو من قسوة ، وتكاد لا توحى بأكثر من حروفها
المحددة بصرامة ، وعلى مستوى القصيدة ضم
الديوان قصائد تتراوح بين القصيدة التقليدية وقصيدة
الشعر الحر والقصيدة الثرية ، يجمعها كلها ذلك
النفس التحريضي الذي أشرنا إليه .



الكتاب : القراءة والتجربة - حول التجريب - في
الخطاب الروائي الجديد في المغرب .
المؤلف : سعيد يقطين .
الناشر : دار الثقافة - الدار البيضاء - المغرب .
عدد الصفحات : ٣٢٠ صفحة .

يبحث هذا الكتاب وهو الرابع في سلسلة
الدراسات النقدية قضايا نظرية وتطبيقية في الأدب
المغربي المعاصر وخصوصاً في الرواية .
وينطلق من أربعة نماذج روائية ، شهدت مرحلة
الثمانينيات ، وهي المرحلة التي يطلق عليها المؤلف
اسم « التجريبية » .
ومهد الكاتب لهذه الدراسة التطبيقية بمقدمة حول
قراءة التجربة وتجربة القراءة ، وختمها بفصل تألفي
يحمل عنوان « اشكالية الخطاب الروائي الجديد
بالمغرب » ، أما مفهوم التجريب في هذه الدراسة



من المكتبة العربية
الكتاب : الديون والتنمية .
المؤلف : د . رمزي زكي .
الناشر : دار المستقبل العربي - القاهرة .
عدد الصفحات : ٢٧٠ صفحة .

في هذه الدراسة المهمة يحاول د . رمزي زكي أن
يمسك « بالخيوط المعقدة التي تشابكت في السنوات
العشر الأخيرة ، لتنسج مشكلة المديونية الخارجية
لبعض الدول العربية » ويضع المؤلف هذه القضية
الخطيرة والمعقدة ضمن إطارها الموضوعي ، من
ظروف اقليمية وعالمية ، زادت من تفاقم هذه
القضية ، والآثار التي حدثت بفعلها في البلدان
المعنية .

ولا يكتفى د . رمزي بتقديم صورة واضحة لهذه
المشكلة المعقدة للقراء المختصين والمثقفين المهتمين
فحسب ، بل يتقدم خطوة أخرى ، ويقدم رؤية
عربية لطرق مواجهة هذه المشكلة .



الكتاب : يتشكل الغيم في رحم المدينة - شعر .
المؤلف : هادي دانيال .
الناشر : الشركة التونسية لفنون الرسم - تونس .
عدد الصفحات : ١٠٠ صفحة .

الكتاب الشعري السادس للشاعر السوري هادي
دانيال الذي يعكس في كتاباته الشعرية هما قوميا



الكتاب : الخليج العربي والحضارة المعاصرة .

المؤلف : عبدالرزاق البصير .

الناشر : مطبعة حكومة الكويت .

عدد الصفحات : ١٣١ صفحة .

في هذا الكتاب - وهو الرابع - للمؤلف يجمع عبدالرزاق البصير عددا من المقالات التي كان نشرها على فترات متباعدة في صحف ومجلات عربية ويجمع بين هذه المقالات المتنوعة قضية مهمة هي قضية عروبة الخليج ، ويلج المؤلف الى هذه القضية من الجانب السياسي والاجتماعي والتاريخي والأدبي ، وعلى مدى هذه الحقول يسير الأستاذ البصير ، فيبحث في اسم الخليج العربي وتاريخه وكتابه وشعرائه وعلاقاته الثقافية والأدبية ، ويضيء بعض جوانب هذا التاريخ ، وخصوصاً الجانب الأدبي ، ويدخل في نقاش مع كتاب آخرين أثاروا قضية ما حول المنطقة ، ليصل في النهاية الى هدفه المقصود في رسم صورة متكاملة للطابع العربي لمنطقة الخليج .



الكتاب : رحلة جبليّة - رحلة صعبة - سيرة ذاتية .

المؤلفة : فدوى طوقان .

الناشر : دار الشروق للنشر والتوزيع - عمان .

عدد الصفحات : ٢٣٩ صفحة .

في هذه السيرة الذاتية للشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان ، نرى أكثر من هم ، ونخرج بأكثر من سؤال ، ونترك الكتاب ولدينا معرفة بالمناخ الفلسطيني المعقد الذي اكتنف الحياة والمجتمع في فلسطين ما قبل النكبة وقبل النكسة ، وقبل أن يأخذ الصراع العربي الصهيوني شكله الحالي .

وخلال رحلتها الجبلية الصعبة تقتحم فدوى طوقان بجرأة تحسب لها عالم الاعترافات الذاتية التي تعودنا على قراءتها عبر أعمال الرجال من الكتاب . وعبر هذه الاعترافات والذكريات الذاتية نخرج بصورة عن الأجواء الاجتماعية والسياسية التي أسهمت في التكوين الأدبي للشاعرة الفلسطينية الكبيرة .

ينهض على تكسير البناء الهرمي التقليدي للعمل الأدبي ، فهو بذلك نهج ملائم لمرحلة تاريخية تأتي على سابقتها وتطمح الى انتاج آخر ، ليس له غاية قابلة للتحديد موضوعاً ، ومن هذا المنظور تنطلق الدراسة في تحليل التجربة الروائية في مرحلة الثمانينيات ، دون أن تفصلها عن كتابات المديني والتازي وربيع في مرحلة السبعينيات ، وعن محاولات التجريب في الرواية العربية بشكل عام . ويعد هذا الكتاب محاولة تأسيسية في مجال النقد الجديد ، استفاد فيها الكاتب من انجازات المناهج الغربية الحديثة .



الكتاب : درس الابستيمولوجيا .

المؤلف : عبدالسلام بن عبدالعاطي وسالم يفوت .

الناشر : دار توبقال للنشر - الدار البيضاء .

عدد الصفحات : ٢١٠ صفحات .

يحاول مؤلفا الكتاب الوقوف عند بعض المنعطفات الكبرى التي عرفت بها بعض المعارف العلمية ، لا من أجل مسحها والتأريخ لها ، وإنما بهدف رصد مظاهر التجديد والطراقة فيها ، باعتبار أنها كانت مناسبات لاعادة النظر ، فيما كان ينظر اليه على أنه أولى وضروري .

ويعود المؤلفان الى المنطق الجديد الذي أسسه ديكارت على أنقاض المدارس الفلسفية التقليدية ، وموضوع هذا المنطق الجديد هو علم العلوم ، أي العلم الذي يتخذ موضوعاً له العلوم ، ليسجل الطرق التي يتبعها العلماء في ميادينهم المختلفة ، فينتقد تلك الطرق ، ولا تعنى عملية الانتقاد أن هذا المنطق تسجيل تاريخي للمناهج التي اتخذتها العلوم في دراساتها ، فالمنطق علم معياري لا يكتفى بتقرير الواقع أو تسجيله ، وإنما يتوق الى ما يتجاوزه .

ويوضحان من خلال الكتاب أن الابستيمولوجيا ليست نظرية المعرفة التقليدية ، فنظرية المعرفة كما يدل على ذلك اسمها ، تهتم بجميع أنواع المعارف دون تخصيص ، في حين أن الابستيمولوجيا تتعرض لنوع خاص من المعارف هو المعرفة العلمية .

مسابقة العربي الثقافية

العدد ٣٣٤

سبتمبر ٨٦

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً

الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً

الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً

٨ جوائز تشجيعية

قيمة كل منها ١٠ دنانير

الشروط :

الاجابة عن عشرة من الاسئلة المنشورة ،
رسل الاجابات على العنوان التالي : مجلة العربي
مستودع بريد ٧٤٨ - 13008 - الكويت
مسابقة العربي الثقافية ، العدد ٣٣٤ ، وآخر
يوم لوصول الاجابات اليها هو ١٥ أكتوبر
١٩٨٦

أرفق الحل مع هذا
الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العدد ٣٣٢

١ - ورد في أحد كتب السلف الصالح الفقرة
التالية :-

« قال بعضهم عن الأرض انها مسوطة في
التسطيح . وقال بعضهم هي على شكل الترس ،
ولولا ذلك لما ثبت عليها ساء ولا مشى عليها
حيوان . . . والذي يعتمد عليه حمايرهم (بمعنى
كثرتهم) أن الأرض مدورة كالكرة . ومن القدماء
من أصحاب فيثاغورس من قال ان الأرض متحركة
دائماً على الاستدارة ، والذي يُرى من دوران
الكواكب انما هو دوران الأرض لا الكواكب .
تري من أي الكتب الثلاثة التالية اقتطفت هذه
الفقرة ؟

* عجائب الخلق للقزويني .

* المقدمة لابن خلدون .

* كتاب مفاتيح العلوم للخوارزمي

٢ - يقال ان الضفادع السامة هي الأشد فتكا
بالانسان . . . ويقال ان أشد تلك الضفادع أذى هي
التي تعرف باسم صفادع السهام السامة . وموطنها
أمريكا الجنوبية . فهي أشد فتكا بالانسان وسائر
الحيوان من الوحوش المفترسة والثعابين والعاكس
والعقارب والتماسيح . هذا بالرغم من حجمها
الصغير الذي يعادل تقريبا حجم الضفادع
العادية . صواب أم خطأ ؟

٣ - قوة الجاذبية ليست وقفا على الكرة الأرضية . .
فهي موحدة في الكون كله . وفي كل حرم من
أحرامه . . فان كان سقوط الأجسام على سطح
الأرض دليلا على الجاذبية الأرضية . فما هو الدليل
على وجود الجاذبية الكونية ؟

* بقاء أجرام الفضاء في مواضعها .

* المذنبات التي تزور المجموعة الشمسية بين حين
وآخر .

* زخات الشهب التي تنقض على سطح الارض هنا وهناك .

٤ - لن ترجع الأنفس عن غيها
ما لم يكن منها لها زاجر
هذا بيت لأبي سواس قرأه أحد فحول
الشعراء ، فسأل لمن هذا البيت ؟ ف قيل لأبي
سواس فقال وددت انه لي نصف شعري . فمن
هو هذا الشاعر الفحل الذي قال هذه
الكلمات ؟

٥ - شقائق العمان لم سموها هذا الاسم
وسموها الى العمان ؟

٦ - الخمرال سمطس . . واسمه بالكامل جان
كريستيان سمطس شغل منصب رئاسة الوزراء في
حوب افريقيا . وحاص حرب الوير قبل ذلك .

تري هل كان سمطس من الانجليز أم من قبائل
البوير ؟

٧ - مجلس العموم البريطاني ، من أقدم البرلمانات
في العالم ، وهو سلا ريب الأساس الذي قام عليه
الحكم الديمقراطي في بريطانيا تري من الذي دعا
هذا المجلس للانعقاد في دورته الأولى سنة
١٢٦٥ ؟

* رجل فرنسي قدم الى بريطانيا سنة (١٢٣٠)
واسمه سيمون دي مونتفو

* اوليفر كرومويل الزعيم البريطاني المعروف
الذي ثار على الملكية وانتصر عليها .

* ريتشارد قلب الأسد الذي اشتهر بخوضه
الحروب الصليبية .

٨ - الدلتا هي المنطقة التي تتكون عد مصب
الأنهار ، حيث تتفرع هذه الأنهار الى فرعين أو
أكثر وتشق طريقها الى البحر عبر رواس تلك
الأنهار تري لم سموها الدلتا ؟

* اللفظ فرعوني ويعني الطمي .

* اللفظ لاتيني ويعني الخصوبة .

* اللفظ يوناني . . بل انه أحد حروف الهجاء
اليونانية ، ويكتب على شكل مثلث ، ولما كانت
الدلتا التي تتكون عند مصبات الأنهار مثلثة
الشكل . . كحرف الدلتا . أطلقوا عليها اسم
الدلتا .

٩ - املا الفراغ في الامثال التالية :-

أفصح من

أبصر من

أبلغ من

١٠ - هناك نوعان من الفيلة الفيلة الآسيوية
والفيلة الافريقية فأى النوعين أكبر آذانا وأياها أكبر
أنيابا ؟

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا والأكبر أنيابا .

* الفيل الافريقي هو الأكبر آذانا

* الفيل الآسيوي هو الأكبر أنيابا .

١١ - زرع فلاح ١٠٠ شجيرة فريز في
حديقته ، وفي خط مستقيم ، وجعل بين كل شجيرة
وأخرى مسافة ياردة واحدة . . . وأثبت الفلاح غشاه
حين اراد قطف محصوله ، فوضع السلة على بعد ياردة
واحدة من الخط الذي ررع فيه شجيرات . . فما هي
المسافة التي قطعها حتى استكمل قطف كل محصوله
ووضعه في السلة . ؟ علما بأن الشجيرة الواحدة لم
تحمل سوى ثمرة فريز واحدة . . ؟

١٢ - الملسون

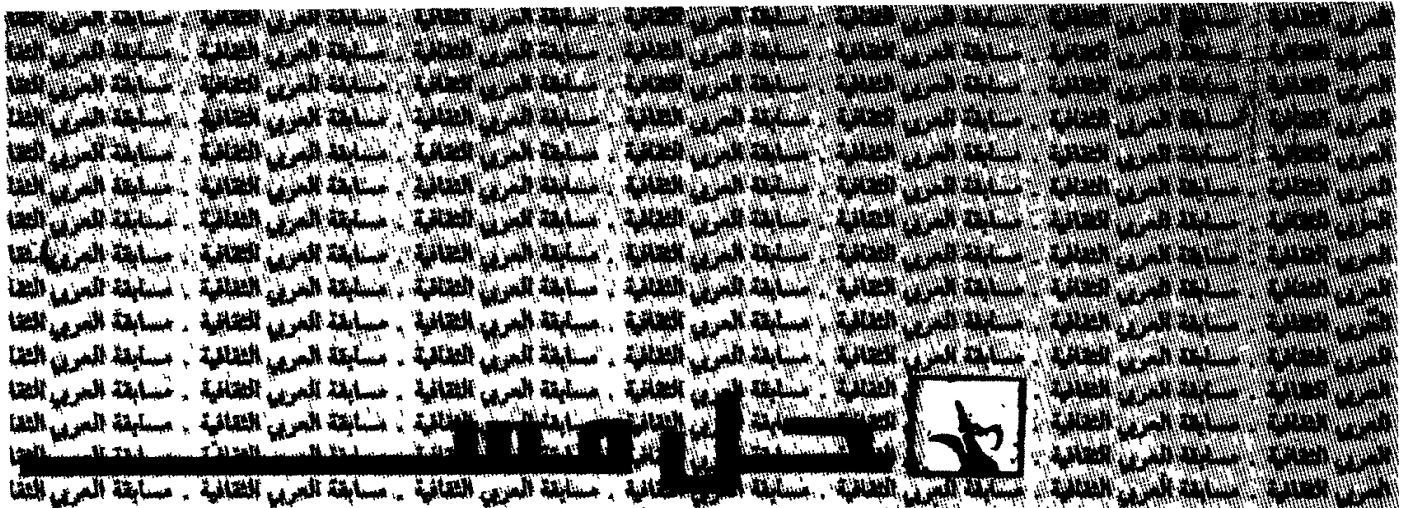
الملس

الملس

الملس

أي هذه الألفاظ يدل على الكذاب ، حلو اللسان

بعيد الفعال ؟



شاطيء الهند الشمالي .. وتبلغ هذه الجزيرة ١١ ميلا
بالطول و١٣ ميلا بالعرض .. وقد أنشئت مدينة
بومباي على الطرف الجنوبي من هذه الجزيرة .
وتجدر الإشارة الى أن بومباي تعتبر حاليا من أكبر مدن
العالم وأكثرها سكانا ، وتؤوي جامعة « بومباي »
الشهيرة .. فهذه الجامعة التي انشئت سنة ١٨٥٧
تضم ٤٢ كلية .
٨ - المخترع الأول هو صانع النظارات الهولندي ..
وقد عرف جاليليو عن اختراعه فعمد الى صنع
نظيره .. والى تطويره .
٩ - سار الرجل ميلا ، وقطع ٧ أميال راكبا .
١٠ - البحر الميت هو الأكثر انخفاضاً عن سطح
البحر .. أما بحيرة بايكال فليست منخفضة عن
سطح البحر على الإطلاق .. بل انها تقع في منطقة
جبلية يبلغ ارتفاعها فوق سطح البحر ١٥٠٠ قدم ..
الا أن بحيرة بايكال أعظم بحيرات العالم بلا
نزاع ... اذ يبلغ عمقها في أقصاها ٥٣٠٠ قدم .
١١ - نرى السماء زرقاء .. بسبب ضوء الشمس ..
والاشعة الزرقاء منه بالتحديد .. فهذه الأشعة
الزرقاء - دون غيرها - تتعرض للبعثرة ، وهي آتية
الينا عبر الغلاف الجوي .. الهواء يبعثرها بحيث
تسقط على أعيننا من كل جانب .. وهذا هو ما يجعل
السماء تبدو لنا زرقاء .
١٢ - الزاوية أو الزاوة هو الزئبق ...

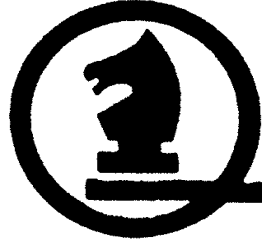
- ١ - يتبغي للكلب أن يقفز (٦٧٥) قفزة ليتمكن من
الحاق بالثعلب وتجاوزه .
- ٢ - تمثل الصورة احدى اللوحات الرائعة التي عثروا
عليها على جدران الكهوف في جنوب فرنسا وشمال
اسبانيا .. وعلى روعة الفن التي تتجلى في هذه
اللوحات فانها من مخلفات العصور الحجرية .. أي
انها رسمت قبل حوالي ٢٥,٠٠٠ سنة .
- ٣ - في نيوزيلندة .. وتعتبر هذه البحيرة وأمثالها من
أعجب ظواهر الطبيعة .. اذ تتدفق منها نوافير الماء
وأعمدة البخار ، كل على حدة ، وعلى نحو من
التراوح والانتظام يبعث على العجب حقا .
- ٤ - نعم وذلك بفعل التحات الذي يحدته ماء الشلال
في الصخور التي تحته .. فشلالات نياجرا التي تقع
على حدود كندا مع الولايات المتحدة ، تتزحزح
وتتحرك في اتجاه نبع النهر بمعدل متر واحد في السنة .
- ٥ - كتاب الجاسوس على القاموس ، ألفه أحمد فارس
الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨) ونقد فيه القاموس المحيط
للفيروزبادي .
- ٦ - سيدارتا جواتاما هو (بوذا) مؤسس المذهب
البوذي (٥٦٣ - ٤٨٣ ق م) ولفظ بوذا صفة وتعني
« المستنير » وقصة جواتاما الأمير الذي هجر أهله
والرفاهية وهو في التاسعة والعشرين قصة معروفة .
- ٧ - جزيرة بومباي تقع في بحر العرب ، وبمحاذاة

الفائزون في مسابقة العدد ٣٣١ يونيو ١٩٨٦

- الجائزة الأولى : عبدالغني محمد عوض - مصر / قنا / قوص
الجائزة الثانية : سلمان محمد السادة - السعودية / نادى الخويلدية / القطيف - المنطقة الشرقية .
الجائزة الثالثة : مجد محمد مراد - الكويت / مدرسة النهضة / ص . ب (١٩٠٢٨)

الفائزون بالجوائز التشجيعية

- ١ - مندومي الحسن بن محمد - المغرب / المحجوب / رسموكه / اقليم تزنيث / المغرب الأقصى .
- ٢ - زكريا كمال الدين محمد - مصر / وجه قبلي / فرشوط / الكرنك / عزبة البوصة
- ٣ - البوحمادي محمد - المغرب / استوديو النجاح رقم ٢١ / زنقة الشامية / الحي الحجري العيون .
- ٤ - كمال أبو يزيد شبارة - مصر / كفر الزيات / مدرسة الشوريجي .
- ٥ - فاطمة أصغر على - البحرين / الرفاع الشرقي .
- ٦ - جيهان الياس ابراهيم - مصر / القاهرة .
- ٧ - حاتم محمد السيد حسين - مصر / الزقازيق .
- ٨ - يوسف بلال يوسف - الصومال / مقديشو .



معركة بلاسلاخ

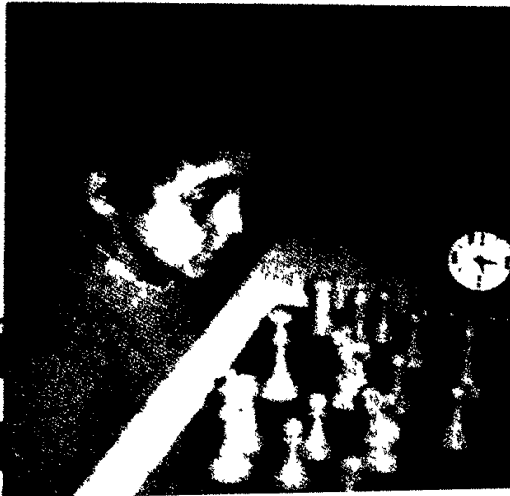
□ الطفل العربي والشطرنج

بوجار وبطل العرب سعيد أحمد سعيد كلهم رضعوا الشطرنج مع حليب أمهاتهم وحققوا بطولات دولية مرموقة قبل بلوغ الثامنة أو العاشرة من العمر . وقد اشترك في المباراة المشار إليها ثلاثون طفلاً منهم ثمانية من الإناث ، وقد فاز بالطولة المطلقة الطفل ميمون لمرباط الذي لا يتجاوز الثامنة والنصف من العمر (انظر الصورة) ، كما فازت الطفلة إكرام الرغاي البالغة من العمر عشر سنوات بالمرتبة الأولى على الإناث والمرتبة الثامنة في الترتيب العام . وقد حظيت المباراة بتغطية تامة من جميع وسائل الاعلام المغربية من مسموعة ومكتوبة ومرئية ، وما من شك في أن ما لقيته هذه المباراة الرائدة من نجاح ودعم رسمي وشعبي سيكون له شأن في دفع عجلة هذه اللعبة الراقية وتشجيع الأطفال على تعلمها وممارستها أسوة بالبلاد المتقدمة التي أدخلتها حتى في صلب مناهجها المدرسية في مختلف المراحل التعليمية .

الطفل ميمون لمرباط بطل المغرب تحت ١٢ سنة

من الأحداث الشطرنجية الرائدة التي تبعث على التفاؤل بمستقبل شطرنجي مشرق في وطننا العربي والتي تدل على الاهتمام والرعاية المتزايدة التي توليها الهيئات والمحافل المعنية على الصعيدين الحكومي والأهلي لدعم هذه اللعبة وارساء قواعدها على أسس وطيدة ، تلك المباراة التي نظمتها الجامعة المغربية للشطرنج لبطولة المغرب المفتوحة للناشئين تحت ١٢ عاماً ، والتي أقيمت في قاعة علال الفاسي في مدينة الرباط في مطلع شهر مايو من العام الحالي . وتعتبر هذه البادرة الطيبة دليلاً أكيداً على اقتناع الهيئات المسؤولة عن الحركة الشطرنجية في هذا القطر العربي الناهض بأن التقدم المنشود في هذه اللعبة الذهنية الراقية التي تبذل كبريات الدول في عالمنا اليوم الجهود الجبارة لتحقيق مكانة رفيعة فيها يجب أن يبدأ بالناشئة العربية فالطفل هو دوماً حجر الأساس في بناء الصرح العلمي والثقافي السليم هو دعم شطرنج الطفل خطوة أساسية هامة على الطريق الصحيح .

والاستعراض السريع لكبار أبطال الشطرنج الحاليين في العالم تكفي للتدليل على صحة ما نذهب إليه ، فمعظم أبطال العالم اليوم قد عايشوا اللعبة ومارسوها ممارسة جادة منذ سنوات طفولتهم المبكرة وقد تفتحت مواهبهم الفذة نتيجة للرعاية الواعية التي تلقوها منذ نعومة أظفارهم على أيدي الأهلى والمسؤولين عن الحركة الشطرنجية في بلادهم . فبطل العالم السابق كاربوف وبطل العالم الحالي كاسباروف وبطل بريطانيا نايجل شورت وبطلة هنغاريا زوزا



الفائزون بحل المسابقة ٣٣١

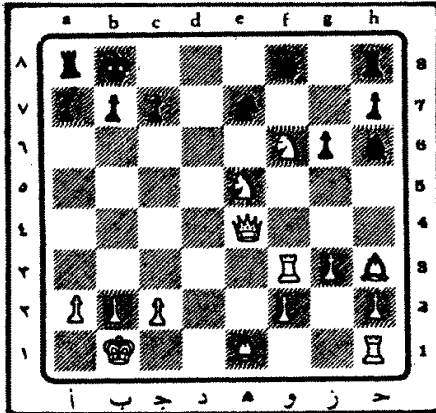
عدد يونيو ٨٦

الفائزون باشتراك سنة كاملة :

- ١ - طارق ارناؤوط - الزقازيق /
جمهورية مصر العربية
- ٢ - عبدالمهادي محمد - بغداد / العراق
- ٣ - ريم علي - صنعاء / اليمن
- ٤ - بودياف بوجمة - تازة / المغرب
- ٥ - باسم عبد الستار - الكويت .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

- ١ - ابراهيم سامي - دمياط / جمهورية
مصر العربية
- ٢ - وسام هزيم - صافيتا / سوريا
- ٣ - حمزة زواوي - بيروت / لبنان
- ٤ - أحمد المهدي - الاسكندرية /
جمهورية مصر العربية
- ٥ - محمد صالح - درعا / سوريا



مسابقة العدد

٣٣٤

مات ٣

مهداة من القاريء عاطف عبد الغني

الطفلة إكرام الرغاي بطلة المغرب للفتيات تحت ١٢ سنة
والدور التالي الذي اخترناه لكم من الأدوار المميزة
في شطرنج الأطفال :

أسود ■

□

- (١) هـ-٤
- (٢) ح-٣ و-٣
- (٣) ح-٣ ج-٣
- (٤) ح×هـ-٥ تضحية مؤقتة ح×هـ-٥
- (٥) د-٤ ف-٦
- (٦) هـ×هـ-٥ مسترداً القطعة ف×هـ-٥
- (٧) و-٤ الأبيض يحتاج باستمرار بهدف
الانتشار السريع والسيطرة على وسط الرقعة
- (٧) ف×ج-٣ +
- (٨) ب×ج-٣ ح-٦
- (٩) هـ-٤ ح-٤
- (١٠) و-٣! ح-٥
- الأبيض لاحظ التهديد و-٤ +
- (١١) و-٥ ح-٦
- (١٢) و-٥ ح-٦ ز×هـ-٥؟؟
- يبدو أن الأسود يلعب دون هدى
- (١٣) ح-٤ مُقْتَنِصاً الحصان و-٦
- (١٤) ح×ز-٥ و×ز-٥
- (١٥) ر×ح-٧ !! نقلة رائعة لاستاذ صغير فالأسود
لا يستطيع الأخذ خشية و-٨ +
- (١٥) ر-٨
- (١٦) ر×ز-٧ ج-٦
- (١٧) و-٦ ر×و-٥؟؟
- (١٨) ز-٨ ز×و-٨ +
- (١٩) ر×و-٨ كش مات

حل المسألة رقم (٣٣٢)

- (١) ف-٨ ب-٢
- (٢) ف-٤ و-٤ مات

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

حوار القراء..



دور المثقفين العرب

● السيد الدكتور محمد الرميحي ،

أكتب اليك هذه الرسالة ، وان لبست ثوب التعليق على مقالكم « الخطاب العلمي العربي » افتتاحية شهر مايو سنة ١٩٨٦ ، الا أنها في حقيقتها رسالة تقدير واحترام من قارىء لكاتبه .

مطابق أسئلتكم تدق في داخل بعنف ، فالقضية المطروحة في حديث الشهر هي قضية حياة أو موت ، نكون أولانكون ، والعالم المتقدم استحوذ على مفاتيح العلم ، وراح يسيطر على دول العالم الثالث ، بما يملكه من قوى اقتصادية وفكرية وعسكرية وفرها له في الأساس التقدم العلمي والحضاري ، والوطن العربي ، رغم مابه من جامعات ومصانع ومزارع ، وما يمتلكه من دولارات وأسلحة وسلع استهلاكية ، لا يزال يعيش في اقتصاد التخلف ، بما تعنيه هذه الكلمة من مرارة

وحق هذا الاقتصاد لم يسلم لنا ، ولم يوفر له أسباب الحماية والصون ، فها هي أسعار البترول تتدهور ، ونخشى أن يصل هذا التدهور الى الحد الذي تصبح فيه تكاليف استخراج البترول عبثا على عرب النفط قبل عرب الماء على حد تعبير الكاتب الصحفي صلاح عيسى .

لقد كتب الاستاذ محمد حسنين هيكل يقول :

« ان الوطن العربي توفرت له من الأموال مالم يتوفر في الماضي للدولة الأموية ، ولا للدولة العباسية ، ولا لبريطانيا العظمى ولا لفرنسا » . فماذا فعلنا بهذه الأموال ؟

وكتب الاستاذ غسان حناحت في مجلة الدوحة عن « لعبة الدولار » التي تهدر ثروات العرب ، وتضعهم تحت رحمة صناع القرار في واشنطن .

لقد حدث كل هذا تحت سمع وبصر كل الأنظمة العربية الحاكمة الآن ، ولذلك فان الخروج من المأزق أصبح من أخص واجبات الصفوة المثقفة التي يجب عليها أن تتكفل داخل الوطن العربي الكبير ، لخلق التيار القائد الذي يمكن أن يكون عامل ضغط وتأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية ..

ان السمة الغالبة للدول القوية والكبرى في عالمنا المعاصر هي التكتل من أجل المزيد من القوة ، وواقع امتنا العربية هو التشرذم ، فهل نحن نحلم بالمستحيل حين ندعو مثقفي هذه الأمة الى توحيد جهودهم من أجل هذا الهدف ؟ فما السيل الا قطرات ماء نزلت متفرقة ثم تجمعت هادرة !

رجب دهمس

٢٠٤ ع .

بنشر ملاحظات وتعليقات قرائها الأعزاء على ما ينشر فيها من آراء وتحقيقات

العربي

توفي يوم الجمعة ، أول رمضان / ٩ مايو سنة ١٩٨٦ ، ومن أسف لم نكتشف وفاته غير مساء اليوم التالي السبت بعد أن تغيب عن موعد كنا سنلتقي فيه ، مما جعلنا نتشكك في الأمر ، وبخاصة انه لم يذهب الى عمله كالمعتاد ، فذهبنا اليه في بيته وكانت الفاجعة الكبرى ، حيث وجدناه قد رحل عنا فجأة الى رحاب الله .

والعالم د . عبد المحسن صالح لم يتزوج ، وانما وهب حياته كلها للبحث العلمي والثقافة ، فائري المكتبة العربية بعلمه وكتبه ومقالاته التي طافت في معجزات الكون بأسلوب راق ومبدع ، جعل هذه المعجزات في متناول ادراك القارئ العادي ، لذا فاني أرجوكم التفضل بارسال عنوان القارئ السائل الكريم كاملا ، حتى يتسنى لي الحصول على الاجابة الشافية لسؤاله وارسالها اليه ، ولكن أوجه اليه شكرا خاصا على تقديره وكلماته الطيبة التي خص بها العالم الراحل الكبير .

د . نبيل سليم
مدرس بكلية الطب بجامعة الاسكندرية

العربي

.. لانظن أننا في هذا المكان يمكن أن نوفي العالم الجليل المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح بعض حقه ، ان لهذه المهمة مكانا وزمانا آخرين في هذه المجلة ، وفي كل المجلات التي اختارها العالم الكبير ، ليعبر عن وفاته للعلم والثقافة ولابناء أمته العربية .

انها مهمة تلاميذه ومحبيه ودارفي قدره ، وهي مهمة كبيرة وممتدة ، قد تتمثل في الكتابة عنه ، والتعريف بمنهجه في البحث وطريقته في الحياة ، وفي العمل ، وفي الكتابة .

وقد تتمثل أكثر من السير على طريقة وخدمة أبنائه أمته بنفس الأسلوب السهل الممتنع الذي يجعل من

.. نشكر القارئ الكريم اهتمامه ، ونشاطه الثقة في أهمية الدور الذي يمكن أن يقوم به المثقفون العرب ، سواء في تنوير وتثوير قطاعات كبيرة من الشعب العربي ، أو في التأثير على القرارات السياسية للحكومات العربية ، واننا اذ ننشر هذه الرسالة ، انما لنعبر عن تفاعل القارئ مع كاتبه ، وهو التفاعل الضروري ليتمكن المثقفون في الوطن العربي من أداء دورهم .

فالقوة التي يمكن أن تكون للمثقفين في الوطن العربي انما هي بحجم تفاعلهم مع القراء في كل مكان ، ومن خلال دور القراء في مواقع العمل وتأثيرهم في مجتمعاتهم .

من الكلمات الأخيرة ..

للدكتور عبد المحسن صالح

● قرأت في عدد يونيو سنة ١٩٨٦ من مجلة العربي في باب « حوار القراء » رسالة للقارئ مجاهد بن عبد الرحمن ، الدار البيضاء - المغرب ، يوجه فيها سؤالا الى المرحوم الدكتور عبد المحسن صالح ، كما قرأت تعقيب المجلة على رسالة القارئ .

لقد هزنتي كلمات التعقيب التي تطلب من العالم الفاضل أن يواصل كتابة مقالاته في اعداد العربي القادمة ، فرت الدموع من عيني ، وأجبرتني على ان أمسك بالقلم وأخط هذه الكلمات التي كانت آخر مقال له لي قبل الرحيل بيومين « سأكف عن كتابة المقالات ، وأنفرد لجمع ماكتبته منها في كتاب أو اثنين ، ولكنني أنوي أن أكتب عدة مقالات للعربي ، لأن لها في عني دينا .. وسوف تكون الخاتمة بالنسبة لي » .

لكن القدر لم يمهله كي يسدد هذا الدين ، فقد

المجلة العربية للعلوم الانسانية

فصلية ، محكمة
تصدر من جامعة الكويت

- تلبي رغبة الاكاديميين والمثقفين من خلال نشرها للمحور
الاصيلة في شتى فروع العلوم الانسانية باللغتين العربيه
والانجليزية ، إضافة الى الانواع الأخرى المنشآت
مراجعات الكتب التقارير
- يحرص على حضور دائم في شتى المراكز الأكاديمية
والجامعات في العالم العربي والخارج ، من خلال المشاركة
الفعالة للأساتذة المحققين في تلك المراكز والجامعات
- صدر العدد الأول في سائر ١٠٨١
- يصل الى أمدى ما يريد على عشرة آلاف قارئ

الاشتراكات

- في الكويت ٣ دينار للأفراد حصص ٥٠ / للطلاب ١٤٠
- دياراً للمؤسسات
- في البلاد العربية ٤.٥ دينار كويتي للأفراد ، ١٦ ديناراً
للمؤسسات
- في الدول الأخرى ٢٠ دولاراً للأفراد ، ٦٠ دولاراً
للمؤسسات
- برهن منه الاشتراكات مع قسمه الاشتراك الموحدة داخل
العدد

المراسلات توجه الى رئيس التحرير ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاء - رمز بريدي ١٣١٢٦ الكويت
المقر كله الاداب - منى قسم اللغة الانجليزية - الشويخ - هاتف ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدرها جامعة الكويت

■ مجلة فصلية أكاديمية

تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في
مختلف حقول العلوم الاجتماعية

مدير التحرير

رئيس التحرير

د. فهدون حسن النقيب عبد الرحمن فايز المصري

□ منبر بارز للأكاديميين العرب

□ توزع أكثر من ٨٠٠٠ نسخة

الاشتراكات
١٤ ديناراً للأفراد
١٥ ديناراً للمؤسسات
للأفراد
٩ ديناراً للأفراد
٩.٥ ديناراً للمؤسسات
للأفراد
١٥ ديناراً للأفراد
١٥ ديناراً للمؤسسات
للأفراد

جميع المراسلات توجه الى رئيس التحرير
ص ب ٢٦٥٨٥ الصفاء - رمز بريدي ١٣١٢٦ الكويت
المقر كله الاداب - منى قسم اللغة الانجليزية - الشويخ - هاتف ٨١٧٦٨٩ - ٨١٥٤٥٣

من الطريق العالم

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر
وزارة الاعلام - الكويت

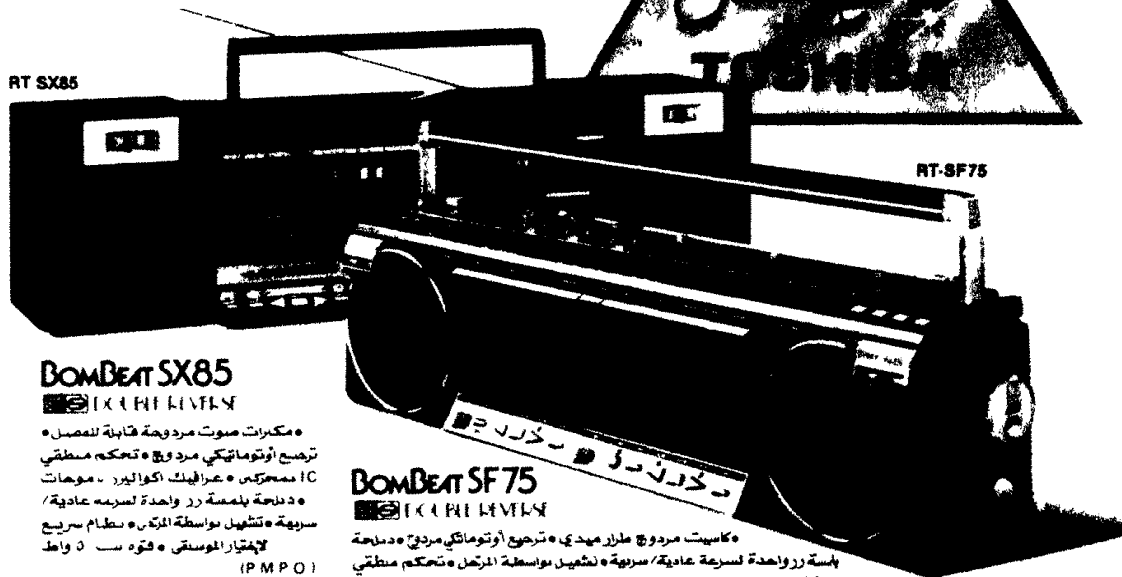
٢٠٤ أول سبتمبر ١٩٨٦

ناولي مليونيرة

تأليف : إدوارد من فليب
ترجمة : د. عبد الحليم
رسم : د. طلال شكري

اسمعها

أكثر نقاءً مع توشيبا



BomBeat SX85

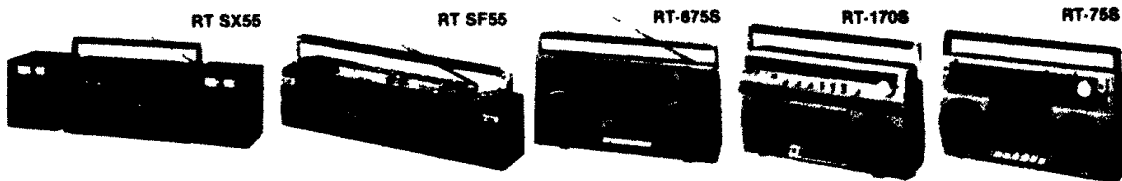
■ EXCEL REVERSE

• مكبرات صوت مروحة قابلة للفصل
• ترصيع أوتوماتيكي مزدوج • تحكم منطقي
IC بمحركين • غرافيك الكواليزر • موجات
• دنانة بلمسة زر واحدة لتسليم عادية /
سريعة • تشغيل بواسطة الميكس • نظام سريع
لاختيار الموسيقى • قوة 5 واط (P.M.P.O.)

BomBeat SF75

■ EXCEL REVERSE

• كاسيت مزدوج ملزم مهدي • ترصيع أوتوماتيكي مزدوج • دنانة
باسة زر واحدة لتسليم عادية / سريعة • تشغيل بواسطة الميكس • تحكم منطقي
IC بمحركين • نظام سريع لاختيار الموسيقى • قوة 5 واط (P.M.P.O.)



BomBeat SX55

• مكبرات صوت مروحة قابلة للفصل
• دنانة سريعة وتشغيل بواسطة
الميكس • دنانة نظام تحكم مزدوج •
تحكم منطقي IC بمحركين • غرافيك
الكواليزر • موجات • قوة 5 واط (P.M.P.O.)

BomBeat SF55

• كاسيت مزدوج ملزم مهدي •
مكبرات صوت باتجاهين • نظام دنانة
سريعة • دنانة بلمسة واحدة •
قوة 5 واط (P.M.P.O.)

BomBeat 675

■ AUTO REVERSE
• إعادة بث أوتوماتيكية
• 10 مكبرات صوت
• باتجاهين • قوة 5 واط (P.M.P.O.)

BomBeat 170

■ AUTO REVERSE
• تسجيل وإعادة بث
• أوتوماتيكي • 10 مكبرات صوت
• باتجاهين • قوة 5 واط (P.M.P.O.)

BomBeat 75

• تسجيل بلمسة زر
• واحدة • مكبرات صوت
• ثنائية (2) • قوة 5 واط (P.M.P.O.)

• كلها متوفرة مع راديو موجات (MW/SW1/SW2/FM) ونظام هولتاج مزدوج • دولي هي علامة تجارية مسجلة لمخترات دولي

TOSHIBA TOKYO JAPAN

To: www.al-mostafa.com